جمعية البلاغ الثقافية
Al-Balagh Cultural Association

السلسبيل المورود
قصة رحلة الخلود

أ.د./ عبد السلام المجيدي

السلسبيل المورود

قصة رحلة الخلود

قصة حقيقية تصف الزفاف إلى جنات الخلود

تأليف

أ.د/ عبد السلام المجيدي

أستاذ التفسير وعلوم القرآن

رقم الإيداع بدار الكتب القطرية: 779 / 2018 /Legal Deposit No

الرقم الدولي (ردمك): 8 / 753 / 00 /ISBN/978/9927

ترخيص رقم (٢٠١٨/٥)
إدارة الجمعيات والمؤسسات الخاصة
وزارة التنمية الإدارية والعمل والشؤون الاجتماعية

جميع الحقوق محفوظة
لجمعية البلاغ الثقافية

الطبعة الأولى
١٤٤٠هـ - ٢٠١٨م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الإهداء

إلى كل من له فضلٌ عليَّ يتقدمهم: الوالدان الكريمان..اللهم اجعلهما بابين لعبدك الفقير إلى جنات ونهر في مقعد صدق عند مليك مقتدر..

وإلى شيوخي الأجلاء منار هدايتي.. ثم إلى توائم روحي، وأبناء أمتي: إليكم ثمرة قلبي، وماء فؤادي..خرج من حناياي يُشرق نوره بين يديَّ، وأرجو أن يستتم نوره من خلفي في دنياي وأُخراي..أُقدمه راجياً أن ينادي المنادي عليه: هذا مغتسلٌ باردٌ وشراب..

وأردته لي ولأمتي والخطوب كوالح، والغواسق تغشاهم.. تذكرةً لليوم الآخر، يضيء الدرب لكل سائر.. حيث لا قوة في هذا العصر ولا ناصر..إلا ما يعده المرء خالصاً للودود الغافر.. وما هذه الأسطر إلا خفقات قلبٍ، وتطلعات روحٍ.. أرجو أن تكون أنيساً لا يُمَل، وجليساً لا يترك يذكر بالمستقبل الحق، ويشحذ الهمة إلى مقعد صدق.. عند مليكٍ مقتدر..وقد أمَّلتُ من ربي به فضلا، راجياً أن أنال وسام ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾، وأظفر بالانضواء تحت راية ﴿إِنَّا أَخْلَصْنَاهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ﴾.. وعلَّني أن أنال أعظم مما أصف..فضلاً من ربي ونعمة..مغفرةً ورحمة.. عسى أن يكون حناناً وزكاة..وأن يكون ربي بي حفياً..وأن يجعلني عنده مرضياً..ويزيدني فوق ذلك شيئاً طيباً كثيراً مباركاً فيه..فيرفعني مكاناً علياً...آمين.

تقديم فضيلة الشيخ علامة اليمن/ محمد بن إسماعيل العمراني

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمي الأمين، وعلى آله، وبعد:
فهذا كتاب "السلسبيل المورود- قصه رحلة الخلود" للشيخ الدكتور / عبد السلام مقبل المجيدي، وهو من خيرة طلبة العلم الذين درسوا عليَّ، وكتابه هذا في علم السلوك والإقبال على الآخرة، وتشويق الناس إلى الجنة، قصد منه مؤلفه إبراز منهجيةٍ جديدةٍ في الوعظ والإرشاد، وإيقاظ النائمين، وتنبيه الغافلين، و إصلاح المائلين، وإرشاد الجاهلين، وتشويق الراغبين لسلوك مدارج السالكين إلى جنات الخالدين...مقتفياً فيه آثار من سبق من جهابذة العلماء العاملين المؤلفين في الزهديات والوعظيات أمثال الأئمة: أحمد بن حنبل، وابن أبي الدنيا، والغزالي، وابن الجوزي، وابن القيم، وابن رجب رحمهم الله أجمعين.

وقد صاغه مؤلفه بأسلوبٍ أدبيٍ، وقصصيٍ جذاب، مع تجديدٍ في الأسلوب، وحلاوة في العبارة ، والتزامٍ بعزو النصوص إلى مصادرها، وتخريجها، واعتمادٍ للصحيح منها في صلب الكتاب، وللكاتب مؤلفاتٌ قيمة سبقت هذا الكتاب منها (تلقي النبي صلى الله عليه وآله وسلم ألفاظ القرآن الكريم، ولا إنكار في مسائل الخلاف) وممن قدم لهذا الكتاب القيم الشيخ الدكتور/حسن محمد الأهدل، والشيخ/محمد الصادق، أسأل الله عز وجل أن ينفع به من سيطلع عليه من العلماء والمتعلمين ، وأن يجزي مؤلفه خير الجزاء، ويزيد في الشباب الفضلاء من أمثاله، وسبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم.

صفر 1425هـ محمد بن إسماعيل العمراني

تقديم فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور/ حسن الأهدل

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد: لقد اطلعت على ما كتبه الأخ الدكتور عبد السلام مقبل المجيدي في كتابه الذي بعنوان (قصة رحلة الخلود) أو المسمى السلسبيل المورود، وهذا الكتاب قصةٌ مشوقةٌ تحكي تصوراتٍ مخبتةٍ عن مشاهد تتناول الحياة الأخروية مستوحاةٍ من نصوص القرآن والسنة، صاغها الكاتب بأسلوبٍ قصصيٍ فريدٍ يصف زفاف شابٍ إلى جنة الخلود.. تحدث فيها في البداية في مقدمةٍ تبعث روح المسارعة والمسابقة إلى النعيم لعباد الله المقربين الصالحين في شوقٍ وحنين، ثم تطرق بعد ذلك إلى زفاف الأفراح بين السماء والأرض عارضاً بأسلوبه الأدبي الشيق المشهد الأول بين يدي حياةٍ جديدةٍ متناولاً الموت في قصته، ويصور حب الشاب المؤمن لهذا الموت الذي هو موعدٌ للقاء ربه مع خيار عباد الله من أصحاب القلوب المنيبة.

ثم يصور في المشهد الثاني استقبال هذا الشاب في العالم الجديد..عالم الحقيقة والسعادة مع أولياء الله في الملأ الأعلى.. ويستمر الكاتب-وفقه الله تعالى- في عرض المشهد الثالث في رحلة الخروج والعروج مبيناً أن هذا الزفاف رحلة السعادة إلى الملأ الأعلى من العوالم الفانية إلى العوالم الباقية.. ويذكره نعيم الفوز العظيم بأنيسه القرآن وبمحاريب الإيمان.. وهكذا ينتقل به إلى المشهد الرابع حيث طمأنينة البرزخ وأفراحه..وفي المشهد الخامس يذكر بالابتلاء في القبور، وبالأسلحة التي تنفعه هناك من الأعمال الصالحة كالإيمان وتلاوة القرآن ليبشر في ختام ذلك بنتيجة الفوز الكبير.. ويتنقل بين لقاءات النعيم لأرواح المؤمنين في البرزخ، وتلقي الملائكة للروح الطاهرة، ثم يبين في المشهد الذي بعده منزلة هذه الروح في العالم الجديد.. فتخشع بسماع ذلك أصحاب القلوب المنيبة.. ويذكر ما يكون في هول المحشر المهيب مصوراً القيامة وبدء الحساب، ومكانة النبي ﷺ في مثل هذا اليوم، ورحمته بأمته في يوم

المحشر، ويستمر في عرض بقية المشاهد التي يطول ذكرها في هذه العجالة مصوراً القيامة بمختلف صورها ومشاهدها وما يلقاه أهل السعادة من الخلود الأبدي في الجنة والسرور والنعيم، وما يلقاه أهل النار من الحسرة والندامة، وما يتمتع به أهل الجنة بما حصلوا عليه من وفاء العهد، ولذة النعيم وما تلقوه من رحمة الله وكرمه، ثم ختم قصته بخاتمةٍ تجعل قارئ القصة بعد تذوقه لها يبادر إلى ملء حياته بالخيرات والأعمال الصالحات متلهفاً على لحظة المفارقة من الحياة الدنيا..قائلاً: (يا ليت قومي يعلمون).. وهذا الخطاب موجهاً في القصة على لسان الشاب إلى كل قارئٍ لها حيث يقول صاحب القصة: (أيها الحبيب لي ولك لا لغيرنا كان الخطاب).

إنها رحلةٌ ممتعةٌ، وقصةٌ هادفةٌ ومفيدةٌ يعيش معها المرء لحظاتٍ وساعاتٍ وأيامٍ لا يمل سياقها وحديثها.. يرتع القارئ في جنباتها.. يتنعم بالنظر في روضاتها.. يتصور تلك المشاهد والمواقف فيبصر ويتأمل ويرجو الفوز الكبير في مواطن.. يتحسر على ما كسبت يداه في أيام العمر وساعة الغفلة.. ولعل العاقل يستفيد منها ويتوب.. ونسأل الله لنا وللكاتب التوفيق والسداد، وجزيل الأجر والثواب.. إنه على ذلك قدير.. وصلى الله على سيدنا وعلى آله وصحبه وسلم..

كتبه أ.د حسن محمد الأهدل

تقديم فضيلة الشيخ / محمد الصادق مغلس المراني

الحمد لله رب العالمين وصلى الله عليه وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه، أما بعد:

فقد قرأت كتاب (على مشارف الجنة)[1] للكاتب الناشئ الشيخ (الدكتور) عبد السلام مقبل المجيدي حفظه الله، ووجدته كما سماه بحق- قصةً حقيقيةً تصف زفاف مؤمنٍ إلى جنة الخلود.

وإذا كان بعض المنبهرين في هذا الزمان - زمان الانهزام - قد أخذوا بأساليب ومناهج الغرب في الخطاب - الغث منها والسمين - فاستوردوا المسرح مثلاً، وكثيرٌ منهم لم يتحرروا من إسفافاته وضلالاته، واستقدموا فكر القصص الروائية، ومعظمهم لم يسلموا من سوءآته وافتراءآته..فإن كاتبنا في هذه القصة قد سلك مسلك التميز والمخالفة للمغضوب عليهم والضالين، وذلك هو الذي يقتضيه منهج ديننا في كل ما يجب وينبغي ويمكن أن نخالفهم فيه، لأن الصراط المستقيم يقتضي مخالفة أصحاب الحجيم.

لقد اعتمد كاتبنا في قصته على القرآن الكريم، وهو الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وعلى النصوص النبوية التي لا مدخل فيها للهوى، وإنما هي وحي يوحى. وأضاف الآثار النثرية والشعرية عن السلف وعلماء التزكية، وابتعد عن المبالغات والخيالات، وعن اصطناع الوقائع واختلاق الأحداث. ومضى مع الحقائق بأسلوبٍ أدبيٍ جميل، وتصويرٍ فنيٍ جذابٍ يشد القارئ عند تفسيره وشرحه للنصوص، ويسهم في نقلك إلى عالم الغيب وكأنه صار عالم الشهادة مع إيقاظٍ للقلوب، وإثارةٍ للشجون، وترغيبٍ وترهيب، وطول نفسٍ عجيبٍ في مصاحبة صاحب القلب المنيب في تفاصيل جميع المراحل.

1- هذه إحدى التسميات المقترحة للكتاب، وكانت أولها.

وقد حشد الكاتب نصوصاً كثيرةً عن الموت والبرزخ والبعث والحساب والصراط والميزان والجنة والنار والنعيم والعذاب وغير ذلك. وقلما تجد ذلك في كتابٍ **مع تحري الدقة والصحة والجدة في الطرح والتشويق**، وبذل الجهد الكبير في الجمع والسبك والصياغة. ويكاد يلمس المطلع ذلك في كل صفحةٍ من صفحات الكتاب.

إن مادة هذا الكتاب غذاءٌ هامٌ وضروري للروح. وإذا كان من أعده قد اجتهد في الإعداد، ولحقه من المشقة ما لحقه حتى أخرج هذه المائدة الشهية، فإن من حقه على الجائعين والمحتاجين أن يبادروا لإشباع أرواحهم وسد حاجاتهم، ولاسيما الشباب الذين هم في سن فورة الطموح لا يكاد يشبعهم شيء، ينتقلون من مائدة إلى مائدة، ومن تشكيل إلى تشكيل، ولن يجدوا- مع غيرهم- بغيتهم إلا في الدار الآخرة إذا استعدوا لها، في الجنة التي هي الموطن الأول للإنسان. وسيكتشفون في نهاية المطاف أن كل الذي فوق التراب تراب، وأن ما هاهنا ينفذ وما عند الله باق، وأنه لا بقاء إلا للإخلاص والعمل الصالح. وأن الدنيا وشعاراتها حتى لو خادعت باسم الدين أحياناً كسرابٍ بقيعةٍ، وأن الجحيم هي عقبى معظم الناس لأنهم لم يعقلوا هذه الحقائق وأمثالها، وأنه لا نجاة إلا للقلة التي عقلت في الوقت المناسب، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾.

لقد أحسن كاتب القصة جزاه الله خيراً في عمله الدعوي الأدبي العلمي، وأسأله سبحانه أن يأجره على ذلك ويضاعف مثوبته، وأن يغفر لنا ذنوبنا مع سائر أحبابنا وإخواننا، وأن يجعلنا من حزبه الصالحين وأن يحشرنا مع عباده المقربين، ويجعلنا من ورثة جنة النعيم، ويقينا عذاب الجحيم، ويسلكنا في زمرة الذين سبقت لهم الحسنى ، فلا يسمعون حسيس جهنم، وهم فيما اشتهت أنفسهم خالدون، إنه – ربنا سميع قريب.

وكتبه الفقير إلى مغفرة الله ورحمته محمد الصادق مغلس المراني

صنعاء في 27 شعبان 1424هـ

23/10/ 2003م

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

الحمد لله على آلائه..هدانا لهذا، وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله..**لقد جاءت رسل ربنا بالحق، ومقال الصدق،** صلى الله وسلم عليهم أجمعين..اللهم صلِّ على محمدٍ صلاةً أزدلف بها إلى مغفرتك، وسلم عليه تسليماً أُحْشَرُ به في زمرة أوليائك.. اللهم اجعل صلاتك ورحمتك وبركاتك على سيد المرسلين، وإمام المتقين، وخاتم النبيين محمدٍ عبدك ورسولك إمام الخير، وقائد الخير، ورسول الرحمة..اللهم ابعثه مقاماً محموداً يغبطه به الأولون والآخرون، وعلى آله وأصحابه الكرام الطيبين، الأخيار الطاهرين.

اللهم إني أعوذ بك أن أقول بحقٍّ أطلب به غير طاعتك، وأعوذ بك أن أتزين للناس بشيءٍ يَشينني عندك.. أعوذ بك أن تجعلني عبرةً لأحدٍ من خلقك في مقام الحزي..اجعلني ممن ابتدأته بفضلك..وأعقبته بودك، ورأفتك، ورحمتك.

إلهي ومولاي: أسيرُ الخطايا عند بابك واقفُ
على وجلٍ ممَّا علمتَ..وخائفُ

إلهي: لئن ضاق عني عفوك الواسِعُ الذي
أُرَجِّي لإسرافي فإني لتالِفُ[1]

هذا الكتابُ يحكي قصةً حقيقيةً..بسم الله مجراها ومرساها:
وبعد:

1- لأبي الوليد بن الفرضي بتصرف..انظر: تذكرة الحفاظ 3/ 1078.

فهذه قصةٌ حقيقيةٌ لم يقصَّها عليك خبرٌ يتناقله السُمَّار في نواديهم..يلهون به..ولا نبأٌ روته الجرائد..وتناقلته وكالات الأنباء المعتادة..ولكنها خبرٌ صادقٌ نقلته إليك إذاعة النبأ العظيم الصادر عن الملك الخلاق العليم.. إنها قصةٌ تقرؤها.. فتجذبك إليها جذباً بما تحمله من إثارةٍ وتشويقٍ..وتلمح مع كل سطرٍ من أسطرها ملامح المستقبل القادم..ونهاية البداية الصادقة..نهاية الدنيا..النهاية التي ستراها واقعةً صادقةً لا ريب فيها ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥﴾ (الذاريات).

إنها قصة شابٍ كان شاكراً ذاكراً طائعاً أوَّاباً.. قانتاً مخلصاً تواباً..قد جعله ربي من المصطفين الأخيار..من المخلِصين المخلَصين الأبرار..قمتُ بتتبع سيرته، والتقاط أنفاسه، وتدوين قصته..كما رسمها القرآن الكريم حيث يتم زفافه إلى عالم الخلود، في فردوس العزيز المجيد..فتأمل معي قصته على الحقيقة..وارجع بها إلى دنياك..ارجع بها إلى دنياك لتنظرَ: أأنت حقاً على سوي الطريقة.

أي حبيباه: تَقَلْتُ إليك أحداث هذه القصة، ومشاهدها العامة والتفصيلية من كتاب الله –عزَّ جاره– ومن سنة النبي ﷺ، وهو الذي ارتفع مقداره ﷺ ..وأسميتها بالقصة متبعاً فيها قول مولاي الودود –وقوله الصدق–: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ﴾ (آل عمران:62).. وكتابك هذا يشبه أن يكون توسيعاً لحديث البراء بن عازب رضي الله عنه في العبد المؤمن إذا كان في انقطاعٍ من الدنيا وإقبالٍ على الآخرة.[1]

هـذه قصـةٌ تلاهـا كتـاب اللـه وحيـاً يُبَـاشِـرُ الأرواحـا
تستثيـر النفـوس نـحـو رحيـلٍ لبـلادٍ تمحضـت أفـراحـا[2]

1- وهو حديث عظيم مشهور رواه أحمد 4/ 287، وأبو داود 4/ 239، والحاكم 1/ 93، وصححه على شرط الشيخين، وأقره الذهبي، وصححه ابن القيم في إعلام الموقعين 1/ 178، وتهذيب السنن 8/ 316، وصححه الألباني في أحكام الجنائز ص 159.
2- للشاعر المبدع: عبد الرحمن العديني.

أيا خاطب الجنة: ترى في تضاعيف هذه القصة وصفاً رائقاً لزفاف مؤمنٍ مخبتٍ قانتٍ إلى جنة الله التي أُشرِعت لها ميادين السباق..وبُذلت في سبيلها الأعناق..إنَّ تذكر النعيم الذي يلقاه المؤمن تُنسَى معه الأحزان..ويستيقظ معه الغافل في الدنيا بالدنيا.. ويفيق الوسنان..أفنطمع في كريم صحبتك إليه حيث جنة من الله ورضوان؟..**أيا حبيباه:** فهلا أخذت استعدادك معنا لتكون في اليوم الحق من الفائزين؟..هلا قللت من الانشغال بلهو اللاهين..اسمع إلى وعد رب العالمين، وحبيب المشتاقين ﴿أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ (القصص).

وعندها يحق لنا أن نتساءل ببراءة: هل أقضَّ مضاجع النائمين.. ذكر رب العالمين.. لجنةٍ عرضها السموات والأرضين؟. وهل يستطيع أن يحيط علماً بها وصف الواصفين..؟ أم هل تستطيع الكلمات أن تكشف عما حوته من نعيمها المكنون...؟..بل الناس عنها سامدون، والقَعَدَة في غفلةٍ لاهون، والخوالف ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون..لاهيةً قلوبهم..

هل أقضَّ المنـام ذِكْرٌ عليٌّ لنعيـــمٍ مُزَيَّنٍ بالخلـودِ؟

أجل أخي: قم معي لتحيا في خلود..هاتفاً راقياً في صعود..هانئاً ناظراً للمزيد.

أيها المشتاق لنعيمٍ تتطاول له الأعناق، وتذوب لنيله الأحداق:

سابِقْ في تدبر الآيات المشرقات..انظر في هاتيك البينات العظيمات..لترى القارئ لها يشعر باجتياح شوقه لها في جسده الكليل..يتساءل بلهفةٍ: متى سيصل الفؤاد العليل.. لذلك المقيل..﴿أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مُّسْتَقَرًّا وَأَحْسَنُ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾﴾ (الفرقان).. بل املأ عينيك بنور الحقائق..وقل لسائر الخلائق..ما قاله التائب المنيب السابق..لأمه قديماً..استمع منه قولاً حكيماً: "يا أماه إن لي موقفاً طويلا بين يدي ربٍّ جليل، فلا أدري أيؤمر بي إلى

ظلٍّ ظليل، أو إلى شر مقيل.إني أخاف عناء لا راحة بعده أبداً، وتوبيخاً لا عفو معه[1]..فيا رب هيئ لنا من أمرنا رشداً..واجعل معونتك العظمى لنا سنداً.

إنه النعيم الحق..قطع الله تخمينات الظانين حين أرادوا وصفه، ومنع تخرص المتخرصين حين راموا كشف ستر لذائذه.. فقال –عزَّ جاره–: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة:17)..حسبك أن ترى حقيقةً واحدةً، وقانوناً عاماً يوضح تواضع من ظنَّ أنه يمكنه تصور ما سيلقاه المؤمن من تكريمٍ. فقد قرر الحديث الشريف أنه ((ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء)).[2]

انظر عباد الله المقربين.. يتسابقون إلى معرفة ذاك النعيم..بشوقٍ وحنين:

ها هو ذا موسى –عليه السلام– يسأل ربه – جلَّ جلاله –: ما أدنى أهل الجنة منزلة؟ قال: هو رجل يجيء بعد ما دخل أهل الجنة الجنةَ.. فيقال له: ادخل الجنة. فيقول: كيف أدخل الجنة، وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم؟. فيقال له: أترضى أن يكون لك مثل ملكٍ من ملوك الدنيا؟.

تصور ذلك: كل ما حوت الدنيا من لذائذ وأراضٍ وأنهارٍ ومتاع..تكون لأدنى أهل الجنة منزلة يجد فيها البساتين والقصور والقلاع..انظر إلى الرجل: إنه لا يصدق نفسه.. فيقول: رب رضيت. يقاطع الحديث لشدة فرحه..فيقول الله له: ذلك لك ومثله، ومثله، ومثله، ومثله، قال الرجل في الخامسة –مقاطعاً ولا يملك نفسه من السعادة والسرور: ((رضيت ربِّ. فيقول: هذا لك وعشرة أمثاله، ولك ما اشتهت نفسك، ولذت عينك، فيقول الرجل: رضيت رب))، تلعثم لسانه فلا يستطيع أن يقول كلمةً غيرها فرحاً وسروراً، غبطةً وحبوراً.

1- التبصرة لابن الجوزي ص29.

2- الضياء في المختارة 10/ 16 موقوفاً على ابن عباس وهو في حكم المرفوع أورده السيوطي في الجامع الصغير على أنه مرفوع، وقال المنذري في الترغيب والترهيب 4/ 316: رواه البيهقي موقوفاً بإسنادٍ جيد، وصححه الألباني في الصحيحة 2188.

وسأل موسى – عليه السلام – عما يلقاه أعلاهم منزلة فقال: ربِّ فأعلاهم منزلة؟. قال: أولئك الذين أردتُ. غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها. فلم تر عينٌ، ولم تسمع أذنٌ، ولم يخطر على قلب بشرٍ. قال: ومصداقه من كتاب الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ (السجدة:17)[1]

القلب محترق، والدمع مستبــق والكـرب مجتمع، والصبر مفترق
كيف القرار على من لا قرار له مما جناه الهوى والشوق والقلق

إنه النعيم القادم في الآخرة لا يساوي مدينةً، أو دولةً، أو أرضاً..الدنيا كلها لا تساوي عنده جناح بعوضة. فهلا أبديت همتك له، وأصابك من حب النعيم الحقيقي الشوق والوَلَه..فصرت في الدينا كالغريب تنتظر الوصول إلى دار كرامة الحبيب. كان عطاء السلمي يقول في دعائه: اللهم ارحم في الدنيا غربتي، وارحم في القبر وحشتي، وارحم موقفي غدا بين يديك[2]. فيا رب اجعلني من أحب عبادك إليك.

منهج كتابة هذه السلسلة المباركة:

لقد سلكتُ في رواية هذه القصة منهجاً فريداً مزجتُ به بين الأحداث التي رسمتها هذه المشاهد القرآنية لتكون لوناً من ألوان التفسير الموضوعي الذي امتزج بالتصوير الفني[3]. وهذا المنهج لا أدعي فيه الجدة، لكنني أدعي أن السالكين له قليل. ومنهجٌ هذا حاله يحتاج إلى أن يُثرى بكتاباتٍ تقوي أركانه، وتدعم بنيانه، وتحمل تبيانه.. وأرجو الله – عزَّ جاره – أن يجعل كتابي هذا جواداً سابقاً في هذا المضمار، تطلب النسج على منواله قادة الأخيار.

1- مسلم 1/ 176.
2- جامع العلوم والحكم ص 381.
3- وأرجو أن أفتح في ذلك آفاقاً لمنهجيةٍ جديدةٍ في التفسير الموضوعي.. تقريباً للغة القرآن، واستمتاعاً بها حيث تضاءل الإحساس بما تحويه من معانٍ ومشاهد..وهو ما أكثر الشكوى منه سيد قطب في كتبه: مقومات التصور الإسلامي، وخصائص التصور الإسلامي، والظلال وغيرها.. ومن قبله حمل الهم مصطفى صادق الرافعي، وتلميذه النابغة محمود شاكر..رحم الله الجميع.

كما ابتعدتُ في هذا الكتاب عن الأسلوب العلمي الجاف بنمطه القاصر..راغباً في الخطاب العاطفي العامر...ألا ترى معي أنه أسلوبٌ يُمْتِعُ الناظر، ويُهَيّجُ الخاطر..وهو يرى المستقبل المجيد الزاهر..في جنة الله تعالى يوم لا تنفع قوة ولا ناصر.. إلا من رحمه الرحيم العفو الغافر.

أيا حبيب الجنة: هذا الكتاب لنفسيَ كتبتُه، ولأبي وأمي سطرته، ولأخوتي زففته، ولأخواتي نظمته. كتبتُه ليكون تذكرةً لأعز أخلائي البررة ممن تعاقدتْ معهم روحي لاقتحام العقبة، عسى أن نكون في سلك الفئة المطهرة..طالبين الفوز بالدرجات العلى. رحمةً من الله وحناناً وزكاة، ورغبة في الشرف في الآخرة..وكنت أسميته: السلسبيل المورود في قصة رحلة الخلود، وعلى مشارف الجنة، واقترح بعض الأحبة تسميته: نزهة المشتاقين في زفاف المؤمن إلى جنان الخالدين. عسى ربي –عزَّ جاره– أن يرفعني به درجاتٍ في الدنيا والآخرة، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، ويثيبني به أعظم الفوز والمغفرة.

كتبه / عبد السلام مقبل المجيدي

s1435y@gmail.com

الثلاثاء3 من رجب الفرد 1424من هجرة من له العز والشرف والجلالﷺ

الموافق2/ 9 /2003م

الفصل الأول

الأفراح بين الســماء والأرض

بداية العرس والزفاف..
تعالوا إلى بهجته من ثقالٍ أو خِفاف
هنا الطُهر والجمال ولآلئ الأصداف

المشهد الأول

الخطوات المجيدة..بين يدي حياةٍ جديدة

أحبتي الكرام – جعلني الله وإياكم من أصحاب الجنة دار السلام برحمة الملك الرحيم العلام – :

أقصُّ عليكم قصة صاحبٍ من أعز الأصحاب..إنه شابٌّ رائعٌ – إذا عرفتَه – صار في قلبك له معزةُ الأحباب..سترى إشراق النور في وجهه؛ فهو دائم الذكر لربه الوهاب.. الرحيم التواب، ولنرمز إلى اسمه بهذا الاسم الرائع: عبد الله.. تيمناً بأحب الأسماء إلى الله مولانا ومولاه، وهذا الاسم هو أجمل الأسماء في عرف كل عبدٍ منيبٍ حليمٍ أواه.

ولنبدأ في ذكر قصته.. طالبين الله..راغبين في لطفه ومغفرته ورحمته وحبه وحِماه: كان ممن كُتِبَتْ له السعادة، وسَبَقَتْ له من ربه الحسنى وزيادة..ها هو ذا تراه في دنياه ساجداً وقائماً يحذر الآخرة ويرجو رحمة ربه، خاضعاً لمولاه، ذليلاً بين يديه..يبتغي بذلك الشَرَف، ويروم أن يكون من سكان الغُرَف:

ذُلُّ الفتى في الحبِّ مَكْرُمةٌ وخضوعه لحبيبه شَرَفُ

وهو في الوقت ذاته هينٌ لينٌ..ليس في قلبه غِلٌّ للذين آمنوا..يراه بعض صحبه..فيرى نور الإيمان في وجهه..ويراه آخرون فينادونه في سرِّهم: أيها المخبت المنيب، أيها الأواب الحفيظ يا صاحب المؤمنين الصالحين الصادقين..إنا نراك من المحسنين..ينادونه بذلك لما اعتادوه من مراقبته لله، وحفظه لحدوده، وكثره ذكره لليوم الفزع الأكبر المبين..أدى أمانة الوظيفة، واتسم بالأخلاق الرائعة الشريفة، مضى في دنياه على ذلك، ومضت دنياه بذلك..

المفاجأة:

ها هي ذي صفحات أيامه تُطْوى..وساعاته تُقْضَى..وجاءته الحقيقة التي لطالما تعامل معها غيره على أنها مجرد وهمٍ يُروى..وفي لحظةٍ مفاجئةٍ للمحبين: في ريعان شبابه.. يجيئه الأجل، وينزل به القضاء..انقضت تلك السنون، وانصرمت معها أحلام العمر.. الأمر كما قال الحسن البصري: لم يزل الليل والنهار سريعين في نقص الأعمار، وتقريب الآجال.. هيهات قد صحبا نوحاً وعاداً وثموداً وقروناً بين ذلك كثيراً، فأصبحوا قد أُقْدِموا على ربهم، ووردوا على أعمالهم.[1]

هذا الشاب الرائع هجم عليه الموت بغتةً، وأتاه الأجل فجأةً..نعم! لم يعلم الميعاد..لم يعلم ميعاد موته..وأنى له أو لغيره أن يعلم ذلك ﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ (لقمان:34).. لكنه أعدَّ لهذا الميعاد عُدَّته..انظر إليه الآن..إنه على سرير الموت: هو في سكرات الموت، والناس حوله..بين باكٍ، وشاكٍ، وحزينٍ قلق، ومحبٍ مشفق.. بعضهم يكاد يُغَصُّ بريقه من الألم، والبعض يضع يده على جبهته من الدهشة، وأهله يبكون..يبكون حقاً..ويكتمون أصوات بكائهم بأيديهم، ويغالبون دموعهم بطأطأة وجوههم إلى الأرض..وفجأةً..قطع المشهدَ صياحُ بعضِ محبيه..لقد صاح صياحاً مصحوباً ببأسٍ ظاهر: ﴿وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾(القيامة) فيرقيه؟ هل من طبيبٍ فيشفيه؟ هل من خبيرٍ حكيمٍ يدافع عنه ويحميه؟...ولكن الأمر واضح..فإن صاحبنا ﴿يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ (الأحزاب:19) فكيف يمكن لراقٍ أن يرقيه؟ وأنى لطبيبٍ أن يشفيه؟:

فكل امرئٍ لاقٍ من الموت سكرةً له ساعةٌ فيها يذل ويضرعُ

إنه الموت "قصم الله به رقاب الجبابرة، وكسر به ظهور الأكاسرة، وقصَّر به آمال القياصرة الذين لم تزل قلوبهم عن ذكر الموت نافرة، حتى جاءهم الوعد الحق فأرداهم في الحافرة"[2]..إنه الموت يهجم عليه..يتغشاه..

1- جامع العلوم والحكم ص383.
2- انظر: إحياء علوم الدين4/ 448.

يا لِفَزَعِ المحبين فدموعهم في الآماق.. إذا دنت لحظات الفراق (وقيل من راق).

يا هنيئاً لمن أسعفه حظه من التسبيح بالعشي والإشراق، فسُرَّ وجهه واستنار يوم التلاق، وفرح يوم في ساعةٍ يقال فيها (مَنْ راق).

أبشر يا من راقبت الملك الجليل الخلاق، وأكرمت بالطاعة وتحري الحلال وأكرم الأرزاق، إنه يوم عيدك: يوم يقال (من راق).

ولكنه الموت أيضاً: قرَّبَ الله به منزلة الأتقياء، وحقق به وعوده لأهله من الأصفياء، وجعله مخلصا للأنقياء، وموعداً في حقهم لألذ لقاء، وأراحهم به من دنيا العناء..رضي الله عن عمار؛ اسمعه يهتف وهو يرى بوارق الموت لائحة..اسمعه فعطور هتافه فائحة: غداً ألقى الأحبة محمداً وحزبه[1] ..إنه يتذكر جمال الصحبة، ودفء المودة الصادقة والقربة.

في هذه الأثناء..هرع إليه بعض خلصائه مطمئناً مخففاً..آملاً مدداً في عمر، وعافيةً في بدن.. ولكن هيهات فقد رد عليه المخبت المنيب بصوتٍ خفيضٍ يعتريه الوهن:

دعنا من هذا..فإن كل شيءٍ عند ربي بمقدار..ثم أومأ ببصره نحو السماء يقول بصوت متحشرج:

إلهي أنا الذي أمرتني فَقَصَّرْتُ..ونهيتني فعصيتُ..

إلهي أنا الذي أمرتني فَقَصَّرْتُ..ونهيتني فعصيتُ..

(اللهم أقل العثرة، وأعف عن الزلة، وتجاوز بحلمك عن جهل من لم يرجُ غيرك..فما وراءك مذهب)..

وحانت منه سكتةٌ ظهر عليه فيها التعب..لكنه ما لبث حتى تابع لهثاته وابتهالاته نحو ربه.. يُكَرِّرُ الدعاء، ويُعيد النداء..

1- الطبراني في الأوسط 6/ 301، وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد9/ 298، وقال: "رواه الطبراني،وإسناده حسن"، وقد روي عن بلال، ومثله قال ابن عباس لعائشة في مرض موتها: (ما بينك وبين أن تلقى الأحبة إلا أن يفارق الروح الجسد..) كما عند أحمد 1/ 220.

ولم لا..لم لا وهو في موقف الرجاء..قال فيما قال آنذاك وصوته يستقيم تارةً، ويتقطع أخرى:

ولكنك الآن رجائي يا أرحم الراحمين..اللهم إني قد كنت أخافك وأنا اليوم أرجوك..

اللهم إن كان صغر في جنب عطائك عملي، فقد كبر في حسن رجائك أملي..

إلهي..مولاي..آن الرحيل إليك، وأزف القدوم عليك، ولا عذر لي بين يديك..لا عذر لي إلا طلب رحمتك التي وسعت كل شيء..

إلهي أنت الرحيم الغفور، وأنا العاصي المستجير..

إلهي أنت العفو الرحمن الودود، وأنا الجاني الجَحُود..

مولاي أنت السيد الملك الجبار، وأنا العبد المعترف بالعجز والافتقار..ارحم خضوعي وذلتي بين يديك..ولا حول ولا قوة إلا بك يا أرحم الراحمين.

ثم تتالت دموعٌ غزارٌ عِذابٌ من مقلتيه..تسيل على خديه..لتزيد مَنْ حواليه ألماً وحزناً وبكاءاً.

يـا إلهي أنـا الـذي قـد عصيـتُ وإلـى الـوِزْرِ يـا إلـهي انتهيـتُ
غَرَّنـي سِتْـرك الجميـلُ ونفسـي فاكتسبتُ الذنوب ويحي اكتسبتُ
غيـر أنـي حملـتُ قلبـاً محبَّـاً لـك ربـي، و إننـي مـا يئسـتُ
فأقـلْ عثـرتي وحقـق رجائـي ربِّ إنـي مـن كـل ذنبيَ تبتُ[1]

قال له صاحبه: فلأي شيءٍ هذا البكاء وأنت في موقف الرجاء؟

قال – وقد رجعت إليه بعض قوته واستقام صوته –:

1- لحادينا على طريق الجنة: عبد الرحمن العديني.

يا أُنسَ الدنيا: هو للرجاء..ألا ترى أني أنتظر من الله رسولاً يبشرني بالجنة أو بالنار..

(وكيف لا أبكي..وقد ركبتُ ما نهاني عنه، وتركت ما أمرني به..آه.. هاهي الدنيا ذهبت في الحال..وبَقِيَت الأعمال..بقيت الأعمال قلائد في أعناق الرجال..)

لقد عملتُ لموقفي هذا عشرين سنةً..وها هو ذا الباب سيفتح لي الآن إما بالسعادة أو بالشقاوة..وإنما أنتظر وفداً من ربٍّ كريمٍ رحيمٍ..يجيب الدعاء ولا يخيب الرجاء..

يا لجمال كلماته! كأنه يردد ما ردده الشافعي عند مرض موته رحمه الله تعالى من قوله:

أجدني من الدنيا راحلاً، وللإخوان مفارقاً، وبكأس المنية شارباً، وعلى ربي جل وعز وارداً، فلا أدري تصير روحي إلى الجنة فأهنيها؟ أم إلى النار فأعزيها؟ وأنشد يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلتُ رجائي دون عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما عدلته بعفوك ربي كأن عفوك أعظما
فما زلت ذا عفو عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منَّةً وتكرُّما
فإن تنتقم مني فلست بآيسٍ ولو دخلتْ نفسي بجرمي جهنما
ولولاك لم يغوى بإبليس عابد فكيف وقد أغوى صفيك آدما
وإني لآتي الذنب أعرف قدره وأعلمُ أن الله يعفو تَرَحُّما[1]

إنه مصير العالمين.. ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ٦٢﴾ (الأنعام).

نظر إليه بعض أصحابه نظرة حبٍ ووَلَهٍ وهيام، وذهب فكره بعيداً سابحاً فيما يراه أمامه وتذكر حياة هذا العبد المنيب بين الأنام:

"هذا الحبيب المنيب المسَجَّى على فراشه..طالما تمتمت شفتاه بذكر الموت استعداداً

1- سير أعلام النبلاء10 /76، وقال الذهبي: إسناده ثابت عنه.

له..كم كان يلهج أمامنا عندما تشتد منازعات الجدال، ويطغى كلٌّ منا على صاحبه بما يملك من أقوال..كان يقطع ذلك كله بقوله: نسأل الله لنا حسن الختام والأعمال..".

وتابع صاحبه تفكيره:

"لم أعلم إلا الآن..أنه بكثرة تذكره للموت كان يتشرف بالانضمام بذلك إلى زمرة الأكياس الذين وصفهم النبي ﷺ لما سئل: من أكيس الناس وأكرم الناس يا رسول الله؟ فقال: أكثرهم ذكرا للموت، وأشدهم استعداداً له..أولئك هم الأكياس..ذهبوا بشرف الدنيا..وكرامة الآخرة.[1]

لكم كان يُذَكِّرُنا في ذلك بقول عمر بن عبد العزيز لصاحبٍ له: أكثر ذكر الموت.. فإن كنتَ واسع العيش ضيقه عليك، وإن كنت ضيق العيش وسعه عليك.

وانسابت دمعتان ذهبيتان من مآقي صاحبه وهو ينظر إليه بإكبار له، وألمٍ على الشعور بأنه سيفارقه عما قريبٍ..ولكنه تابع تفكيره وقد حانت منه ابتسامةٌ مفاجئة:

لكم كان يُرَدِّدُ على مسامعنا أثراً وارداً على لسان الحبيب المصطفى والشفيع المرتجى ﷺ..أثراً أخذ عليه مجامع نفسه..وإن الكلمة الطيبة لحقيقةٌ أن تأخذ النفس، وتأسرها..: ((والذي نفسي بيده ما طرفتْ عيناي إلا ظننت أن شَفْرَي[2] لا يلتقيان حتى يقبض الله روحي، ولا رفعتُ طرفي فظننتُ أني واضعه حتى أفيض، ولا لقمتُ لقمةً إلا ظننت أني لا أسيغها حتى أغص بها من الموت. يا بني آدم إن كنتم تعقلون فعدوا أنفسكم من الموتى، والذي نفسي بيده إنَّ ما توعدون لآتٍ وما أنتم بمعجزين))[3].

1- الطبراني في الأوسط 6/ 308، وقال العراقي في المغني4/ 451: "أخرجه ابن ماجه مختصرا وابن أبي الدنيا بكماله بإسناد جيد".
2- الشُّفْرُ: واحد أشفارِ العين، وهي حروف الأجفان التي ينبت عليها الشعر، وهو الهدب..انظر: مختار الصحاح ص144.
3- الطبراني في مسند الشاميين 2/ 365، والبيهقي في شعب الإيمان4/ 121، وانظر كتاب التذكرة للقرطبي ص15.

موعد الصفاء مع أحب لقاء:

دعنا من تفكير صاحبه وبكائه المختلط بابتسامةٍ عجيبة..ولنعد للنظر إلى صاحبنا المنيب..كما نحسبه والله حسيبه..إنه الشاب الرائع القانت العجيب:

فقد أحب لقاء الله فلا ريب أن الله يحب لقاءه..

ذكر عنه بعض الجالسين من الشباب الصالحين أنه ربما مرت عليه في حياته أوقاتٌ كره فيها الموت..لا لشيء إلا "خيفةً من أن يختطفه قبل تمام التوبة، وقبل إصلاح الزاد وهو معذورٌ في كراهة الموت هنا، ولا يدخل هذا تحت قوله ﷺ: ((من كره لقاء الله كره الله لقاءه))[1]، فإن هذا لا يكره الموت ولقاء الله، وإنما يخاف فوت لقاء الله لقصوره وتقصيره وهو كالذي يتأخر عن لقاء الحبيب مشتغلاً بالاستعداد للقائه على وجهٍ يرضاه فلا يعد كارهاً للقائه، وعلامة هذا أن يكون دائم الاستعداد له، وإلا التحق بالمنهمك في الدنيا، وأما العارف بربّه فإنه يذكر الموت دائماً لأنه موعد لقائه بحبيبه..حبيبه الذي حرص في حياته على ألا يخلف له ميعاداً فما أشد لهثاته وحرصه على إدراك تكبيرة الإحرام..لأنه موعد اللقاء..مع الكبير الجليل الودود ذي العلياء.

والمحب..المحبُّ لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب..

أعجبت هذه الجملة بعض الحاضرين فرددها: والمحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب..

أكمل أحدهم الحديث – بينما صاحبنا المنيب في غشيته–: "نعم المحب لا ينسى قط موعد لقاء الحبيب..ولهذا قد يستبطئ مجيء الموت..وقد يحبُّ مجيئه ليتخلص من دار العاصين، وموطن البلاء المبين، ولينتقل إلى جوار رب العالمين، ويتفيأ فردوس الخالدين..كما روى عن حذيفة رضي الله عنه أنه لما حضرته الوفاة قال: حبيبٌ جاء على فاقةٍ..حبيبٌ جاء على فاقةٍ..لا أفلح من ندم.."[2]، ولا ندم من عمل لآخرته فغنم وسلم.

1- البخاري 5/ 2386، ومسلم 4/ 2065.
2- انظر: إحياء علوم الدين4 / 450.

أيها الحبيب: لا تقف جامداً عند قراءة هذه العبارة بل ارفع يديك..ناجِ حبيبك بأصغريك، وقل: اللهم إنا نعوذ بك من الندم..نعوذ بك في الدارين من الخزي وحسرة الألم.

تردد الإفاقة والإغماء..لا تقلق..قد سبق ذلك مع خير الناس ﷺ :

وفي هذه الأثناء أفاق صاحبنا من غشيته.. وما زال يكابد سكرات الموت..وعلق أحدهم مخففاً من جزع بعض أهله عليه:

"مهلاً..مهلاً..أما علمتم أن النبي ﷺ كابد السكرات مراتٍ ومراتٍ..يحاول أن يفيق للصلاة فيذهب ليقوم فيغشى عليه..ثم يفيق فيذهب ليقوم فيغشى عليه..ثم يذهب ليقوم فيغشى عليه..وهو في ذلك كله ﷺ يُغْسَل بالماء لينهض..وكم مسح عَرَقَهُ الشريف ﷺ وهو في السكرات". وعلى الرغم من هذا الحديث الذي يُعَلِّمُ الناسَ الصبر إلا أن المتحدث ما فرغ منه حتى **انسكب دمعه..وحُقَّ له أن يدمع:**

أيـا عـين حقـك أن تـدمعـــي ويـــا نفـس حقـك أن تجزعـي
ويا كـل جارحـة لـي عليـك حفـيظ فَبَكِّـي ونـوحي معـي

كان هناك شخصٌ صامتٌ بين الحاضرين..ينظر نحو الجسد المسجى ثم يطأطئ نظره نحو الأرض..وفجأة انسابت منه دمعةٌ يتيمةٌ بعد أن رأى العَرَقَ يغزو جسد صاحب السرير..وتمتم بكلماتٍ.. وصار حاله ناطقاً بآلاف الجمل والعبارات..انطلق بعض الحاضرين يسأله عن سرِّ ذلك..فأجابه متنهداً: إنه لمن أحب الناس إليَّ..ولكنني لم أظفر به في الأيام الأخيرة..ووَددتُ لو كلمتُه قبل أن يحدث له ما حدث..أما وقد امتلأ عرقاً، وظهرت معه أعراض الفراق..فهو الموت لا محالة فإن النبي ﷺ يقول: ((موت المؤمن بعرق الجبين))[1]..فلعل العرقَ بشارةٌ له بتَحَقُّقِ إيمانه إن شاء الله، وتكفير بقية خطيئة له أو رفعة درجاته..لقد قال ابن مسعود: (موت المؤمن بعرق الجبين..تبقى عليه البقية من الذنوب

1- أحمد5/ 357، الترمذي3/ 310،وقال: هذا حديث حسن، ورواه الحاكم1/ 315، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي ، وانظر التذكرة ص24، وأثر ابن مسعود.

فيجازى بها عند الموت)..الله! الله..أو ربما لأنه جاءته البشرى خجل واستحيى فعرق جبينه[1]..يا أصحاب: لقد شعرتُ بموته لذلك، وعلى الرغم مما أَظهرتُه للناس من تجلدٍ..فقد خانتني عبرتي...وأظهر الحزن والشوق لهذا الحبيب لوعتي.

لســـاني كتـــومٌ لأســـراركـــم ودمـــعي كتومٌ لســـري مـذيـع
فلولا دموعي كتمـت الهـــوى ولـــولا الهوى لـم يكـن لي دموع

لتَقَرَّ القلوب الراجية لقاءَ الله ولتطمئن بالتكريم؛ ولتنتظر ما وعدها الله إياه، انتظار الواثق المستيقن بحب ربه العظيم؛ فإنه﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَآتٖۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ۝٥﴾ (العنكبوت).

أبشر! هنا موعدٌ..مع المعنى الحقيقي لحسن الظن بالله:

وماله ألا يرجو ذلك وهو يعلم أنه ينبغي أن يكون في فراش الموت على موعدٍ مع حسن ظنه بربه.. بعد أن قدَّم بين يدي حسن ظنه بالله أعمالاً صالحة، وربه سبحانه يقول له ((أنا عند ظن عبدي بي فليظن عبدي بي ما شاء)).[2]

قال بعض الجالسين بهدوءٍ ظاهر: "ألا إنّ هذا الموقف هو موقف حسن الظن بالله..فإن النبي ﷺ قال: ((لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله عز وجل))[3]..".
أجابه آخر: "نعم..

ولكن كم كانت غفلة من أحسن ظنه بربه وهو يملأ ظهره من الأوزار..

يا لغفلة من يزعم أنه يُحْسِنُ ظنه بربه، مع أنه يسلك في حياته سلوك الفجار..

يا غفلة من يقيد حياته ويوثقها.. بخطايا هي غلاظ الأثقال والآصار ".

1- انظر: فيض القدير 6/ 253.
2- ابن حبان 2/ 401، وأصله في البخاري 6/ 2694.
3- مسلم 4/ 2206.

التفت إلى القوم صديقٌ من أعز أصدقاء الحبيب المسجى على فراشه، وقال:

"..لقد تربى هذا الشاب المنيب على مائدة القرآن في حسن الظن بالله..ما زلتُ أذكر يوماً من الأيام ونحن نتذاكر هذا الموضوع..فذكر أحدنا أن شيخ الوعاظ في مدرسة القرآن..الإمام الحسن البصري شرح معنى حسن الظن بالله شرحاً عجيباً مؤثراً فقال:

(إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة، ورجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمالٌ صالحةٌ..خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمالٌ صالحة،

يقول أحدهم: إني لَحَسَنُ الظنِّ بالله، وأرجو رحمة الله وكذب، لو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة – أي الصحراء – من غير زادٍ ولا ماءٍ أن يهلك).."، وهل هناك مفازة وصحراء مظلمة أعظم من عرصات القيامة؟.. حيث ألم المذنبين..حيث الحسرة والندامة.. ثم أخذت المتكلم نشغةٌ من بكاءٍ..فتحامل على نفسه، وكفكف دمعه، والتفت نحو صاحبنا المنيب المسجى على فراشه في حبٍّ ورجاء، وقال:

لما تذاكرنا ذلك في مجلسنا، وسمع هذا الحبيب كلام الحسن البصري قال: فماذا تنتظرون هلم فَلْنُزَكِ مجلسنا بطاعةٍ من ذكرٍ وصلاة..يذكرنا الله بها يوم نلقاه.."

حسن ظني بحسن عفوك يا ربُّ جميلٌ، وأنت مالك أمري
صنتُ سري عن القرابة والأ هل جميعاً وكنتَ موضع سري
يوم هتك الستور عن حُجُبِ الغيب فلا تهتكن للناس سري
لقنّي حجتي وإن لم تكن يا رب لي حُجَةٌ ولا وجه عذرِ

إنه صاحب القلب المنيب: لم تجتمع عليه سكرة الموت وحسرة الفوت..واحدةٌ تكفي:

نعم! نعم! ها هنا يكون حسن الظن بالله بعد عمرٍ حافلٍ بالصالحات، وكتابٍ للحياة مليءٍ بالحسنات..دخل بعض الأحبة على شيخٍ من شيوخ التربية الإيمانية هو أبو حازم

الأعرج لما حضره الموت فقالوا له: يا أبا حازم كيف تجدك؟ قال: أجدني بخيرٍ..أجدني راجياً الله عز وجل..حسن الظن به..إنه والله لا يستوي من غدا وراح يعمر عقد الآخرة لنفسه، فيقدمها أمامه قبل أن ينزل به الموت حتى يقدم عليها فيقوم لها وتقوم له، ومن غدا وراح في عقد الدنيا يعمرها لغيره ويرجع إلى الآخرة لا حظ له فيها ولا نصيب.[1]

مسك الختام لخير حياةٍ مع الأنام:

وهنا استنار وجه الشاب المخبت المنيب، ورجفت الشفتان تتمتمان..وتساءل الناس وهم ينظرون: إنه يريد أن يقول شيئاً..ماذا يريد أن يقول؟ أهو تأوهٌ؟ أهي وصيةٌ لم يكتبها؟ لا! إنه ينطق بكلمات النور..نطق بأجل كلمةٍ يتحرك بها اللسان، ويفكر بها الجنان..وأعذب ترنيمٍ يحب أن ينطق به المؤمن في آخر لحظات حياته الدنيا بلهفة وحبٍّ وحنان.. لقد بدأ يرفع صوته ويكرر كلامه كأنما يستمع له المشرقان والمغربان..فتتضح كلمات النور من شفتيه: **لا إله إلا الله محمدٌ رسول الله**..

اخضلت الوجنات بالدموع بين الحاضرين..عندما سمعوه ينطق بكلمة التوحيد، واعتراهم الشوق له والحنين..

كبَّر بعضهم فقال: الله أكبر..هتف آخرون: لقد دفع ثمن الجنة..وتسلم مفتاحها.

أليس ثمنها لا إله إلا الله..؟..

أليس مفتاح بابها: لا إله إلا الله؟.

قال بعض الحاضرين والدموع تغالبه:

لله حياته ولله موته..لقد ثبته الله ﴿ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ (إبراهيم:27).[2] وحانت التفاتةٌ حادةٌ غريبةٌ من أحد الحاضرين نحو صاحب القلب المنيب المسجى على فراشه

1- حسن الظن بالله ص116.
2- كما قال ابن عباس.. انظر: تفسير القرطبي9 / 365.

..كانت التفاتته مدهشةً حتى نبهت من حواليه..فسألوه عن ذلك فقال:

ألا ترون إلى إشراق لونه..انظروا إليه..كم هو مشرق اللون..صدق الله ورسوله، فقد قال ﷺ: ((إني لأعلم كلمةً لا يقولها عبد عند موته إلا أشرق لها لونه، ونفَّس الله عنه كربته، ورأى ما يسره..وهي لا إله إلا الله)).[1]

ثبته الله حتى نطق بكلمة التوحيد..في هذا الموقف الصعب الشديد..نطق بكلمة التوحيد.. فاستحق الهناء والتمجيد.. وخسئ بذلك عدوه الشيطان المريد..فكيف يشقى وقد كان في صحته وعافيته وساعة موته مع الولي الحميد:

كيف أشقى؟! وقد أنرتَ سبيلي وشرحتَ الفؤاد بالتنزيلِ
كيف أشقى؟! وأنت مني قريبٌ تتجلى بِبِرِّكَ الموصولِ
كيف أشقى؟! وأنت مالكُ أمري أنت حسبي وراحمي ووكيلي
كيف أشقى؟! وقد رحمتَ لجوئي ورميتَ العدو بالتخذيلِ
كيف أشقى؟! ومهجتي في هناءٍ أنت يا رب مؤنسي وخليلي[2]

1- أحمد1/ 161 في قصة ماتعة، وصحح إسناده الأرناؤوط، وقد رواه الحاكم وصححه ووافقه الذهبي.
2- من قصيدةٍ لشاعرنا المبدع عبد الرحمن العديني وفقه الله تعالى.

المشهد الثاني

الغيب يتحول إلى شهادة:
نحن ﴿أَوۡلِيَآؤُكُمۡ﴾..إنه إعلان السعادة

الدرس الخامس:

آخر استفاقةٍ..انظر من القادم ليلقى أحباءه وعشاقه:

الناس حول الشابِّ المنيب بين جاهشٍ بالبكاء، ومترقبٍ يلهج بالدعاء:

لمْلِمْ بقايا قلبِك المتصدّعِ وارحم جفونك من لهيب الأدمعِ

ولكنهم لا يدرون..لا يدرون أن مفاجآت السعادة بدأت تتوالى عليه من السماء..ففي هذه الأثناء بدأت تحدث له قصةٌ عجيبة لا يدركها النائمون لا..ولا الأصحاء:

استقبل العالم الجديد..نعيمٌ أعد لكل أواب برٍّ قانتٍ سعيد:

كان وحده يرى سبب سكينته وأنسه..وحده بين أكوام الناس المتحلِّقين حوله المحيطين به يشاهد معنى سروره وعرسه..إنه يرى عالماً جديداً.. مخلوقاتٌ نقيةٌ بديعة الخلق..حسنة الوجوه حسنة الثياب من الملأ الأعلى..يراها وهي تتنزل عليه بصورةٍ لا أبهى ولا أحلى..ثم هاهي – وفي لحظاتٍ – قد اجتمعت عليه، وحفَّت بسريره، وملأت عليه مجلسه..يا للعجب! هو لا يستطيع فتح عينيه بصورةٍ سويةٍ ليشهد أهله وأعز أصحابه ما حوله من الأنباء والخبر..ولكنه يستطيع أن يشهد عالماً جديداً تعجز أن تراه أعين الأسوياء من البشر..إنه يرى عالم الغيب يتحول في هذه اللحظة الحاسمة من حياته إلى عالم شهادة..
﴿نَذِيرٗا لِّلۡبَشَرِ ٣٦ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَتَقَدَّمَ أَوۡ يَتَأَخَّرَ ٣٧﴾ (المدثر).

من هي هذه المخلوقات التي يراها تملأ عليه ناظريه..وما زال يراها تتوافد وتتنزل عليه؟ إنها الملائكة تتنزل عليه بأمر ربها..والناس حواليه للحقائق لا يشهدون، بل هم في شغلٍ آخر غافلون..والبيان الرباني يخاطبهم: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ (الواقعة)..

ينظر القانت إلى الملائكة هادئاً ساكناً..لو استطاع لنطق مُرَحِّباً..لو استطاع لنطق محيياً..لو استطاع لتحرك طرباً، لو استطاع لقال كما قال محمد بن المنكدر لصفوان بن سليم عند موته: (لو ترى ما أنا فيه لقرت أعينكم).[1]

دعـــوه! لا تلومـوه! دعـــوه! فقـد علـم الـذي لـم تعلمـوه
رأى عَلَم الهـدى فسمى إليـــه وطـــالـب مطلباً لـم تطلبـــوه
أجـــاب دعـــاءه لمـــا دعـاه وقـــام بحـقـــه ووضعتـــموه
بنفـــسي مـــن ممنـــوح قـــربٍ وطاعم مطعـمٍ لـم تطعمـوه[2]

لأول مرةٍ: إنها أصوات الملأ الأعلى تُسْمَعُ في الدنيا:[3]

الملائكة تتوافد عليه..رآها وهي تتنزل عليه..هكذا وصفها ربنا – عزَّ جاره – ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾(فصلت).

ملائكة الرحمة والحنان ما إن تتنزل عليه، وتجلس من حواليه مدَّ البصر.. حتى تنطق مبشرةً له بما هو أثمن من الذهب والجواهر والدُّرر..تقول له: لا تخف ولا تحزن.

1- وقد ثبت في تراجم بعض أهل العلم وغيرهم من الصالحين أنهم كانوا يرحبون بملائكة الرحمة عند نزولهم.
2- النور السافر عن أخبار القرن العاشر ص172.
3- كيفية قبض روح المؤمن وردت في روايات كثيرة متواترة منها في البخاري1/ 462، 1/ 448، مسلم 4/ 2200.. ومن أجمع هذه الأحاديث حديث البراء بن عازب الذي رواه أحمد 4/ 278، وأبو داود 4/ 239، والحديث مشهور معلوم الصحة، وتم تخريجه في المقدمة..ومن ذلك حديث أبي هريرة الذي رواه ابن حبان 7/ 283..ومعظم ما سيرد في هذا المشهد والمشهدين اللذين يليانه يرجع إلى هذه المراجع، ولذا لن يعود الكاتب للتوثيق..

الله! الله!..إنه يسمع الآن البشرى..البشرى بالنجاح في مسيرة حياته الحافلة بالأعمال الصالحة..لقد كان ينتظر سماع ذلك أكثر من انتظار العاشق لمحبه، وأعظم من خبر الانتساب إلى الوظيفة المرموقة أو التفوق في الدراسة لطالبه..نطقت الملائكة ففاح النطق شذاً وعبيراً ولو استطاع لامتلأ هو بها تيهاً وسروراً، وكانت أول كلمةٍ يسمعها تساوي الدنيا وما فيها، لقد قالت له: لا تخف ولا تحزن..

في ساعة الانتقال: كفاها بشرى.. من أوليائه ومحبيه من الملأ الأعلى:

ماذا سيقول – لو استطاع أن يقول – وأول كلمةٍ من عالم الغيب يسمعها: لا تخف ولا تحزن.. يا للملائكة الحبيبة! سخرها الرب الودود لتستغفر له في الدنيا، ولتستغفر لمن معه من الذين آمنوا..كانت تقول وهو حيٌّ صحيحٌ سويٌّ قوي.. يعبد ربه الجليل..تترنم بأعظم كلمات المحبة التي بيَّنها التنزيل..وتُظْهِرُ في كلماتها إشفاقاً عليه وعلى أصحابه في الدنيا في وقتٍ عزَّ فيه الصاحب النبيل:

﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ (غافر)..

كان في دنياه يسمع ترنيمها في القرآن تطلب للمؤمنين التكريم.. فتقول: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾(غافر)..

كان في دنياه يرى إشفاقها على المقصرين من عذابٍ أليم..فتقول: ﴿وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ ۚ وَمَن تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ ۚ وَذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾(غافر)..

الله! كان يرى حبَّها له في الدنيا..يحسُّ به..فيمتلئ قلبه طمأنينةً وبِشْراً..وها هو ذا الآن يسمعها بأصواتها العذبة، ويراها بهيئاتها النقية..وهي تزف له أعظم كلمةٍ كان ينتظرها مذ عرف الله والرسول والدنيا والآخرة والجنة والنار: لا تخف ولا تحزن..

أتنتظر –أيا حبيباه– أن يحدث لك المشهد ذاته بلهفٍ وشوقٍ كما كان ينتظره؟.

بداية الزفاف:

ما زال الطاهر المخبت المنيب في دنياه تغالبه السكرات، الناس من حوله في شغلٍ عظيمٍ وحزنٍ جسيم، وهو في شغلٍ عنهم في فرحٍ لا يستطيع التعبير عنه بسبب آلام الموت..وإن كان بهاء ملائكة الرحمة ونورها قد انعكس على وجهه، وهو بين الحياة والموت..

ربما تساءلتَ: ما معنى تلك البشرى؟ فاسمع الجواب يا صفوة الأحباب..من ربك التواب..إذ يصف لنا ربنا – عزَّ جاره – مشهدَ تَنَزُّل الملائكة عليه بأدق التفاصيل..أبشر أيها المخبت فلك مصيرٌ كهذا المصير الجميل، إن عشت لربك حقاً وأنت بين يديه عبدٌ مُخبتٌ ذليل..

إنها "تتنزل عليه فيما يَعِنُّ له بما يشرح صدره، ويدفع عنه الخوف والحزن"[1]، وتُعْلِنُ بذلك بدء مراسيم زفافه إلى الآخرة..فتقول له: لا تخف مما يستقبلك من أمر الآخرة، ولا تحزن على ما يستدبرك من أمر الدنيا؛ فإن كل شيءٍ ترجوه سيتحقق لك وما هو أعظم منه، وكل شيءٍ تخشاه سيُدْفَعُ عنك، وما هو أعظم منه..كأن الملائكة تقول له: أتخاف من الأمور العظام التي تستقبلك بعد الموت؟[2] فلا تخف..فإنك تستقبل الموت ويستقبلك وقد أويتَ إلى ركنٍ شديد..إنه ركن الله..**أليس هو الصاحب في السفر**..بل والحضر..وهو المليك المقتدر؟ ومع ذلك فأنت أيضاً في حراسة الكرام المقربين، من الملائكة الأطهار القانتين، وستُخَفَفُ عنك آلام الموت فاطمئن ولا تخف..فكل أمر تحبه متحققٌ مستقر.

وعلام تحزن؟ أتحزن على ما خلفت من أهلٍ ومالٍ وبنين؟ فلا تحزن على ما خَلَّفْتَ..فإن ولاية الله لك ستجري فيهم بما تحب كما لو كنت حياً وأفضل من ذلك **أليس هو الخليفة في الأهل؟.**

1- انظر: تفسير البيضاوي 5 / 114.
2- هذا تفسير مجاهد.

اسمع إلى الملائكة تقول له –كما يقول مجاهد–: لا تخافوا الموت، ولا تحزنوا على أولادكم فإن الله خليفتكم عليهم.[1]

أيها القانت الأواب: لا تخف أن يُرَدَّ ثوابُك، ولا تحزن على ذنوبٍ فرطت منك في حالة ضعف:

كأن الملائكة تقول: أيها القانت: ممَ تخاف وعلام تحزن؟ أتخاف يا ولي الله أن يُرَدَّ ثوابك، وألا يقبل عملُك.. خوفاً من أن يكون صَاحَبَهُ رياء، أو قلقاً من ألا تكون أتقنتَه، أو إشفاقاً من الذنوب التي اقترفتَها عندما ضعفت نفسك.. فخشيت أن تهلك الذنوبُ صالحَ الأعمال..؟ ها هي ذي الملائكة تقول له –كما يقول عطاء بن أبي رباح –: لا تخافوا رد ثوابكم فإنه مقبول، ولا تحزنوا على ذنوبكم.. فإني أغفرها لكم.[2]

لله أنت أيها القانت الأواب: لطالما كنت تفزع من ذنوبٍ فرطت منك في لحظة ضعفٍ، وتخاف من علام الغيوب على أفعالٍ سالفات خشيتَ من مغبتها..هنيئاً! لقد كانت التوبة نصوحاً، وعاد الشيطان بعد أن أُوعِكَ باستغفارك خاسئاً كسيحاً:

اعـــفُ عـــني وأَقِـــلْ عثرتي يـــا غياثاً لملـمـــات الـــزمـــن
رب لا تعاقبني فقـــد عاقبنـــي نـدمٌ أقلـق روحي فـي البـــدن
إن تؤاخذني فمن ذا أرتجـي؟ وإن لـم تعف عن ذنبي فمن؟

ولم الخوف أو الحزن وأمامك الآن دار السعادة، وعند ربك أعم الوفادة:

تظل الملائكة توالي التبشير على هذا العبد المنيب..المحتضر، فبعد كل التطمينات السابقة تختم البشرى له بما كان ينتظر سماعه فإن عمله في الدنيا، ونجاحه في اختبارها يتوقف على

1- انظر: تفسير القرطبي 15/ 359.
2- تفسير القرطبي15 / 359.

أن يسمع أنه **قد استحق الجائزة المترتبة على النجاح وهي..ما هي الجائزة المنشودة؟ إنها الجنة** التي ما نام يوماً عن سؤالها، ولا غابت ساعةً عن باله..

ولذا تبادره ملائكة الرحمة من حبها له بكبرى البشائر: ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾(فصلت)..الجنة التي وعدك بها الله، وحدثتك عنها الرسل..أبشر بها أيها المنيب..فالآن موعد رحيلك إليها:

فحي على جنات عدنٍ فإنها منازلُك الأولى وفيها المُخَيَمُ

أيها الأبرار الصالحون: أبشروا ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (فصلت) بها في الدنيا فإنكم واصلون إليها، مستقرون فيها، خالدون في نعيمها.

أيها الحبيب الصفي: في رحلة الأهوال القادمة الصحبةَ..الصحبةَ:

لربما خطر ببال المؤمن ساعتها إن أمكنه التفكير[1] أن يتساءل في لحظة وجومٍ بعد نشوة فرحٍ: ولكن الرحلة من سكرات الموت إلى دار السعادة يتخللها القبر وأهواله، والقيامة وعرصاتها، والحساب وفضائحه، والعبور على جسر جهنم وشدته..فكيف سأصل إلى الجنة؟ كيف السبيل للأمان في هذا الطريق الذي تُنْسَفُ فيه الجبال، وتخبو فيه أنوار الشمس والقمر؟ كيف السبيل للأمان؟ وهاهنا تقطع عليه الملائكة حبال تفكيره لتطمئنه عن السبيل للوصول إلى الجنة فتقول له: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (فصلت: 31) نحن معكم في الدنيا والآخرة..فلا تفزعوا من وحشة الطريق.. فنحن – كما يقول مجاهد – : نحن قرناؤكم الذين كنا معكم في الدنيا، فإذا كان يوم القيامة قالوا: لا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة..

تقول لهم الملائكة – كما يقول السدي وغيره – : نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا نحفظ

2- يظهر أنه يمكنه التفكير بدليل استيعابه لمعاني هذه البشائر، ولثبوت ذلك على من يغشى عليه من الموت، وقد قال النبيﷺ في مرض موته قبل قبضه بلحظات وهو يخير من جديد: في الرفيق الأعلى الأسعد..

أعمالكم، ونلهمكم الحق، ونحملكم على الخير.. نسددكم، ونوفقكم، ونحفظكم من بين أيديكم، ومن خلفكم بأمر الله بدل ما كانت الشياطين تفعل بالكفرة، وسنبقى معكم في الآخرة نؤنسكم من وحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط، ونوصلكم إلى جنات النعيم[1] حينما يتعادى الكفار وقرناؤهم[2] ..حتى نسلمكم إلى الجنة..إلى دار السعادة..

أجل..كان الحفظة وملائكة الرحمة قريبين من المؤمن في الدنيا لقربه من ربه..وكانوا يحفظونه ويتولونه لأنه تولى الله:

من له في ثروة الهادي نصيب فهو من جبريل في الدنيا قريب

وهذا التبشير يتكرر عند موته وفي قبره وحين يبعث[3] زيادةً في التطمين لشدة الهول في يوم الفزع المبين.

..بل اطمئن يا ولي الله فإن الملائكة تتولاك، والله من قبلها وبعدها يتولاك فالله ولي المؤمنين ومولاهم..[4]

أيها المشتاق.. هل أتاك نبأ قصة حبٍ طاهرٍ صادقٍ بين مخلوقين..تجاهله العشاق[5]:

إنها قصة الحب الممتدة من الدنيا وتبقى حتى تستقر أيها العروس في قصرك الأبدي، وملكك السرمدي: قصة الحب الطاهر بين الملائكة الكرام الحافظين وبين البشر المؤمنين، ولذا تتابع الملائكة أخلاءها المؤمنين في الدنيا بالاستغفار لهم والدعاء، وبالحفظ من الآفات والبلاء، وفي سكرات الموت تأتيهم مبشرةً مُهَنِّئَةً، ويوم القيامة تتلقاهم كأحر ما يكون

1- تفسير القرطبي 15 / 359.
2- تفسير ابن كثير 4/ 100.
3- البيضاوي 5 / 114.
4- انظر: تفسير القرطبي 15 / 359.
5- لفظة العشق هنا من باب المجاراة في بيان شدة الحب لا بالمعنى المعروف وهو العشق لمن ينكح فهو غير مراد في الكتاب.

التلقي، وفي الجنة تدخل عليهم من كل باب، وسنتتبع قصة الحب هذه عياناً كما بينها القرآن المجيد.

وحسبك أن تعلم هنا – أيها المشتاق – أن الملائكة تبادر إلى تبشيرك في المواطن العصيبة بما يرفع عنك الهمَّ ويُذْهِبُ عنك وعورة الموقف:

كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾(يونس: 64) إذا المراد بذلك بشرى الملائكة للمؤمن عند احتضاره بالجنة والمغفرة، وأما بشراهم في الآخرة فكما قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ (الأنبياء)[1]...

أيها الغريب..في دنياه.. الشاكي من عدم الصاحب القريب: احفظ الله في دنياك فإن الملائكة تحبك وتصحبك في دنياك وأخراك ...ولنعد إلى العبد المنيب المسجى على فراشه:

دغدغة عواطف العبد المخبت على فراش موته بذكر بعض نعيم دار السعادة:

ومن حب الملائكة للعبد المنيب وتبشيرها له، وقربها منه، ورغبتها في التخفيف عنه من آلام الموت تنطلق في ذكر بعض ما سيلقى في دار السعادة..تدغدغ عواطفه، وتهيئ نفسه، وتفعمه فتقول له بعد ذلك: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ (فصلت) كأنها تقول له: يا حبيب! ماذا تريد أكثر من التبشير بالجنة؟ على عادتكم أيها البشر! تقلقون على الرغم من أننا قد بشرناكم بأعظم بشرى..ألا نخبركم عن الجنة..ألا نشوقكم لتحبوا نزولنا عليكم لقبض أرواحكم: لكم ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ (فصلت) لكم ما تسألون وتتمنون وتطلبون.. فمهما طلبتم وجدتم وحضر بين أيديكم كما اخترتم[2]، وذلك كله ﴿نُزُلًا﴾(فصلت: 32) ضيافةً لكم ﴿مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (فصلت) رد نزولك

1- تفسير ابن كثير 2 / 425.
2- تفسير ابن كثير 4 / 100.

في دار السعادة، ومكان الريادة يتحقق لك ذلك..فهو مقدمٌ لك من غفورٍ رحيم[1].

ألا يكفيك يا ولي الله أن لك في الجنة ما تشتهي نفسك..ولك فيها ما تطلب..من طعام وشرابٍ ولباسٍ ونساءٍ، وخدمٍ وولدانٍ وقصورٍ، وأراضٍ وأنهارٍ، ووسائل نقلٍ، وبُسُطٍ، وكؤوسٍ، وأكوابٍ...وَسِّع خيالك وعَدِّدْ إن أحببتْ..لا تعدد! لأن لك فيها ما تشتهي نفسك وتقَرُّ عينك من الملاذِّ..حتى.. لما سأل رجل النبي ﷺ عن الجنة أفيها خيل؟ قال: ((ذلك لك، ولك ما اشتهت نفسك وقرت عينك)) كأنه يقول له: اطمئن ففي الجنة خيلٌ لا كخيول الدنيا، ولا تهتم لأن لك كل ما تشتهي نفسك..ولك كل لذةٍ هنيئةٍ طيبةٍ، ونعيمٍ عظيمٍ مما لم يخطر ببالك..وبه تقر عينك..يا ولي الله فهل عرفت لماذا قال النبي ﷺ: ((وقرت عينك)) بعد قوله: ((تشتهي نفسك))..وفي رواية تبين بعض مواصفات الخيل أن عبد الرحمن بن ساعدة قال: كنت أحب الخيل.. فقلت: يا رسول الله! هل في الجنة خيل؟ فقال: ((إن أدخلك الله الجنة يا عبد الرحمن كان لك فيها فرسٌ من ياقوت له جناحان يطير بك حيث شئت))[2].

يا ولي الله فما تريد بعد ذلك أكثر؟ استمع مشتاقاً ثم ارفع يديك راجياً وقل: اللهم اجعلنا من أوليائك يا أرحم الراحمين.

ولكن من الذي يحقق كل هذا؟ من الذي يجعل الأمنيات واقعةً، والغيب شهادةً، والخيالات حقيقةً، والرجاء ماثلاً أمام الأعين؟.

تقول له الملائكة: كل ذلك لكم-يا ولي الله-: ما تشتهي نفسك، وكل ما تطلب سيتحقق لك رزقاً وضيافةً يضيفكم بها الغفور الرحيم..نعم الغفور الرحيم ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (فصلت)..

أيها الحبيب المشتاق: أتدري لماذا اختارت الملائكة وصف الله بالغفور الرحيم في هذا

1- نزلاً على التفسير الأول منصوب على الحالية، أو جمع نازل وهو حال أيضاً..وهذا هو التفسير الأول لها.
2- الطبراني في الكبير 4/ 180..مجمع الزوائد 1/ 75، وقال: رواه الطبراني ورجاله ثقات.

الموضع؟ لم تختر هذا الوصف إلا ليظهر لك يا ولي الله أن الله–جلَّ جلاله– يعامل أولياءه هناك وينظر إليهم من منطلق غفرانه..لذنوبهم، كأنها تقول له: يضيفكم في دار رحمته من منطلق غفرانه لذنوبكم، ورحمته بكم بإدخالكم دار السلام، ومحل الكرام.. فلن يقابلكم بأسمائه الحسنى التي فيها القهر والجبروت والهيمنة والانتقام..كلا! كلا.. بل يقابلكم باسم الغفور الرحيم[1]..وهذه الكلمة البديعة ﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾(فصلت) تشعر بأن ما يتمنون بالنسبة إلى ما يعطون قليلٌ..فإن ما يُعطونه لا يخطر على بالهم فكيف يتمنونه؟..ذلك كالنزل للضيف لا يخطر على باله ما سيقدم له غالباً[2]..

إنها البشرى..تتابع..أما المجرمون فيقولون حجراً محجورا:

وهكذا تمضي ملائكة الرحمة في تبشير ولي الله في كل موطنٍ من مواطن الانتقال إلى رحمة الله الخالدة في الجنة، فإنها تبشره –كما يقول وكيع وابن زيد–: في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث[3]،

وقارن بين هذه البشرى في هذا الموقف وبين حال المجرم الذي يقول الله تعالى عنه: ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾(الفرقان) وذلك في وقت الاحتضار حين تبشرهم الملائكة بالنار والغضب من الجبار، فتقول الملائكة للكافر عند خروج روحه: أخرجي أيتها النفس الخبيثة في الجسد الخبيث.. اخرجي إلى سموم وحميم، وظل من يحموم، فتأبى الخروج، وتتفرق في البدن فيضربونه..يا للضرب..لو تراهم في ذلك الموقف لرأيت شيئاً مفزعاً عظيماً ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾(الأنفال) بخلاف حالك أيها المؤمن المخبت القانت في وقت احتضارك فإنها تبشرك بالخيرات، وحصول المسرات"[4]..أأصغيت سمعك لهذه البشائر؟..

1- هذا هو التفسير الثاني بجعل نزلاً مصدراً منصوباً. انظر تفسير القرطبي15/ 359.
2- البيضاوي 5 / 114.
3- تفسير القرطبي 15 / 359.
4- تفسير ابن كثير 3 / 315.

يا لهفة عبدٍ وهو يسمع هذه البشرى،

لله لهفة عبدٍ وهو يوالي المعصية تلو المعصية في حياته الحسرى،

لله لهفة عبدٍ وهو يقدم لذائذ دارٍ دابر أهلها مقطوعٌ مصبحين...

لله لهفة عبدٍ وهو يَطَّرِحُ قيام الليل ويبيت في غفلاته تارةً بعد أخرى..

ويل عبدٍ.. ألم يعلم بأن الله يرى..

قم في ظلام الليل واقصد مهيمناً يـراك إليـه فـي الـدجى تتوسلُ
وقل يا عظيم العفو لا تقطع الرجا فـأنـت المُنـى يـا غايتي والمؤمَّلُ
فيا ربِّ.. فأقبل توبتي بتفضـلٍ لمـن اشتكى حالي.. ومن أتوسلُ؟

بعد هذه البشائر المتتابعة: ما هي أعظمُ أمنيةٍ لك أيها المخبت المنيب:

ماذا تتوقع من المخبت المنيب بعد سماعه كل تلك البشائر إلا أن يطير قلبه فرحاً وشوقاً للقاء ربه، وهنا يتجدد على الأسماع الأوابة، والقلوب المخبتة التوابة، والنفوس الشريفة المهابة قول النبي ﷺ: ((من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه)) قلنا: يا رسول الله! كلنا نكره الموت. قال ﷺ: ((ليس ذلك كراهية الموت، ولكن المؤمن إذا حضر جاءه البشير من الله تعالى بما هو صائرٌ إليه، **فليس شيءٌ أحب إليه من أن يكون قد لقي** الله تعالى، فأحب الله لقاءه..))[1]..

يا أيها المخبت الأواب: انظر إلى وصف النبي ﷺ: **فليس شيء أحب إليه من أن يكون قد لقي الله تعالى..**

يا ساهر الليل أرقاً تفكر في جنات عدن..ها هو ذا يومك هلَّ واقترَبْ..

1- ابن حبان 7/ 280.

يا دامع العين خوفاً من النار، وشوقاً إلى دار السلام.. ها هو ذا طريقك قد أُضيئت أعلامه فسبّح واقترِبْ..

يا ساجداً يناجي ربه في ظلم الليالي بقلبٍ محبٍ مضطرِب..ها هو ذا منار سعدك قد ظهرت حقائقه، وانتهت أوهامه..فماذا تنتظر؟ ماذا تنتظر؟ أسرج الشراع، وأَعْلِنْ في الناس الخبر الذي تُحِبُّ أن يُذاع: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ (يس)..

يا لخبرٍ تقف الدنيا تعجباً له: المخبت المنيب ينتظر بفارغ الصبر أن يخرج من دنيا الأوهام..

يرى أن عيشه بعد سماع هذه البشائر حرامٌ في حرام..يرى أن عيشه بعد سماع هذه البشائر تأخرٌ عن نيل المرام..والباكون من حوله لا يعلمون أي سعادةٍ يذوق، وفي أي أمرٍ قد انشغل عنهم وهام..يبكون..يبكون وربما يصرخون يودون لو يبقى ساعةً من نهارٍ، أو يُمتَعون به سائر الأيام.. ما علموا أنه يود أن يُعَجَلَ به إلى ربه..إلى دار السلام.

أيتها الملائكة الطاهرة: عجلي..عجلي..يا رب طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك:

بدأ المخبت الأواب يتغرغر، وشعر الناس من حوله أن الروح قد بلغت الحلقوم، فما من الموت مفر.. واهتز بعضهم إشفاقاً عليه، وحباً له، وبرزت الدموع الحزينة تترى لا تستقر.. ولشدة الحب، وقسوة الفراق عاد الأمل يتحرك في قلب أحدهم فظن أنه يمكن شفاؤه بوسيلةٍ أو بأخرى..وهكذا طبع المحبين..يودون أن يدفعوا عن أحبتهم الفراق ولو كان عين اليقين..قام يتحرك داخلاً وخارجاً عسى أن يُهْدَى لتذكر طبيبٍ يعالجه، أو علاجٍ يسعفه...ولكن هل يمنع المقدر المحتوم؟..وكيف تُرى السماء الصافية وقد ملأت ساحتها الغيوم؟..

وانهارت مقاومة الأحباب، وجثوا على ركبهم في عجزٍ وهم يرون حياة صاحبهم قد استحالت إلى سراب، ورفعوا أيديهم إلى الله في ذلٍ واقتراب، ونادوا مجدداً بصيحاتٍ متأوهةٍ قد مُزِجَتْ بدموع الإحباط والاحتساب..نادوا﴿وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ۝٢٧﴾(القيامة)؟ هل من شافٍ؟[1] ..أطلقوا صيحاتهم الملتاثة بدموعهم..هل من راقٍ؟ "على وجه الاستبعاد واليأس أي ما يقدر أحدٌ أن يرقيه من الموت"[2]..ومنادي الحق ينادي ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ۝٨٣ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ۝٨٤﴾(الواقعة)..

وأنتم حينئذٍ تنظرون أمري وسلطاني..فلا تستطيعون إلا الإذعان والتضرع..وأنتم حينئذ تنظرون إلى الميت لا تقدرون له على شيءٍ ... إنه لقاء الموت " وصلت الروح إلى هذا الموضع بحيث فارقت ولم تفارق.. فهي برزخٌ بين الموت والحياة، كما أنها إذا فارقت صارت في برزخٍ بين الدنيا والآخرة"[3]، ومنادي الحق ينادي: هل أنتم ﴿تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٨٧﴾ (الواقعة) هل تستطيعون ذلك؟.

هل للفتى من بنات الدهر من واقي؟ أم هل له من حمام الموت من راقي؟

آخر نظرةٍ إلى دنيا الكدح:

هنا تمَّ الوصف القرآني للحظات القبض الأخيرة المشاهدة لمن حول الحبيب المنيب:

1) بدا اليأس من الطبيب، واستولى الضيق على كل صدرٍ رحيب، حزناً على فراق العبد المنيب.

2) هنا﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾(القيامة) ظنَّ ثم تيقن حبيب النفوس أنه الفراق للدنيا وخاصةً بعد أن عاين الملائكة، وتيقن من حوله أنه الفراق لحبيبهم﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ۝٢٨﴾ (القيامة) فراق الدنيا والأهل والمال والولد..

1- على التفسير الثاني بأن ذلك كان على وجه الاستبعاد لا البحث عن طبيب وهو التفسير الأول، وقد تقدم في مكانه.
2- تفسير القرطبي 19/ 112.
3- التبيان في أقسام القرآن ص148.

أسعديني بدمعك الرقراقِ لفراق الحبيب يوم الفراقِ

3) ونظروا إليه، فإذا ساقاه..ساقاه تلتفان أحياناً مع شدة النزع﴿وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾﴾ (القيامة) فاتصلت بجسده الضعيف شدةٌ بشدة..شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة[1] فهو بلاءٌ ببلاء، والتفت لهذه الشدة والسكرات ساقاه..أما رأيته إذا أشرف على الموت يضرب إحدى رجليه على الأخرى[2]، ثم ترى رجليه تموتان، وساقيه تيبسان فلم تستطيعا حمله ولقد كان عليهما جوالا[3]..يا لشدة الضعف، ورقة الحال، وهيئة العجز التي يصير إليها عبدٌ طالما حاول ملء الدنيا ضجيجاً وصراخاً..فقد اجتمع عليه أمران شديدان: الناس يجهزون جسده، والملائكة يجهزون روحه[4]..

هنا يلقي آخر نظرةٍ على الدنيا..إنه آخر يومٍ من الدنيا وأول يومٍ من الآخرة تلتقي الشدة بالشدة إلا من رحمه الله.. تلتقي شدة كرب الموت بشدة هول المطلع..إلى أين؟ إلى أين؟﴿إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾(القيامة) ..ولكن المخبت يساق إلى ربه الذي كان به في الدنيا حفياً، وهو جاعله في الآخرة رضياً..

ثم جري لصاحبنا المخبت في هذا الهول، والمنظر المحزن لطفٌ آخر يخفف عنه الكربة، ويلطف شدة خروج الروح من البدن..فماذا حدث؟.

1- كما هو تفسير ابن عباس (رضي الله عنهما).
2- كما هو تفسير الشعبي وقتادة.. انظر: تفسير القرطبي 19 / 112.
3- كما هو تفسير الحسن البصري. تفسير القرطبي 19 / 112.
4- هذا قول الضحاك وابن زيد.

المشهد الثالث

رحلة الخروج:
إنه الزفاف وسعادة العروج

نعيمٌ في عذاب الموت؟ هل تتصور ذلك؟:

والآن وحتى لا يطول عليك الأمر..أشِرف بهدوءٍ حتى تشاهد ما يحدث للعبد المنيب في هذه اللحظات، انظر إليه، وعاين حاله بعين البصيرة فهي أنفذ من رؤية البصر:

بهاءٌ وسناءٌ..إنها رحلةٌ في آفاق الجمال..تلمع في بداية الترحال:

هاهو ((العبد المؤمن..في انقطاعٍ من الدنيا، وإقبال من الآخرة))[1].. وها هي ذي ملائكة الرحمة قد نزلت إليه ((من السماء))..فما أجمل أشكالهم، وما أطيب ريحهم، فهم ((بيض الوجوه..-بيض الوجوه حتى- كأن وجوههم الشمس)).. كأن وجوههم الشمس الصافية..أرأيت نورها وسناها؟ ألمحت كيف تسبغ على الأرض بهاءها وإشراقها..فكأنهم هي، وكأنها هم أولاء، ولكن ما هذا الذي معهم؟ يا لجمال منظره، ولنعومة مخبره، ويا لعبق رائحته..إنه ((كفنٌ من أكفان الجنة، وحنوطٌ من حنوط الجنة)) وهذا الكفن عبارةٌ عن ((حريرةٍ بيضاء)) حتى توضع الروح فيها، ولا بد من تطييبه مع طيبه، ولذا كان الحنوط مع الكفن..الكفن لباس.. والحنوط عِطْرٌ حسنٌ يملأ الأنفاس..وفي زحمة الناس.. أخذت ملائكة الرحمة أمكنتها..ليت الناس الباكين حوله يشهدون عرسه..فإن الملائكة قد جلست منه ((مد البصر)) ((ثم)) لا يتم نشط الروح إلا بوجود ملك الموت العظيم بهيبته وقوته، ولذا تنتظر الملائكة لنزول ملك الموت ليستل روحه..ها هو ذا! هاهو ((يجئ ملك الموت -عليه السلام-حتى يجلس عند رأسه))، انظر إليه.. يشتد عليه الموت..ويتألم لخروج روحه..ولكنك

1- هذا حديث البراء المشهور الذي رواه أحمد 4/ 278، وأبو داود 4/ 239، وتقدم تخريجه في المقدمة.

إذا انتقلت إلى عالم الغيب فإنك ستراه تأتيه ملائك ربه من ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝٢﴾ (النازعات) طيبين مطيبين ..فيبدؤون بجذب روحه برفقٍ فـ(تنشط أرواح المؤمنين) أي تُحَلُّ حلاً رفيقاً كما ينشط العقال من يد البعير، وكما ينشط الدلو من البئر فيحل حلاً برفق..بخلاف الكافر الذي تنزع روحه نزعاً مغرقاً في النزع.. وتسبح الملائكة سبحاً في إخراجها من جسده وعروقه كسبح الغواص الذي يخرج الشيء من أعماق البحر..[1].

ووصلت الروح الحلقوم، ثم خرجت كأطيب ما ذرأها عليه الحي القيوم..يا للمنظر الذي حاز كل جمالٍ، وغشيه كل جلالٍ..حُقَّ للمترنم أن يقول فيه وفي المَلَك المباشر الذي يصنع هذه النقلة البديعة:

إن الذي أصبحتُ طوعَ يمينهِ إن لم يكن قمراً فليس بدونهِ

ذلي له في الحب من سلطانهِ وسقام جسمي من سقام جفونهِ[2]

لا! بل يقال عن ملك الرحمة:

حُبي له والروح قبضُ بنانهِ ونعيم جسمي من نعيم جفونه[3]

استقبل تحية الخروج فرحاً جَذِلاً من عالم الفانية إلى عالم الباقية:

وتأمل أي حبيباه: تأمل وانظر إليه، حيث تنهال عليه التحيات العطرة على ثلاثة أشكالٍ..استمع إلى حُدَاء الملائكة وهي تحييه عند خروج روحه..ترتل تحاياها له ليشرق له عالم الخلود، ويظهر له النعيم المقيم:

التحية الأولى: من الله الجليل الكبير المتعال الذي جعل للمؤمنين وداً..قد جعل لعبده

1- تفسير البيضاوي 5/ 445.
2- تذكرة الحفاظ 3/ 1078.
3- عددٌ من هذه الاستدراكات البديعة مستفادٌ من عددٍ من شيوخنا ممن راجع الكتاب جزاهم الله خيراً.

هذا وداً إذ ما إن خرجت روحه من جسده حتى كان النداء الإلهي: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ (الفجر).

يا أيتها النفس المطمئنة: المؤمنة الساكنة الموقنة..التي أيقنت أن الله ربها العلي الوهاب.. فأخبتت لذلك، واطمأنت بإيمانها وبما سيأتيها من وعد حقٍ وثواب..

يا أيتها النفس المطمئنة الراضية بقضاء الله التي علمت أن ما أخطأها لم يكن ليصيبها، وأن ما أصابها لم يكن ليخطئها.. فـ" أطمأنت النفس إلى الله تعالى..أطمأنت إلى كنفه".

يا أيتها النفس المطمئنة: المخلصة الآمنة من عذاب الله، التي اطمأنت لأنها بشرت بالجنة عند الموت، وعند البعث، ويوم الجمع..

يا أيتها النفس المطمئنة: العارفة بربها التي لا تصبر عنه طرفة عينٍ..المطمئنة بذكره تعالى في غفلةٍ من الثقلين..فالذين آمنوا تطمئن﴿قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(الرعد: 28) [1] فتطيب لمرآهم كل عين.

التحية الثانية: من ملك الموت: ((فيقول)) عند خروج الروح الطاهرة – كما يخبر الحبيب المصطفى ﷺ-: ((أيتها النفس الطيبة اخرجي إلى مغفرةٍ من الله ورضوان)).. الله! الله! يا لصوت البشرى والنعيم والحنان، ويكرر النداء حباً: ((يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي راضيةً مرضية مرضياً عنك)).

1- انظر: تفسير القرطبي 20/ 57، الروح ص93، وقال: وقد قال غير واحد من الصحابة والتابعين: إن هذا يقال لها عند خروجها من الدنيا، يبشرها الملك بذلك.. ولا ينافي ذلك قول من قال: إن هذا يقال لها في الآخرة.. فانه يقال لها عند الموت، وعند البعث، وعند دخول الجنة.. وهذه من البشرى التي قال تعالى: ﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون﴾.. وهذا التنزل يكون عند الموت، ويكون في القبر، ويكون عند البعث، وأول بشارة الآخرة عند الموت.

التحية الثالثة: من الملائكة..من ملائك الرحمة حوله..إذ يبدؤون تلك الروح الطيبة بالسلام فيقولون:﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾(الزمر: 73)..سلام.. وهل للمرء شيءٌ أحب إليه من أن يسمع أنه في سلامٍ، وسيصير إلى سلام..**أولا توقد مشعلك أيها المقدام**..لمصيرٍ كمصير هذا الهمام؟.. ثم يرتلون له أنشودة الاستقبال العذبة: ((اخرجي راضيةً مرضياً عنك إلى روح وريحان، ورب غير غضبان))، ولا ينسى هؤلاء الطيبون المطيبون من الملائكة أن يهنئوا المؤمن فور خروج روحه بحصوله على جائزة النجاح في اختبار الدنيا: الجنة..فإن المؤمنين تتوفاهم الملائكة﴿طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمُ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٣٢﴾ (النحل) ..نعم! إنها الجنة في كل لحظةٍ ينبغي أن يُذَكَّر المؤمن المخبت بسلعة الله الغالية.. "فيا عجباً ممن آثر الحظ الفاني الخسيس.. على الحظ الباقي النفيس..وباع جنةً عرضها الأرض والسموات.. بسجنٍ ضيقٍ بين أرباب صغار الأمنيات"[1].

ثم تعلن ملائك الرحمة الثناء العطر لهذا العبد الفائز على الملأ: ((فيقولون: ما وجدنا ريحاً أطيب من هذا)).

ثم يقولون: أيها الراحل عن الدنيا..المقبل إلى الدرجات العليا: سلامٌ لك..سلامٌ لك فعسى أن تكون من السابقين المقرَّبين أهل الجلال والتكريم.. ﴿فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ٨٩﴾ (الواقعة).

أو أقلُّ أحوالك أن تكون من أصحاب اليمين..من الأبرار المخبتين:﴿فَسَلَٰمٞ لَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٩١﴾(الواقعة).."فسلامٌ لك أيها الراحل عن الدنيا حال كونك من أصحاب اليمين"[2] ..**إنه مقام التكريم الذي تهفو إليه النفوس التواقة، والقلوب المشتاقة..كم هو حجم شوقك له أيها المتيم؟** يا مقام التكريم والبشائر..يا محل الآمال والمكرمات:

أحبك لا تفسير عندي لصبوتي أُفسِّرُ ماذا.. والهوى لا يُفَسَرُ
وتأبى جراحي أن تضم شفاهها كأنَّ جراح الحب لا تَتَخَثَرُ

1- حادي الأرواح ص4 بتصرف.
2- حادي الأرواح ص66.

لا! ذلك قليلٌ يا محلَّ المكرمات..بل أناجيك بحرارة قلبي لا بفصاحة بياني العاجز:

أحب لقاء الله لستُ مُفَسِّراً أفسر ماذا؟ حبه لا يُفَسَرُ

ويأبى بياني أن يفيض مُعَبِّراً لأن عميق الحب ليس يُعَبَّرُ

الملائكة تتنافس على حمل الروح الطاهرة؟ من يريد صورةً تذكارية؟:

لا تبعدن عنه أيا حبيباه واخترق حجب الغيب ببصيرة النبوة، وانظر إليه تخرج روحه..فكيف هي ريحه..إنه ((يخرج كأطيب ريح المسك)) إلى الملائكة الأطهار الطيبين.. ومن لطف خروجها وعدم نزعه تخرج ((تسيل كما تسيل القطرة من فِيّ السقاء))..وذلك على يد ملك الموت، ويقوم ملك الموت يسلها ((كما تسل الشعرة من العجين))، ((فيأخذها))، ولكن لغيرة ملائكة الرحمة عليها، وعدم حبهم أن تتصل الروح الطاهرة بمعنى الموت، يأخذونها من يد ملك الموت فور أن يتم عمله بإخراجها من جسدها..إذ إنه لما ((أخذها)) لكأن ملائكة الرحمة غارت وتسابقت فـ((لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها))..

تنَعَّمْ وأنت تنظر إليهم يتدرونه.. كأن الكل يحب أن يتشرف بمس روحه الطاهرة ..وبالكلام البلدي البشري الصادق أقول لك: تراهم كأن كل واحدٍ منهم يود أن لو كان له تذكارٌ مع روحه الطيبة، ومن تنافسهم على ذلك يصطلحون على شيءٍ يجعل جميعهم يشرف بمس روحه؛ إذ((يناوله بعضهم بعضاً))..أتفرح من حسن المشهد، أم تبكي شوقاً له؟.

ولا غرو..فهؤلاء الملائكة هم﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤﴾(النازعات) الذين يسبقون بأرواح المؤمنين إلى الجنة، وهم﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾(النازعات) الذين يدبرون أمر ثوابها بأن يهيئوها لإدراك ما أعد لها من اللذات.[1]

1- انظر: تفسير البيضاوي 5/ 445، على أحد التفسيرات..والكلام هنا عن الأرواح المؤمنة وإلا فالصفات السابقة تنطبق على ما تفعله الملائكة للكفار ولكن بالعكس.

الملائكة توصي بعضها بالرفق بك..يا للشوق إلى دفء هذا الحنان:

وبعد أن يناوله بعضهم بعضاً ينقلونها من أيديهم لـ((يجعلوها في كفن من أكفان الجنة «في حريرة بيضاء» «من مسك ومن ضبائر الريحان»))، كما يخلطونها بـ ((حنوط من حنوط الجنة))، ولربما وضعوها في الكفن وطيبوها من الحنوط قبل ذلك.. ثم ((طويت عليه الحريرة ثم يبعث بها إلى عليين))، وعند ذلك يكلم ملائكة الرحمة بعضهم بعضاً إشفاقاً على صاحبهم الحبيب، وحباً لروحه الطيبة.. وعمله الصالح المنيب ((فيقولون: ارفقوا به فإنه خرج من غم الدنيا))..**فللَّه موقفٌ تنهال فيه عبارات الحب، وتراتيل الحب من الملائكة على هذه الروح**..إنه لسان صدقٍ يتبوؤه الإنسان في الآخرين..ويا رب ألحقنا بذلك برحمتك يا أرحم الراحمين.

لئن كانت نفس الكافر والمجرم تنأى الملائكة عن حملها، وتنفر عن سلها، وتأنف أن ترقى بها إلى السماء حيث يقول ملك الموت لمن حوله من الملائكة:﴿ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧ ﴾ (القيامة) أي من يرقى بهذه النفس، وذلك أن نفس الكافر تكره الملائكة قربها فيقول ملك الموت: يا فلان اصعد بها[1]..فيُحتم عليه ملك الموت أن يصعد بها، وإلا فالكل راغبٌ عنها، لا يريد أن يحملها..أما نفس صاحبنا المخبت فإن الملائكة تتنافس عليها، حتى يتناقلوها فيما بينهم..تصور ذلك المشهد البديع: كلٌ يريد أن يرتشف من طهر نفسك المؤمنة..كل ملكٍ يحب أن يلتمس الشرف بمصاحبة نفسك الطاهرة..وليس ذلك لمالٍ تملكه، أو لجبروتٍ تقمع به النفوس..كلا! بل حباً ورغبةً، لهفةً وشوقاً..آه..تعس مُلْكُ الدنيا! تعس وانتكس.. هنيئاً.. هنيئاً لصاحبٍ يغدو في هذا المشهد..

العروج إلى السماء.. زفافٌ جديد:

ولأن روحه خرجت طيبةً مطيبةً من جسده، ثم طيبت أكثر بوضعها في تلك الحريرة الناعمة الرائعة من ((ذلك الكفن))، وزاد طيبها شذاً وعبيراً بوضعها ((في ذلك الحنوط))

1- تفسير القرطبي 19 /112، وهذا هو التفسير الثالث للآية فـ(راق) هنا من رقي يرقى إذا صعد كما جاء عن ابن عباس أيضا وأبي الجوزاء.

فإن رحلة العروج إلى السماء قد بدأت..إذ يعلن النبي ﷺ أنه ((يبعث بها إلى عليين)) بعد ذلك.

تابعه أيا حبيباه! لا تطرف عينك عنه فها هو ذا – كما يصف النبي ﷺ-: ((يخرج منها)) يخرج من الأرض ((كأطيب نفحةٍ مسكٍ وجدت على وجه الأرض)).

وفي الطريق إلى السماء..ترتفع رايات الفرح والحب من الملائك الذين بين السماء والأرض وهم يشمون الرائحة الفيحاء قد ملأت عليهم الأرجاء، وانبعثت بها الأخبار حتى امتلأت بها الأصداء.. فيا لهذا العرس..تأمل **واهتف معي**: اللهم فاجعلنا ممن ينالون شرف هذا اللقاء..

يصف الشفيع المرتجى ﷺ صعود الملائكة بها فيقول: ((يصعد)) الملائكة ((بها))..يصعدون بالروح الطيبة ((فلا يمرون – بها– على ملأٍ من الملائكة إلا)) أثارت من التساؤلات المتلهفة عن هذه الروح الطيبة التي صعدت وفارقت غم الدنيا بنجاحٍ..تصور تساؤلات الملائك حوله عنه كيف توحي بعظمته، ومكانته عند ربك..هاهي الملائكة تتساءل بلهفةٍ في كل موطنٍ تمر منه الروح الطيبة.

انقسم الملائكة الذين يزفونك إلى قسمين:

فقسمٌ هم المدبرون للأمر بين السماء والأرض يقولون في تساؤلاتهم: انظروا..هذه ((روحٌ طيبةٌ جاءت من قبل الأرض))، ولا يقفون عند ذاك حتى يبادروا روحك بالدعاء المشفق المنيب لها حيث تقول ملائكة السماء: ((صلى الله عليك وعلى جسدٍ كنت تعمرينه))[1]..يا لهذا الدعاء الطاهر..**ما أحلى كلماته..لقد كان هذا الدعاء الطاهر من الفم الطاهر كافياً.. ربِّ ومولاي: اجعلنا من أصحابه..**

1- هذا الدعاء العذب الزكي عند مسلم 4/ 2202.

ثم يحب أفراد هذا القسم من ملائكة السماء أن يتعرفوا شخصياً على الحبيب القادم من الأرض فيطرحون السؤال على مرافقيه من ملائكة الرحمة، وعلى العارفين من ملائك السماء..يطرحون سؤالهم: ((ما هذا الروح الطيب))؟، ولقوة الشذا الذي ينبعث من رائحتها يسألون متعجبين عما لبست وتعطرت حتى صارت بهذه القوة من النفاذ ففي رواية لابن حبان: ((ما هذه الريح الطيبة التي جاءت من الأرض؟)) يسألون عن الريح وهم يريدون الروح..فإذا كانت رائحته قد ملأت الأرجاء..فكيف بالروح التي انبعثت منها تلك الريح الفيحاء؟.

وأما القسم الثاني فهم من يزف الروح الطيبة إلى مكانها الموعود في السماء، ومعهم من يعلم عن هذه الروح الطيبة بين الملائكة الموكلين بالأمر بين السماء والأرض يجيبون..

تصور التساؤلات والإجابات تصدر همساً وجهراً عنك وأنت تُزَف.. يجيب من يعلم من الملائكة ((فيقولون: فلان بن فلان بأحسن أسمائه التي كانوا يسمونه بها في الدنيا)) نعم! في هذه اللحظات تصور أن الملائكة تقول عنك وتسميك بأحب أسمائك إليك، ويتبادلون الحديث إشادةً بك وثناءً عليك..تصور وهم يطلبون لك أجمل الألقاب، ويفخمونك بأعظم الأوصاف حتى يعلم عنك من لا يعلم..

أيا حبيباه: هذا المشهد المرتقب ولا ألقاب الدنيا، وهذه الفخامة ولا فخامة الدنيا..

أيها المخبت الأواب: كبار الملائكة ينضمون لتشييع روحك في زفافها:

وتظل الملائكة تشيع روحه الطاهرة ((حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا))..ويقفون أمام ((أبواب السماء))..فهنا بوابة الدخول إلى عالم الملأ الأعلى..مبتعداً عن طين الأرض وسفاسفها..تصور عظمته.. وتصور في مقابل ذلك شوقك ولهفتك..لا! بل تصور: أيعتريك الخجل وأنت تستعد لدخول السماء الدنيا..

ثم تقوم الملائكة التي تشيعه بالاستئذان لك لتفتح السماء أبوابها..أيا صاحب القلب

المنيب: ((فيستفتحون)) لك الأبواب..؟ فمن ذا يمنعك من الدخول؟..

عندها تُعاد التحايا العطرة فتقول ملائك السماء: ((ما وجدنا ريحاً أطيب من هذه))، ثم تنطلق الملائك لتفتح لك مُرَحِبَةً محييةً ((فيفتح لهم))، وأثناء الفتح تسمع الثناء عليك مجدداً من مستقبليك؛ إذ يقول ملائك السماء الدنيا: ((ما أطيب هذا الريح التي جاءتكم من الأرض..))، ويتقدم كبار الملأ من ملائك السماء الدنيا، ومقربوها لتحيتك ثم ينضمون إلى مراسم التشييع البهيجة، ومعالم الزفاف السعيدة، وبذا ((يشيعه من كل سماءٍ مقربوها إلى السماء التي تليها))..وهكذا تتنقل من سماءٍ إلى سماء، ومراسم الإجلال تحيط بك من كل جانبٍ، ولحظات الفرح تعتريك من كل حدبٍ.. وأجمل الملائكة، وأشرفهم ينضمون إلى موكبك ليكونوا خدماً لك، وجنوداً في صفوفك..وفي كل مرةٍ عند كل سماءٍ.. وفي كل سماءٍ تتكرر التحايا والتهاني والثناء العطر، فـ((لا يأتون سماءً إلا قالوا مثل ذلك حتى يأتوا به أرواح المؤمنين))..

هل رأيت خساسة الدنيا الآن، وعلمت خداع مظاهرها، وزيف احتشاد الناس مع الدنيويين رغباً ورهباً.

لقاءٌ رائعٌ بأبيك آدم..وسعادة وابتهاج مستحكم:

وهناك في السماء الدنيا لربما ذكر المخبت المنيب آدم أبا البشر –عليه السلام–، إذ طالما بلغه من النبي ﷺ أن آدم كان ينظر إليه مبتهجاً به وبمن معه من الأرواح المخبتة المؤمنة..نعم! آدم –عليه السلام–.. صَوَّرَ لنا النبي ﷺ مشهده هناك قاعداً في السماء الدنيا وهو يرى ((على يمينه أسودة، وعلى يساره أسودة، إذا نظر قبل يمينه ضحك، وإذا نظر قبل شماله بكى..وهذه الأسودة عن يمينه، وعن شماله نسم بنيه.. فأهل اليمين منهم أهل الجنة، والأسودة التي عن شماله أهل النار، فإذا نظر عن يمينه ضحك وإذا نظر عن شماله بكى))[1].

1- ورد ذلك في حديث الإسراء الطويل..انظر: البخاري 1/ 135، والأسودة: جمع لسواد الشخص أي ظله ومنظره من بعيد.

لقد فرح بك آدم –عليه السلام– منذ القدم، وتفرح بك الملائكة الآن فقد صرت في القمم.

اجتماعٌ مع المخبتين من المؤمنين في السماء: هل تحلم بزيارةٍ سريعةٍ لأعزَّ الأصدقاء الذين خرجوا قبلك من الدنيا؟:

في أثناء عروجه بين السموات تقوم الملائك بنقله إلى المكان الذي تقيم فيه ((أرواح المؤمنين))، وذلك حتى يزيد بشره وسروره..ويتضاعف حبوره..وحتى يثبت قلبه أكثر..وذلك قبل الامتحان الكبير الأول الذي سيواجهه في القبر..

زَفَّته الملائك إلى أرواح المؤمنين حيث وجد أَعَزَّ أصدقائه الذين سبقوه بالخروج من دار الدنيا..وكان قد تعاهد وإياهم على الثبات على الدين، وطلب اليقين..

أخـي إن تغشتنا بزخرفهـا الدنـا وإن قَعَـدَتْ بِنـا القوى والعزائـمُ
ذكرناك.. فالعهد القديم مُوَثَّـقٌ وميعـادُنـا أن نلتقـي بـك قـائـمُ

تتلاقى أرواح المؤمنين..حيث النعيم المقيم، والوصال الدائم الطاهر الحميم.. ولقد وصفها رسول الله ﷺ صفةً أبكت أهل البيت فقال: ((إن أرواح المؤمنين في حواصل طيرٍ خضرٍ ترعى في الجنة، وتأكل من ثمارها، وتشرب من مائها، وتأوي إلى قناديل من ذهبٍ تحت العرش يقولون: ربنا ألحق بنا إخواننا، وآتنا ما وعدتنا))[1]..ألا يُبْكينا ويُشْجينا قولهم: " ربنا ألحق بنا إخواننا، وآتنا ما وعدتنا"؟.

ها هو ذا النبي ﷺ يبشرك بذلك.. فيقول: ((إن أرواح المؤمنين تلتقي على مسيرة يومٍ ما رأى أحدهم صاحبه قط))[2].. **فخذه هنيئاً مريئاً فقد طال الاشتياق لصحبٍ**

1- الحديث جاءت ألفاظه مروية في عدة كتب..ولكن الرواية المجتمعة هنا عند ابن أبي عاصم في كتاب الجهاد 2/ 520.
2- أحمد 2/ 220.

سبقوا..فيا لذة العناق حين ملاقاة الصحب الصادقين من الرفاق.

أُخْذِت الروح الطاهرة المخبتة إلى هناك حيث أرواح المؤمنين والتقت مع أحبتها، وانتقلت بين أفنان الجنان، وطابت الحياة –التي لا يعلم كنهها إلا رب العباد– في جوٍ من الحنان، والتقى المخبت الأواب، بكل حبيبٍ من الأصحاب، قد سبقه إلى خير مآب..**فطوبى لمن حَسُنَ دينُه وجاء ربه بخير متاب.**

وقُوبِلَ هناك – في مجتمع أرواح المؤمنين – باستقبالٍ حافلٍ ممن كان يعرفه ومن لا يعرفه..وهؤلاء هم من سَيُقابِلُ أهوال القيامة معه؛ فإذا رآهم قبل ذلك اطمأنَّ قلبه بهم عند معاينة الأهوال..وهم عندما يرونه..تراهم – كما يصف الحبيب المجتبى ﷺ– تراهم ((أشد فرحاً به من أحدكم بغائبه يقدم عليه))..أشد فرحاً به إذ نجح في امتحانه الدنيوي، واجتازه بتوفيقٍ من الله ورضوانٍ..وانضمَّ إلى زمرة البِشر والسرور، والنعيم والحبور.. في جوار ربٍ ودودٍ غفور..استقبلوه فيا حسن ذاك الاستقبال.

وحدث لصاحبنا من الترحاب، وحرارة اللقاء مع ((**أهل الرحمة من عباد الله**))[1] ما يحدث لنا حين نلقى ((البشير في الدنيا))..وأراد قومٌ منهم أن يبتدروه بالسؤال عن أصحابهم وأخلائهم في الدنيا..فيبتدر بعضهم من محبيه..ممن شعر أن فراق الدنيا وغمّها جديرٌ بأن يتنهد له الإنسان فرحاً وحبوراً، ويأخذ راحةً تجعله يلهج بالحمد والتسبيح كثيراً ((فيقولون: أَنْظِرُوا صاحبكم – أَخِّرُوه وأمهلوه – يستريح فإنه قد كان في كربٍ شديد))..

ولكن بعضهم كان قلقاً على أخيه وحبيبه من أهل الدنيا، ويريد أن يَعْرِفَ ويطمئن: هل مات على الهدى والدين؟ أم بقي في الدنيا على النور واليقين؟..أم كان من الأرذلين..لذا يبادره بعضهم ((فيسألونه: ماذا فعل فلان؟ ماذا فعل فلان؟ «ما فعلت فلانة»))

((ثم)) تبدأ الأسئلة المتلهفة تُوَجَه إليه فـ((يسألونه (فيستخبرونه عن معارفهم من أهل

1- الطبراني في الأوسط 1/ 53، والكبير 4/ 129.

الأرض): ماذا فعل فلان؟ وما فعلت فلانة؟ هل تزوجت؟..)).

يكررون الاسم لهفاً وإشفاقاً..ويسألون عن أحبتهم حباً وإخباتاً..ويكثرون عليه: فواحدٌ من هنا، وآخر من هناك..

يا لله لهذا المشهد البديع: أَدِرْ دمع الوفاء الصادق المدرار..وقل رحم الله أبا الدرداء المخبت المذكِّر الذكَّار الشكَّار..فما أكثر ما كان يقول بعد أن مات صديقه الحبيب ابن رواحة: (**اللهم إني أعوذ بك أن تعرض على أخي عبد الله بن رواحة من عملي ما يُسْتَحيا منه**)[1]..ولذا تلهفتْ بعض الأرواح المؤمنة في السؤال عن أحبابهم ممن خلفوهم في الدنيا..

دعوه فإنه كان في غَمِّ الدنيا..افرحوا بمرتبته العليا:

ولكن بقية المؤمنين لا يستحلون أن يُسأل صاحبنا المنيب عن أمور الدنيا.. وهو قد خرج لتوه من غَمِّها..بل يطلبون من بقية الأرواح المتلهفة على أصحابها أن تَكُفَّ عن طرح الأسئلة..وتصبر حتى يرتاح العبد المنيب ((فيقولون: دعوه فإنه كان في غمِّ الدنيا)).

نعم! دعوه..فإنه لم يكد يتخلص من غَمِّ الدنيا وهَمِّها ونَصَبِها ولأوائها وسمومها، وغدر أهلها، وشر فجارها..دعوه..حتى يأخذ نَفَساً عميقاً ليرى ما حوله من بهاءٍ، وصفاءٍ..دعوه حتى يشعر بأن ربه قد حقق له كل رجاء.. **يا لذاك الحنان..ألا ترفع يديك يا عابداً في الليالي..فتقول: اللهم فبلغني ذاك المحل العالي.**

ولكن صاحبنا المخبت المنيب يجد من روح الملأ الأعلى، ونعيم الأبد ما يجعله بعد ذلك يستجيب، فيخبرهم عما سألوه عنه..فإن كان المسؤول عنه حياً أخبرهم بخبره.. ((فإذا قال: تركت فلاناً في الدنيا أعجبهم ذلك))، ولكن ((إذا سألوه عن الرجل قد مات قبله فيقول:

1- الحاكم 2 /686.

هيهات قد مات ذاك قبلي؟ فيقولون: «ما جيء به إلينا»)) ويضيفون بألم -: ((إنا لله وإنا إليه راجعون..ذهب به إلى أمه الهاوية..فبئست الأم، وبئست المربية))[1] ..نعم! فبئست الأم، وبئست المربية..

أيها البررة الفائزون: وفي ذلك المجمع الذي ضمَّ أرواحكم الطاهرة.. هناك تعرض أعمال إخوانكم من الأحياء ((على أقاربكم وعشائركم من أهل الآخرة، فإن كان خيراً فرحوا واستبشروا وقالوا: اللهم هذا فضلك ورحمتك فأتمم نعمتك عليه، وأمته عليها، ويعرض عليهم عمل المسيء فيقولون: اللهم ألهمه عملاً صالحاً ترضى به عنه، وتقربه إليك))[2]..إنهم يدعون لأهل الدنيا بعد أن أكرمهم الله..فيا لشدة الصفاء والمحبة..يدعون فيقولون: ((اللهم لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا))[3].

أيها القانت الأواب: ألا تُعِدُّ لهذا الاجتماع الرحيب صياماً..أما تعد له قنوتاً وثباتاً وقياماً..لكم كان المخبتون من صحابة النبي ﷺ يذكرون هذا الاجتماع، ويطلبون من المحتضرين أن يبلغوا أصحابهم السابقين بنبأ ثباتهم على الهدى واليقين.. اشتاق الصالحون من قبلُ للسلام على من سبقهم إلى ربهم من المخلصين..فعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك عن أبيه قال: لما حضرت كعبا الوفاة أتته أم بشر بنت البراء بن معرور فقالت يا أبا عبد الرحمن! إن لقيت فلاناً فاقرأ عليه مني السلام. قال: غفر الله لك يا أم بشر نحن أشغل من ذلك.. قالت: يا أبا عبد الرحمن أما سمعت رسول الله ﷺ يقول: ((إن أرواح المؤمنين في طير خضر تعلق بشجر الجنة «حتى يردها الله إلى أجسادها يوم القيامة»)) قال: بلى! قالت: فهو ذاك [4]..إنه شوق الأحبة لأحبابهم في الدين..وسبيل الله المبين:

1- هذا الحديث فيه تفصيل لما ثبت عند النسائي4/ 8، وصححه الألباني، وابن حبان 7/ 284، وصححه الأرناؤوط من تلقي الأرواح المؤمنة للميت، فالأصل قد ثبت صحيحاً، والزيادة المفصلة رواها الحاكم 2/ 581، وقال: مرسلٌ صحيح، وكذا أوردها الطبراني في الأوسط1/ 130، وأما عدم تصحيح صاحب العلل المتناهية له 2/ 910، فراجعٌ إلى السند الذي ساقه، ومثله ما ذكره في مجمع الزوائد 3/ 52..على أن الزيادة التفصيلية أوردناها كما وعظ بها الحسن البصري في رواية الحاكم موقوفةً عليه..والحديث المجمل الذي ثبت يوحي بالتفصيل الذي هو محل نظرٍ في الثبوت.

2- الطبراني في الأوسط 1 /54، وانظر: مجمع الزوائد2 /327.

3- أحمد 3/ 164، وصححه الألباني..انظر ترتيب صحيح الجامع 4/ 37.

4- ابن ماجة 1/ 166..وحديث تعلق أرواح المؤمنين بشجر الجنة صحيح..انظر: ترتيب صحيح الجامع الصغير4/ 202.

نعمْ هاجتِ الأطلالُ شوقاً كفى به ... من الشوق إلاّ أنهُ غيرُ ظاهرِ
فما زلتُ أطوي النفسَ حتى كأنها ... بذي الرمثِ لم تخطرْ على قلبِ ذاكرِ
حياءً وإشفاقاً من الركبِ أن يروا ... دليلاً على مستودعاتِ السرائر[1]

وبعد قضاء لقاءٍ ممتعٍ مع المؤمنين، وتبادل التهاني بالنجاة والفوز في الاختبار الحقيقي المبين..تستمر مراسم التشييع إلى السموات العلى.

أبشر بخير يومٍ مَرَّ عليك: صك الرضوان، وشهادة الغفران، ونعيم الفوز العظيم ..يأمرُ بإبرامه الرحمن:

وتستمر مراسم التشييع البهيجة تنقله من سماءٍ إلى سماءٍ..((حتى)) يرقى به كبار الملائكة المقربين ((إلى السماء السابعة))..هناك يمر عليه خير يومٍ مذ ولدته أمه.. هناك يعلن المرسوم الإلهي بتعيينه في زمرة الأصفياء المقربين..

أيا خاطب الجنة: لا تغمض بصيرة عينيك! وتصور معي أيها الحبيب هذا المشهد وأملأ به قلبك وأذنيك..هناك ((يقول الله عز وجل: اكتبوا كتاب عبدي في عليين))..

عندها رأيتَ وسمعتَ..نعم! رأيتَ وسمعتَ..رأيتَ وسمعتَ كيف خُتِمَ على كتاب سعادته الأبدية..فقد كُتِبَ كتابه مع السابقين..ومنادي الحق ينادي:﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ١٨﴾(المطففين) فأعماله معهم – كما يقول الحبيب المختار ﷺ –((في كتاب الله في السماء)) دون ارتيابٍ، وقد أتى الملائكة كتابٌ من الله عز وجل مختومٌ بأمانه من العذاب..

وهكذا قُبِضَتْ روحه مَبَشَّرةً طيبةً مُطَيبةً..وصُعِدَ بها إلى الملأ الأعلى، وفتحت لها أبواب السماء، وتلقتها الملائكة بالبشرى، ثم خرجوا معها، وشهدها المقربون من الملائك في

1- التذكرة الفخرية ص12.

كل سماءٍ..حتى ينتهوا بها إلى العرش..وهناك حل عليه الرضوان، وجاءه الروح والريحان.. فأُخْرِجَ له من تحت العرش عليون؟﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩﴾ (المطففين).. واشوقاه لعليين حيث الشرف الأسمى، وسجل الكرامة الأعظم؟ أتدري ما عليون؟ أتدري ما فخامته وعظمته؟ أتعلم منزلته الرفيعة؟ إنه رِقٌ –كتابٌ–مُعَلَّقٌ بالعرش أُرْقِمَ وخِتَمَ لصاحبنا المنيب فيه بالنجاة من الحساب يوم الحساب، وشهده المقربون..أكابر الملائكة والملأ الأعلى يشهدون..ماذا يريد العبد من نعيمٍ وعظمةٍ وعُلوٍ فوق ذلك؟ إن كتابه وصك نجاته، وشهادة تفوقه، وَوَسْمَ نجاحه.."﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾ (المطففين)، وليس مجرد أمرٍ غير مكتوبٍ.. بل هو مرقومٌ تحقيقاً لكونه مكتوباً كتابةً حقيقيةً..يُكْتَبُ له، ويوقع له به بمشهد المقربين من الملائكة والنبيين، وسادات المؤمنين"[1]..

أيا طالب السعادة العليا: لا تذهبْ بعيداً..فإنك في دنياك ربما أتاك كتابٌ من مَلِكٍ أو حاكمٍ، أو توصيةٌ من أميرٍ أو وزيرٍ..فذهب بك الفرح كل مذهبٍ أن يأتيك منهم شيءٌ من ذلك..وأكبرت نفسك..وربما علقت هذه الشهادة أو تلك التوصية على الجدران، والتمست لها الزخارف والألوان..

أيا عاشق الجنة وخاطب الرضوان: دعك من هذا الهذيان.. وانظر إلى هذا التكريم العظيم من الملك الجليل الديان، وتأمل في أن الشهود على شهادة نجاحه هنا هم الملأ الأعلى من الملائكة المقربين، والنبيين والصديقين ورفيعي الشان.. إنه الفوز الحق..أما "أهل الدنيا فحيارى سكارى، فارسهم يركض، وراجلهم يسعى سعياً، لا غنيهم يشبع، ولا فقيرهم يقنع"[2]..﴿فَذَرۡهُمۡ فِي غَمۡرَتِهِمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ٥٤﴾ (المؤمنون):

خلق الناس للبقاء فضلت أمـــة يحسبونهـم للنفـاد!
إنما ينقلون من دار أعمـال إلى دار شقــوة أو رشـاد!

1- انظر: حادي الأرواح ص49.
2- انظر اغتنام الأوقات ص132.

أيا أنيس القرآن..أيا عابداً في محاريب الإيمان:

أيا صاحب القلب المنيب: هكذا كان شأنك أن يذكر اسمك في عليين..يتناوبك ارتفاعٌ بعد ارتفاع..رفعت روحك إلى أعلى الذرا، وسجل اسمك في عليين فوق جميع الورى، وشهده أعلى الخلق من المقربين المختارين من الملائكة فهم الملأ الأعلى..ومنادي الحق ينادي{جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾} (النبأ)..

أيا عاشق الفردوس الأعلى: طالما كنت ترنو في دنياك إلى أعلى الأمكنة..فها أنت ذا تجزى أعلى الجزاء في أعلى الأمكنة مع أعلى الخلق..

أي أُنس القلب: شأنك: علوٌ في علو..فأنعم به من علوٍ مضاعف لا غاية له[1].

كيف ترى الفرح يصنع بك يا حبيب القرآن..يا رفيع الإيمان..يا عالي الإحسان..إن كنت بذلك المكان ترتفع ويُحتفَل بك فتزدان.

وهناك في عليين: ماذا يقال في الوصف..؟ لا تغمض عينيك، ولا تبكِ..لا تغرق خديك بالدموع..إلا أن يكون ذلك منك شوقاً وطرباً، وإشفاقاً ألا تصل إن لم تبتغِ له مُطَّلَباً..لا تجلب الدمع الولوع إلا أن تكون دموع الفرح أو دموع اللهفة والتعظيم، والرجاء من الرحيم الكريم..عسى أن تزداد عند ربك جاهاً وحسباً..ثم التفت إلى أهل الدنيا ونادِهم..نادِهم:

تباً لطالب دنيا لا بقاء لها كأنما هي في تعريفها حُلمُ
صفاؤها كدرٌ..سرورها ضررٌ أمانها غررٌ.. أنوارها ظلمُ
شبابها هرَمٌ..راحاتها سَقَمٌ لذاتها نَدَمٌ.. وِجْدانُها عَدَمُ
لا يستفيق من الأنكاد صاحبُها لو كان يملك ما قد مُلِّكَتْ إرَمُ
فخلِّ عنها.. ولا تركن لزهرتها فإنها نعْم.. في طيِّها نِقَمُ
واعمل لدار نعيمٍ لا نفاد لـــه ولا يُخاف بها موتٌ ولا هَرَمُ

1- انظر: تفسير القرطبي19/ 262.

المشهد الرابع

مرةً أخرى..إلى الأرض..ولكن اطمئن واستقبل أفراح البرزخ

ماذا حدث للجسد المسجى.. على الفراش أثناء أفراح الروح في الملأ الأعلى؟:

بعد أن تنتهي في السموات العلى مراسم التكريم والرحمة والغفران، ويصدر من الرب العظيم مرسوم الرضوان، وتزهو الملائكة فرحاً بما ناله المخبت الأواب من الرحمن..يُصْدِرُ الله-جلَّ جلاله-..الجليل الكبير المتعال أمرَه بإعادة عبده إلى الأرض تمضيةً لقضاء ليس له تبديلٌ ولا اختلال.. ولكن بعد أن اطمأنَّ العبد المنيب إلى مصير السعادة القريب..فتذوق شيئاً منه في كل مرحلةٍ من مراحل انتقاله..فيقول الله-جلَّ جلاله-: ((أعيدوه إلى الأرض؛ فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى))..فيُعاد حتى يُسْتَكْمَل القضاء الإلهي في البشر..فيقول الله لملائكته: ((انطلقوا به إلى آخر الأجل)).

ولكن ما حال جسده على الأرض، وما آل إليه أمر أحبابه الباكين، وأهله المصابين؟..

في بيته وعلى فراشه حيث غادرت روحه جسده أمام الحاضرين، وانطفأ أنينه في حين ازداد الأنين الخافت من المحبين، قام بعضهم فأغمض عينيه ((فإن الروح إذا قُبِضَ تبعه البصر))[1]، وسجَّاه بغطاءٍ..وقام بعض الصالحين فنادى نداء الذاكرين، وابتهل ابتهال الراجين اقتداءً بسيد النبيين وخير البشر أجمعين ﷺ فقال:

((اللهم اغفر لعبدك المنيب، وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره، ونَوِّرْ له فيه))[2]..

1- انظر: مسلم 2/ 634.
2- دعاء النبي ﷺ لأبي سلمة في مسلم 2/ 634، والغابرين أي الباقين.

وانطلق إليه بعض ذويه ومحبيه يلثمون جسده الطاهر، وينظرون إليه نظرة الفراق، وتسيح من أعينهم دمعة الأشواق..وما يحسبون إلا أنه يرفل في وابلٍ من السعادة، وينعم في معية ملائك ربه بخير وفادة..وما هي إلا لحظاتٍ حتى حملوه وهم يدعون له بالرحمة إلى مغسله ليغسلوه..ثم كفنوا جسده بكفنٍ أبيض، وحنطوه بحنوطٍ من حنوط الأرض..ولم يدروا بجمال الكفن الذي حملته ملائك الرحمة، ولو شموا أريج المسك الفائح من حنوط الجنة الذي غسلت روحه به لحقروا الدنيا..

الناس يبتهجون به في الدنيا..وهم لا يعلمون فكيف لو علموا؟:

قام الأصحاب فجهزوا جسده الشريف إلى قبره، وحملوه في نعشه وهم ما يفتأون يخوضون في حُبِّه وذِكْرِه، حتى أوصلوه إلى بيته الذي سيستقر فيه بقية دهره..

بدأت الجنازة بالسير..والمحمول عليها لا يسمع شيئاً؛ إذ قد ارتفعت روحه إلى السماء لتنال صك الغفران والرضوان[1]،وهنا يقص علينا القرآن، ونبي الفرقان ﷺ..ما تعجز أعيننا القاصرة أن تراه، ونداء الحق يثبت المؤمنين﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾(الأعراف).

ففي هذه الأثناء أو قبلها بقليلٍ أو بعدها بقليلٍ أُعيدت ((روحه في جسده)) لاستكمال الحساب إعادةً معينةً لا تشبه حياة أهل الأرض إذ على الرغم من عودة روحه إلا أنه لا يستطيع أن يتحرك وهو مسجىً على سرير الموت، أو وهو داخل حفرته..فإعادة روحه هنا إعادةٌ معينة تدخل ضمن عالم الغيب..وتبقى روحه معه حتى تغادره بعد سؤال الملكين ورؤيته لنعيمه في الجنة عبر فتحةٍ غيبيةٍ في القبر، وتغادر الروح إلى مكانٍ يعلمه الله[2]..

لله مكانك يا صاحب القلب المنيب: هذا مقامٌ يطمح إليه الطامحون:

مضت الجنازة المباركة، وسمعتَ أثناءها الناس يثنون على الأواب المخبت..يمدحون عبادته..ويثنون على أخلاقه، ويذكرون بِرَّه بأمه وأبيه، ومعاملته الحسنة لسائر الناس..يذكرون حب

1- أو صك الغضب والسخط والخسران لمن حبط عمله وكان من الغافلين.
2- وتبقى روح المجرم متصلةً بجسده نوع اتصال حيث يعذب في البرزخ ويحتمل أن روح المؤمن تبقى كذلك متصلة بالجسد نوع اتصال.

الناس له، وحبه للناس..يذكرون مسامحته لهفواتهم، ومدافعته للسيئة بالحسنة..وهكذا كان الثناء..

وسمع السامعون رجلاً بين الجموع قد سمع كثرة ثناء الناس عليه فقال: وجبت له الجنة..

فقال له بعضهم: لا يصح أن نقطع لأحدٍ بالجنة؟..

فردَّ عليه: ألم تسمعوا قول رسول الله ﷺ: ((من أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة، ومن أثنيتم عليه شراً وجبت له النار..أنتم شهداء الله في الأرض..أنتم شهداء الله في الأرض..أنتم شهداء الله في الأرض))[1]..

وجرت الأفكار تناوش عقولاً أخرى: يا لبشائر الطهر التي تتبعك -يا صاحب القلب المنيب-حتى بعد أن غادرتَ عالم البشر..فعند ربك كل صغيرٍ وكبير مُسْتَطَر..وهو ربك الودود سبحانه الذي أجرى على ألسنتهم ذكرك ليشهدوا لك كما شهد لك الملأ الأعلى بأعلى خبر..فهل من مدكر؟..

والتفت رجلٌ آخر إلى المصلين فقال: لله دره..ما أكثر ما سيناله من خيرٍ، وما أعظم ما سيُصْرَفُ عنه من شر..أكل هؤلاء اجتمعوا للصلاة عليه؟..

ثم تلفت حوله باكياً قائلاً: ربِّ فاجعلني مثله وخيراً منه..

فاستفهم منه أحدهم: لم تردد مثل هذا الكلام؟ ولم تكثر الالتفات إلى من صلى عليه؟..

قال: انظر إلى كثرة من صلى عليه..هذا مقامٌ يطمح إليه الطامحون..فقد قال النبي ﷺ : ((ما من رجلٍ مسلمٍ يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئا إلا شفَّعهم الله فيه))[2]..وهؤلاء يزيدون على أربعين..بل يفيضون..

1- مسلم 2/ 655.
2- مسلم 2/ 655.

وأكمل حديثه متأملاً مصير خيرٍ لنفسه: وكيف لا نشهد له بالجنة وقد رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً..أتعلم يا أخي: ما أكثر ما شهدناه يقول: ((رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً في غدوته وعشيه..وبعد كل أذانٍ..وقد قال رسول الله ﷺ: ((يا أبا سعيد من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد نبياً، وجبت له الجنة))[1].

دعهم أي أخاه..دعهم يا -أُنْسَ النفس- في الدنيا يتحدثون مجرد تحدثٍ عن عالم اليقين..وانتقل إلى عالم الغيب حيث الحق المبين.. لترى النبي ﷺ قد جعله عالماً للشهادة، إذ هم في أثناء سيرهم، وثنائهم، ودعائهم، وتسبيحهم رجعت روحه إليه..سارت جنازته وقد ((احتملها الرجال على أعناقهم))[2].. وهي جنازةٌ ((صالحةٌ)) بشهادة الشهود، وواقع الحال.. ومضى موكب الجنازة المباركة والناس حولها يسيرون ((بين يديها، وخلفها، وعن يمينها، وعن شمالها قريباً منها)).

عودة الروح الفرحة المستبشرة تنادي: قدموني..قدموني:

ولأن الروح قد عاينت من رحمة الله في الملأ الأعلى، وأخذت من الله مرسوماً بأن يكون كتابها في عليين، فإنها فور أن عادت إلى جسده —نوع عودة-..صاحت وهي على النعش..صاحت صيحة الفرح لو كان في العالم من يسمعُ..نادت فرحةً جذلانةً: ((قدموني، قدموني)) متلهفةً على إنهاء اختبارها الأول في القبر..لم يشعروا بها وهي تستعجل الوصول إلى حفرتها..لتبدأ لها سعادة الأبد..

قَدِّموني..قَدِّموني: أنشودة الخلود..لعبدٍ منيب..أرضى ربه المجيد، فعاش قبل موته عيشة الحميد..وهو سيلقى بعد موته مصير عبدٍ سعيد..

قَدِّموني..قَدِّموني..فمالكم قد أخرتموني..عن مكان سعدي لا تُنْظِروني..

1- مسلم 3/ 1501.
2- البخاري 1/ 442.

ولكن من يحمله على أعواد الخشب لا يشعرون..وهتاف الواقع يصيح بهم لو كانوا يسمعون ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ (يس).

وهكذا أُعيد إلى الأرض ليستكمل القضاء دورته، ويمضي أمر الله والغافلون في غفلتهم يسكرون..

ولما ألحدوا له ووضعوا جسده أهالوا عليه التراب، وأزجوا له دعوات الرحمة وابتهال الرضوان، والدموع العِذاب..وانتظر أحبُّ الناس إليه، وأقرب الناس زلفى لديه..انتظروا حوالي قبره يدعون له بالثبات فعلَ أولي الألباب..وما دروا بما حدث له من كرامات، ولا ما زف له من بشائر، ولا بما ينتظره من نعمٍ سابغات..

ضمة القبر لا بُدَّ منها.. اطمئن إنها ليست عذاباً:

أتبعه نظرك القرآني..لتراه أول ما أُدْخِلَ القبر ضَمَّتْهُ الأرض وهو في قبره ضمتها الرهيبة! نعم.. ضَمَّتْهُ على الرغم من دينه وإيمانه..على الرغم من إخباته وحفظه لقرآنه..سنةً قدريةً ماضيةً لا بدَّ منها مع كل أحدٍ..لا ينجو منها ناجٍ، ولا يدفعها سندٌ أو معتمَد..لقد وقع مثل ذلك من قبله لسعد بن معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقال رسول الله ﷺ: ((هذا الذي تحرك له العرش، وفتحت له أبواب السماء وشهده سبعون ألفاً من الملائكة..لقد ضُمَّ ضمةً..ثم فُرِجَ عنه))[1] فـ((إن للقبر ضغطةً..ولو كان أحد ناجياً منها نجا منها سعد بن معاذ))[2]..وشعر بآلام الضغطة..كما كان يشعر بآلام الموت..

أفترى أن هذه الضغطة كانت تذكيراً بأن أعمال العبد مهما بلغت لم تبلغ العشر من نعم ربنا وآلائه؟:

1- النسائي في الصغرى 4/ 100، وصححه الألباني.
2- أحمد 6/ 55.

سبحان من لو سجدنا باالجباه له على شَبَا الشوك والمحمي من الإبرِ
لم نبلغ العشر من معشار نعمته ولا العشير ولا عشراً من العشرِ

أم تراها كانت تنبيهاً له ألا يأمن مكر الله حتى يدخل الجنة، ويحل عليه الرضوان.. وتتم عليه المنة؟

أم تراها ضمة الأم لولدها الذي خلق من تراب فربما كانت في حق المؤمن ضمة حب وشوق وحنان، وفي حق غيره ضمة كضمة الساخط الغضبان؟..

ولكن هذه الشاب المنيب – بحمد الله مولاه– عاد من ضغطة القبر ناجياً..وكيف لا! وهو يلوذ بالله الذي من استكفاه كفاه..إذ ضَمَّتْهُ الأرض ضمةً عظيمةً ثم عاد لصالح أمره ففرجت عنه..**اللهم فَرِّجْ عنا في ذلك المكان يا أرحم الراحمين.**

لكأن هناك من أخبره حتى لا يأخذ منه الجزع مخبره ومظهره: اطمئنَّ –أيها القائم بأمر ربه– ولا تظنَّنَّ الضمة عذاباً، فإن " بل هو أمرٌ يجده المؤمن كما يجد ألم فقد ولده وحميمه في الدنيا، وكما يجد من ألم مرضه، وألم خروج نفسه، وألم سؤاله في قبره وامتحانه، وألم تأثره ببكاء أهله عليه، وألم قيامه من قبره، وألم الموقف، وهوله، وألم الورود على النار ونحو ذلك..فهذه الأراجيف كلها قد تنال العبد وما هي من عذاب القبر، ولا من عذاب جهنم قط، ولكن العبد التقي يرفق الله به في بعض ذلك أو كله، ولا راحة للمؤمن دون لقاء ربه..**وإنما تتم الراحة وتكتمل عند أبواب الجنة وعلى عتباتها**.."[1].

أيا حبيباه: أتتابعنا في أحداثنا..ألا تستحق ضمةٌ لم ينجُ منها حتى الفائز سعد بن معاذ أن تنظر أمامك بإمعان، وتناجي الواحد الديان: **ربِّ أسألك العفو واللطف الخفي..أسألك العفو والحنان الحفي...**

1- انظر: سير أعلام النبلاء 1/ 291.

وداع المحبين له..أَيُسْمَعُ ذلك الوداع:

بعد أن وضع المحبون حبيبهم في قبره ظن بعضهم أن ذلك هو مثواه الأخير، وما علموا أنه بداية مثواه الجديد في عالم الغيب في عالم الآخرة.. وقام بعض خُلَّصِ أصحابه منهم على قبره كالمودع له..وترقرقت العبرات تخطف معها الذكريات:

ولما استقلوا بأثقالهم وقد أزمعوا بالذي أزمعوا
قرنت التفاتي بآثارهم وأتبعتهم مُقلةً تدمعُ

وغفل بعضهم فظنوه – مع أن الدموع تترقرق في عيونهم – لا يسمعهم، ولا يحس بوجودهم، والأمر كذلك بعد أن فارقته الروح، ولكن ما إن ((وُضِعَ في قبره وتولى عنه أصحابه)) حتى بدأ معه الحساب في عالم الغيب..ولأن الروح قد أُعيدت إليه فإنه يسمعهم.. نعم! ((إنه ليسمع خفق «قرع» نعالهم إذا انصرفوا))[1]..وودَّ أن يكرر عليهم ما قد غاب عن كثيرٍ من الخلق في زمانٍ حلت الغفلة فيه محل الصدق..ودَّ أن يُكَرِّرَ عليهم هتاف النعيم الحق: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ (يس).

1- البخاري 1/ 448.

المشهد الخامس

ابتلاء في القبور.. ترقب نتيجة تملأ الفؤاد بالسرور

حرسٌ من القوات الإيمانية الخاصة حيث لا تنفع كل أسلحة الدنيا:

فور أن وُضِعَ الشاب الحبيب صاحب القلب المنيب في قبره..توجهت إليه قُوَّاتٌ من الحرس الإيماني الخاص في ذلك المكان المظلم..تحرسه في قبره حراسةً قويةً دونها كل حراسات الدنيا..فتكون ((الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه))[1]..**يا طالب الفوز: هبْ لي حرساً كهؤلاء الحرس؟**.. ثم هب لنفسك حرساً كهؤلاء الحرس.. هل تعرف طريق جذبهم نحوك؟ فماذا تنتظر إذن؟..

ثم يبدأ الهجوم عليه إذ يُسَلَّط عليه العذاب حتى وهو مؤمن..((فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قبلي مدخلٌ)) وهكذا يكون دفاع الله عن الذين آمنوا..وكلٌ بحسبه..كلٌ بحسبه..**ومن قدم هنا شيئاً وجده هناك**.. ((ثم يؤتى عن يمينه فيقول الصيام: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتى عن يساره فتقول الزكاة: ما قبلي مدخلٌ، ثم يؤتي من قبل رجليه فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخلٌ))..وإنما يُتَحَسسُ من قبل هذه المواضع الأربعة التي تحيط به حتى يخوف أو يُرْعَب عند وقوع الاختبار وسؤال الملكين..فإن كان ممن ترك هذه الأسلحة في دنياه، وأقبل على أسلحةٍ تزول عنه فور خروجه من الدنيا احتوشه العذاب من كل مكان..

وإن كان ممن أعدَّ هذه القوات الخاصة من الأعمال الصالحة، وتسلح بهذه الأسلحة الثقيلة من الطاعات.. فأنى لعذابٍ مع هذه الأسلحة أن يأتيه، أو لخوفٍ أن يعتريه، أو

1- ابن حبان7/ 381، وحسنه الأرناؤوط.

لرعبٍ أن يسري في عروقه..بل هو الآن مطمئنٌ الآن..شديد الاطمئنان..أمام ما سيأتيه من ملكي الاختبار..اللذين تخوف هيئتهما الدنيا بأسرها..فهل من معدٍ لهذه الأسلحة لتكون له دفاعاً وحيداً بعد موته..ألا فلتبكِ عيونٌ أضاعت أوقاتها في غير ما شيء..عسى أن يصنع بكاؤها وندمها مجداً لها عند ربها:

نزف البكاء دموع عينك فاستعر عيناً لغيرك دمعها مدرار

لا! لا!بل قل – مقبلاً بحبٍ صادق تثق من أن جزاءه سيكون جزاء الحسنى-:

هل لقلبٍ هام حباً أن يُرى يوماً نَسيا؟
كيف والأشواق ثارت وافقت قلبا خليا
حرمت نوما لجفنٍ أشعلت عزما فتيا
فتسامى القلب لمّا ذاق حباً سرمديا
وإذا عبدٌ منيبٌ هجر الخلق مليا
مدَّ كفيه ابتهالاً أرسل الدمع السخيا
كيف أنساك وروحي لم تكن لولاك شَيَّا
قدتَ خطوي لم تدعني أقطعُ العمر شقيا
وملأت القلب نوراً كنتَ يا ربي حفيا
أنت يا مولاي حسبي فاجعلن قلبي رضيا[1]

يا صاحب سورة الملك..هذا هو الوعد الحق:

ولربما تحسس عذاب القبر صاحبنا ذا القلب المنيب من جهاتٍ أخرى..ولكنه كان

1- لحادينا على طريق الجنة: عبد الرحمن العديني.

يملك سلاحاً عظيماً طالما كان له صاحباً..إنه سورة الملك.. تنبعث سورة الملك تحاج عن صاحبها، وتدفع عنه العذاب حيث ((يؤتى الرجل في قبره فتؤتى رجلاه فتقول رجلاه: ليس لكم على ما قبلي سبيلٌ)) ثم تبين حيثيات الدفاع عنه فتقول: ((كان يقوم بي يقرأ سورة الملك))..وهكذا أيضاً ((يؤتى من قبل صدره أو قال بطنه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيلٌ..كان يقرأ بي سورة الملك، ثم يؤتى رأسه فيقول: ليس لكم على ما قبلي سبيلٌ..كان يقرأ بي سورة الملك..فهي المانعة تمنع من عذاب القبر))[1].

نعم! أعلم أيا صاحباه أن قوماً من الغافلين لم يسمعوا عن هذه الأسلحة، ولا انتبهوا لها لأنهم ﴿لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾ (الروم) .. وإنما نحن نتبع ذكراً من ربنا يأمرنا أن ننظر إلى أسباب الدنيا، وأسباب الآخرة.

أول اختبارٍ في عالم الغيب..ترقب النتيجة بل توقعها بعد هذه المقدمات:

وبعد هذه المقدمات التي بعثت فيه اطمئناناً، وزادته سكينةً ويقيناً وإيماناً..بدأ أول اختبارٍ في عالم الغيب..نعم! اختبار هكذا سماه النبي ﷺ فقال: ((أن هذه الأمة تُبتلى في قبورها)) حيث يأتيه ((ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر، والآخر النكير))..ولو رأيتهما لرأيت هولاً عظيماً..فهما شديدان غليظان كما يظهر من اسميهما، حتى وصف النبي ﷺ أحدهما بأنه ((مَلَكٌ شديد الانتهار))[2] ((فيجلسانه)) ((فيقال له: اجلس..فيجلس))

أيا طالباً في القبر الأمان: ارفع طرفك، وانظر إلى صاحبنا ذي القلب المنيب حيث جلس..ولكنه..وفي داخل قبره يجلس ((وقد مُثِّلَتْ له الشمس وقد أُدنيت للغروب))..وهنا يبدأ الاختبار.. فيبتدره الملكان فيقولان له: ((ما كنت تقول في هذا الرجل ((أرأيتك هذا الرجل الذي كان فيكم: ما تقول فيه وماذا تشهد به عليه؟)).

1- الترمذي 5/ 164 وقال: "هذا حديثٌ حسنٌ غريب"، الحاكم 2/ 540، وصححه ووافقه الذهبي.
2- أحمد 3/ 346.

المؤمن يحاول قطع الاختبار..ويحن إلى صلاته..إنه يأرز إلى إيمانه:

الملكان يسألانه..وعيناه تتجهان نحو الشمس التي توشك أن تغرب..فيتلهف لصلاة العصر قبل أن تفوت والصلاة تؤدى في الدنيا، وقد مضى ذاك الزمان..غير أنه المؤمن الولهان..المتُرِعُ بإيمانه، لا يغفل عما فيه رضوان ربه وإحسانه..يبتدر الملكين بطلبٍ..بطلبٍ غريبٍ على الكَسَلَةِ ((فيقول: دعوني حتى أصلي))..كان يتلهف على صلاته قبل أن يدخل وقتها..فكيف إذا دخل؟ ((فيقولون: إنك ستفعل. أخبرنا عما نسألك عنه))..وهكذا تذكر صلاة العصر، وأنها يجب أن تؤدى قبل غروب الشمس..

يا للصلاة غذاء الروح وأُنْسَ القلب، وشفاء المجروح، وأمان النفس في الدنيا والآخرة..يتذكرها المؤمن في قبره طلباً للأمان..وشوقاً للرحمن.

لقد أعطى بذلك انطباعاً جديداً عن نجاحه المرتقب، وتوفيقه المكتسب بعد أن رأى الملكان دفاع الصلاة والزكاة والصيام وأعمال البر عنه..

أسئلة الاختبار العظيم..إنه أهم اختبارٍ شفويٍ أمام أقوى لجنةٍ تمر عليك مذ عرفت الحياة:

يطرح الملكان أسئلة الاختبار بعد أن يُهْدِئا منه غيرته على فوات صلاته، ولذا يستغرب سؤالهم له وقد رأوا حرصه على دينه..ففي روايةٍ للحاكم ((قال: وعما تسألوني عنه)).

عدد الأسئلة في هذا الاختبار أربعة أسئلة..وهي أسئلةٌ مُرَكَزةٌ تقوم على التوفيق الإلهي، وعلى مسيرة حياة العباد في الدنيا: إعداداً لهذه الساعة العظيمة..فمن ﴿أَرَادَ ٱلْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾﴾(الإسراء) ومصيرهم موفقاً:

قدما الأسئلة:

فكان السؤال الأول: ((من ربك؟)) فيجيب المؤمن بسرعةٍ مصحوباً بتوفيق الملك المهيمن:

((ربي الله))..وما له ألا يعرف ربَّه وقد كان هتافه به في كل لحظات حياته:

ولقد ذكرتكَ والخطوب كوالحٌ سودٌ، ووجه الدهر أغبرُ قاتِمُ
فهتفت في الأسحار باسمك صارخاً فإذا محيا كلُّ فجرٍ باسمُ

السؤال الثاني: ((يقولان له: ما دينك؟ فيقول: ديني الإسلام)).

الجواب مباشرٌ، وسريعٌ، وله لا؟ وقد كان في دنياه لا يمل الحُداء:

أبي الإسلام لا أبَ لي سواه إذا افتخروا بقيسٍ أو تميمِ

السؤال الثالث: ((يقولان له: أرأيتك هذا الرجل الذي كان «بُعِثَ» فيكم ما تقول فيه؟ وماذا تشهد عليه؟

قال: فيقول: أمحمد؟

فيقولان: نعم!)).

ها هو ذا السؤال عنك يا خيرَ الناس يصل إلى لحظته الحاسمة، ليثبت للعالم أنك نورٌ من ربك مبين..أُرْسِلْتَ بالهدى والحق واليقين..لتشرقَ بسناك على الكون الحزين..فمن صدقك أجاب..وإلا خسئ وخاب..

صلى عليك الله يا علم الهدى واستبشرت بقدومك الأيام

تذكر مفتاح اللغز ((فيقول ما كان يقول)):
أكمل مشاهد الحق وانظر ثبات الإجابة..الحظ الإصرار عليها..واليقين في قولها..

وتأمل ماذا يمكنه أن يقول.. هذا الذي شُلَّتْ لسانه في ذلك الوقت.. في ذلك الوقت الذي لا معين فيه إلا توفيق الغفور الرحيم:

يصف النبي ﷺ هذه اللحظة العظيمة الخطيرة بعبارةٍ جليلةٍ كبيرةٍ..يقول ﷺ واصفاً حال هذا العبد المخبت المنيب: ((فيقول ما كان يقول))..يا الله! إنه يقول ما كان معتاداً على قوله في الدنيا..فإن اعتاد أن يقول كلام الإيمان فذلك قوله في قبره..وإن اعتاد الكفران..فذلك جوابه..فليس الأمر بفهلوةٍ يظهرها في تلك الساعة..نعم إنه يقول ما كان يقول.. فيقول – أي هذا العبد– كما يقول ﷺ :

– ((أشهد أنه رسول الله «وعبده»، وأنه جاء بالحق من عند الله))..ويتابع:

– ((هو محمدٌ رسول الله))..إنه الحُبُّ لرسول الله أنطقه، والحُبُّ لرسول الله ثبته، والحُبُّ لرسول الله رفعه..أو ما كان يهتفُ في دنياه: يا رسول الله:

لمستَ أمانينا فصارت جداولاً وأمطرتنا حباً ولا زلت تُمْطِرُ
تعاودني ذكراك كل عشيةٍ ويورقُ فِكْري حين فيك أُفَكِّرُ
وتأبى جراحي أن تضم شفاهَها كأنَّ جراحَ الحبِّ لا تتخثرُ
أحبكَ..لا تفسير عندي لصبوتي أُفَسِّر ماذا والهوى لا يُفَسَّرُ

عدْ إليه في امتحانه لتجدَه يتابع بحبٍّ ولهفة:

– ((جاءنا بالبينات من عند الله فآمنا وصدقناه))..ولا يتوقف:

– هو رسول الله..هو رسول الله..هو رسول الله.

ثم يعلن لهم شارة التوحيد، وشهادة الحق التي كان يرفعها في دنيا العبيد:

– ((أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله))..

((فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا)).

السؤال الرابع: ((يقولان له: وما علمك؟)) الآن استبان الحق المبين..ذاك كلامك فكيف عملك..سألوا عن العلم وأرادوا العمل..لأن العلم ليس مجرد معلوماتٍ تُتناقل..

فيقول: ((قرأت كتاب الله، فآمنت به، وصدقت)).

وهكذا ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْءَاخِرَةِ﴾ (إبراهيم:27).

وما له ألا يُجِيب وقد كان يُعْلِمُ البعيد والقريب..عن جواب السؤال القادم بقلب منيب..وما مثله هاهنا إلا كما قال سهل بن عمار: رأيت يزيد بن هرون في المنام بعد موته فقلت له: ما فعل الله بك؟ فقال: أتاني في قبري ملكان فظان غليظان فقالا: ما دينك؟ ومن ربك؟ ومن نبيك؟ فأخذت بلحيتي البيضاء، فقلتَ: ألمثلي يقال هذا وقد علمت الناس جوابكما ثمانين سنة"[1]..**يا غزارة الدمع التي تنطلق تذكراً للعمل الصالح** في الدنيا..كيف أغاث الله به أحوج ما يكون العبد إليه.

أيستوي ذا ومن مصيره أن يقول: ((سمعت الناس يقولون شيئاً فقلت مثله لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك)).

نتيجةٌ مرضيةٌ، وعيشةٌ هنيةٌ..وفتحٌ مبين..لعبدٍ من المتقين:

عند ذاك تعلن نتيجة السرور والحبور، وشهادة الفوز الأبدي : ((فينادى منادٍ في السماء: أن صدق عبدي))، وانظر كيف أُعلنت النتيجة بأبهى حلل التكريم من الله رب الخلق أجمعين..ويعطيه الله جائزته المؤقتة إلى حين يبعثون..فيقول: ((فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة))..

يا نتيجة الفوز العظيم:

أموتُ إذا ذكرتكِ ثم أحيا فكم أحيا عليكِ وكم أموت

عند ذاك تهتف لجنة الامتحان العصيب تحيي العبد الأوَّاه: ((على ذلك حييت، وعلى ذلك مت، وعلى ذلك تبعث إن شاء الله))..

1- تفسير القرطبي 9/ 364.

ترقب الفوز الكبير، وتنعم برؤية الأفراح المستقبلية:

انظر إلى مشهد الفتح المبين لهذا العبد من المتقين..يبدأ جنود ربك الذين لا يعرفهم البشر..يبدأون سراعاً بتنفيذ الأمر الإلهي، وصرف جائزته نقداً لا نسيئةً فـ((يفتح له بابٌ من أبواب الجنة «فيأتيه من روحها وطيبها» فيقال له: هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها))..

ويتم تصوير مشاهد الفرح التي تعتري ذا القلب المنيب: إذ ((يزداد غبطةً وسروراً))، ويهيم شوقاً وحبوراً..

ولا تكتمل النعمة إلا بمشهدٍ آخر يُعَرِّفُهُ نعمة الله عليه..إذ ((يفتح له بابٌ من أبواب النار فيقال له: «هذا بيتك كان لك في النار» هذا مقعدك منها، وما أعد الله لك فيها لو عصيته «ولكن الله عصمك ورحمك فأبدلك به بيتاً في الجنة»[1] فيزداد غبطةً وسروراً))..

وهكذا فتحت له نافذةٌ إلى مقعديه:

مقعده في الجنة دار الكرامة ليرى ما أعد الله له، ومقعده في النار لو عصى الله واستكبر..قال ﷺ :((فيراهما جميعاً))..

ثم يكمل جنود ربك عملهم الغيبي عن عالم البشر المادي، فـ((يفسح له في قبره سبعون ذراعاً «مد بصره»، وينور له فيه «ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون»))[2].

وعندما يُعْرَضُ عليه يسمع نداء حبيبٍ من أحبابه الملائكة الناضرة، ووليٍ من أوليائه في الدنيا والآخرة..إذ لا بد مع الصورة من صوتٍ عذبٍ رخيمٍ..تسمعه يعلق على ذلك

1- الزيادة عند أبي داود 4/ 238.
2- البخاري 1/ 448، مسلم 4/ 2200، أحمد 3/ 346.

المنظر البهيج الكريم..يقول له: ((هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة))[1]. **أيا حبيباه: تصور ذلك..بشرى بعد بشرى..فلتستفق أنفسٌ طالما كانت بهذه الدنيا سكرى.**

يا صاحب القلب المنيب..كأنك تود الإعلان لكل غافلٍ: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾(الحاقة)..

هذا مراد كل سائل..هنا غاية المنى لكل عامل..ألا هل من مُشَمِّرٍ.. أو في معارك الفوز به.. هل من مبارزٍ أو منازل؟..

إنه أوابٌ حفيظ..خشي الرحمن بالغيب..وجاء ربه بقلبٍ منيب..انظر إليه الآن في قبره..انظر إليه ببصيرة القرآن، فإن:

مجالسه مثلُ الرياض أنيقةٌ لقد طاب منها الريحُ واللونُ والطعمُ

خاتمة بشائر القبر: لقاءٌ حميمٌ مع رفيقٍ ازدهر حبه..ولكنه لقاءٌ غير متوقع:

وبعد هذا الروح والريحان، والبشر والرضوان..يفاجأ بزيارةٍ زادته سعادةً وسروراً على الرغم من أنها كانت غير منتظرةٍ لشخصٍ حبيبٍ..إذ ((يأتيه رجلٌ حسن الوجه..حسن الثياب..طيب الريح))[2] فهذه هيئته..ويبادر هذا الرجل الممتلئ حسناً وجمالاً..يبادر إلى مؤانسة صاحبه المنيب..((فيقول: أبشر بالذي يَسُرّكَ..هذا يومك الذي كنت توعد)) عندها يزداد غبطةً وسروراً بصاحبه..فيتمنى أن يتعرف عليه وقد بدأه هذه البداية الطيبة المبشرة، ويمتلئ قلبه بالشوق لمعرفته ((فيقول له: من أنت؟ فوجهك الوجه الذي يجيءُ بالخير))..**أمسك دموع عينك..وأنت تسمع الجواب،** لتعرف من المقصود بالخطاب ..((فيقول: أنا عملك الصالح))..أجل إنه عمله الصالح.. وتسمع عمله الصالح لا يتركه بل يمضي في الثناء عليه ليزداد سروراً وحبوراً فيقول له: ((أنا عملك الصالح، فو الله ما علمتك

1- البخاري1/ 464.
2- الحاكم 1/ 94، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد 3/ 50: "رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح".

إلا كنت سريعاً في إطاعة الله، بطيئاً في معصية الله، فجزاك الله خيراً))..ما أعذب الدعاء..ما أحلى الثناء..

إنه عمله الصالح: كم أعده ونمَّاه، وشَكَّلَه ورباه، وجمَّله وأعلاه..كل ذلك في دنياه.. حتى جاءه في أخراه بأبهى صورةٍ يرجوها، وخير هيئةٍ يطلبها.. **ابكِ الآن على ساعاتك الماضية**..واسمح لعينيك أن تضرم للخدين نيرانهما بحزنٍ حار، ودمعٍ مدرار..وانظر أيا حبيباه كيف ستبني عملك الصالح.. ليأتيك في قبرك ويوم نشرك مجسداً مشخصاً..

كيف سيقضي الحياة الناعمة في البرزخ؟:

وحتى تضمن له أنعم حياةٍ في هذه الفترة الانتقالية المؤقتة..فترة البرزخ في القبر فإنه ((يقال له: نم))..لكنه يود لو عاد إلى أهله ليبشرهم ويخبرهم بأي كرامةٍ رأى، وأي نعيمٍ عاين ((فيقول المؤمن: دعوني أبشر أهلي ﴿بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾(يس) ..لكن سنن الله لا تبغي لها حولاً..إذ يكون الجواب بألذ خطاب، وألطف أسلوبٍ: ((اسكن)) حتى يبلغ الكتاب أجله..ولفرحته ولهفته، ورؤيته لما أُعد له من الكرامة من خلال باب الجنة الذي فُتِح له..يطلب طلباً آخر ((فيقول: رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي «فأخبرهم»..))..ولكن كل شيءٍ عند ربي بمقدار..عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال..لذا يقول له الملكان..وقد استحالا إلى صديقين حميمين له ((نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه))[1]..

وهكذا ينام نومةً غيبية يعلم ربي المتعال كنهها..ينام ((حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك)).

نفسي فداؤك من ميتٍ ومن بدنٍ ما أطيب الذكر والأخلاق والجسدا

ولكن ما مصير الروح والجسد..ما مصيرهما؟..

1- الترمذي 3/ 383، وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني.

مصير الروح..مصير الجسد:

لا تغمض طَرْفَك وانظر له وهو ينام نومةً مختلفةً عن نومتنا..إذ ((يُعاد الجسد لما بدأ منه)) فربما ذهب مع التراب..أو بقي على حاله كرامةً للمقربين من أولي الألباب..وأما روحه ((فتجعل نسمته في النَسَمِ الطيب وهي طيرٌ يعلق في شجر الجنة))[1]..

ويستمر كذلك في نومه حتى ((يُبعث في القبر على ما مات عليه المؤمن على إيمانه..))[2] كما قال الحبيب المصطفى ﷺ.

وهكذا كانت رحلة صاحب القلب المنيب في قبره..أفيعلم من يمشي فوق التراب..كيف تضوع صاحبهم شذاً وقرنفلا..أم هل تعلم السماء الشاكية..والأرض التي كانت على فراقه باكية، وكانت لسجوده عليها مفتخرةً مزدهيةً متعالية..أفتعلم ما وارت..ومن وارت؟..

ودت بقاع بلاد الله لو جُعِلتْ قبراً له لحباها جسمه طيبا
كانت حياتك للدنيا وساكنها نوراً فأصبح عنها النور محجوبا
لو تعلم الأرض من وارت لقد خشعت أقطارها لك إجلالاً وترحيبا

أيتها الروح الطاهرة..انظري هناك: منازل خاصة..لمن هي؟:

ورأت الروح الطاهرة في مجتمع الأرواح أرواحاً لها مزيتها الخاصة، ومنازلها المعظمة؛ إذ رأتها تنطلق مرتفعةً إلى حيث لا يصل أحدٌ من الأرواح التي معها..هناك حيث عرش الرحمن، وتساءلت الروح الطاهرة عن هذه الأرواح التي حازت هذه الميزة الخاصة، والرعاية الفريدة..فأجيب بأنها أرواح الشهداء..فالشهداء لعظيم منزلتهم عند ربهم ((في حواصل طيرٍ خضرٍ..لها قناديلٌ «من ذهبٍ».. معلقةٌ بالعرش تسرح في الجنة حيث شاءت « ترد أنهار

1- ابن حبان 7/ 381.
2- أحمد 3/ 346، وأصله في مسلم 4/ 2206.

الجنة..تأكل من ثمارها»، ثم ترجع إلى قناديلها))[1]، ورأى من نعيمهم العظيم في الفترة البرزخية أنهم ((على بارق نهرٍ بباب الجنة في قبةٍ خضراء يخرج عليهم رزقهم من الجنة بكرةً وعشيةً))[2]..ولعظيم منزلتهم عند ربهم، وصدقهم في دنياهم ((يشرف عليهم ربهم فيقول: ألكم حاجةٌ؟..تريدون شيئاً؟ فيقولون: لا..إلا أن نرجع إلى الدنيا فنقتل مرةً أخرى)).

ورأت روح صاحبنا الطاهرة..في هذه الأرواح المكرمة أرواح شهداء أحدٍ التي تميزت بشدة الحب لإخوانهم المسلمين من أهل الدنيا، ورغبتهم المحبة المشفقة ليعلموا بما كرَّمهم الله به.. حتى أنهم ((لما وجدوا طيب مأكلهم ومشربهم ومقيلهم «وحسن منقلبهم» قالوا: «يا ليت إخواننا يعلمون بما صنع الله لنا»..من يبلغ إخواننا عنا: أنا أحياءٌ في الجنة نرزق..لئلا يزهدوا في الجهاد، ولا يتولوا عند الحرب..فقال الله سبحانه: أنا أبلغهم عنكم قال فأنزل الله ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾(آل عمران) [3]..

وعلى المائدة القرآنية تربى هذا الشاب المخبت..لطالما هفت روحه في الدنيا أن يشاهد ما كَرَّم الله به المؤمنين في البرزخ..يا صاحب القلب المنيب: قَرَّ عيناً.. ها أنت ذا ترى ذلك عياناً..ذهب وذهبوا..وبقيتُ أنا وأنت:

لهفي على نفسي تبقت خلفهم تنتابها الأهواء والأخطارُ
لهفي على نفسي يتوق لها الرجا لمنـازلٍ تهفـو لهـا الأبـرارُ

زيارةٌ صغيرةٌ من حبيبٍ من أهل الدنيا لحبيبه من أهل البرزخ:

ولا تنقطع علاقة الأرواح بقبورها بل تبقى لها علاقةٌ ما بها؛ إذ ترى روح صاحبنا المنيب كسائر أرواح المؤمنين تزور قبرها فتكون على أفنية القبور وقتاً فلها "إشرافٌ على

1- أبو داود 3/ 15، الترمذي 4/ 176، وقال: حسن صحيح، وصححه الألباني.
2- ابن حبان 10/ 515، وأحمد1/ 266.
3- أبو داود 3/ 15، والترمذي 4/ 176، وأحمد 1/ 265، والحاكم2 / 97 وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني.

قبورها، وهي في مقرها"[1]، وللروح شأنٌ آخر غير شأن الجسد المعهود..إذ تكون في الرفيق الأعلى في أعلى عليين، ولها اتصالٌ بالبدن بحيث إذا سَلَّم المسلم على الميت رد الله عليه روحه، فيرد –عليه السلام– مع أن روحه تكون في الملأ الأعلى..[2].

أَشْرِفْ على قبره وتُرْبه.. لترى من أهل الدنيا بعضَ صَحْبِه..قد جاءه زائراً يدعو له ويستغفر له، ويعتبر بمصيره.. لما وقف على قبره..فثارت الأشواق، وهاجت الأحزان..سلم عليه ودعا..وترقرقت الدموع..وأهاجت الذكريات القلب الولوع..فقام صاحبه بعد الدعاء..يناجي صاحبه المدفون، ويبوء بذنبه أمام رب السماء..يقول:

أمشي لقبرك والخطى مذعورةٌ والقلب من فرط الأسى يتقطع
قد كنتُ أنطقُ بالوداع وأسمع واليوم أسقى من لظاه وأفجع

أي حبيباه: هل بقيتُ بعدك ثابتاً على ما تعاهدنا عليه في حياتك؟ فارقتني طيباً مطيباً..

فهل بقي في أعمالي..في تفكيري..في يقيني ذلك الطيب، وذاك الصدق؟..

كم لَعِبَتْ بي الدنيا بعدك فهل إلى عفو ربي من سبيلٍ؟..

لقد أُراني – لو بَقيتَ لي حياً – لكنتَ لي أعظم معينٍ على ديني ودنياي..لقد أصبحتُ بعدك هائماً..

أين عزمك الذي ينير لك ولي الليل فيجعل عزمك أمامي في ظلمات الليل قائماً..

1- الروح ص100.

2- وقد يُسأل كيف هذا؟ والجواب: أن الروح غير الجسد، وإنما يغلط أكثر الناس في هذا الموضع حيث يعتقد أن الروح من جنس ما يعهد من الأجسام التي إذا شغلت مكانا لم يمكن أن تكون في غيره وهذا غلط محض بل الروح تكون فوق السموات في أعلى عليين وترد إلى القبر فترد السلام وتعلم بالمسلم وهي في مكانها هناك وروح رسول الله في الرفيق الأعلى دائما ويردها الله سبحانه إلى القبر فترد السلام على من سلم عليه وتسمع كلامه وقد رأى رسول الله موسى قائما يصلى في قبر ورآه في السماء السادسة والسابعة فإما أن تكون سريعة الحركة والانتقال كلمح البصر وإما أن يكون المتصل منها بالقبر وفنائه بمنزلة شعاع الشمس وجرمها في السماء..انظر الروح ص101.

أين يقينك لينير لي درباً أظلمتْ علي فيه خطايا الأعمال..فأصبحت فيه متألماً نادماً.

أين صفاؤك وهلعك من إغضاب الجبار ليُبْعِدَ عني شبحاً من الغفلة جاثماً..

أين حزبك من القرآن، وأورادك من الذكر..تبعث بها هم أولاءتي بعد أن كنتُ بعدك نائماً.

أي حبيباه: لقد أفسدت ذنوبي بعدك أركان دنياي.. فصار نهاري من بعدك ليلاً قاتماً:

وكل بساط عيشٍ سوف يُطْوى وإن طـال الـزمان بها وطابا
ولا ينبيـك عــن خلــق الليـالـي كـمـن فـقد الأحبـة والصحـابا

وترقرق الدمع الحزين..ثم أفاق فقال:

أي حبيباه: أرجو أن يكون لي بك معتبرٌ، وبخلقك مؤتسى..ولقد تذكرتُ يوم اجتمعنا فتذاكرنا قصة أبي قلابة حين أقبل من الشام إلى البصرة فنزل منزلاً فيه قبورٌ فتطهر، وصلى ركعتين بليلٍ، قال: ثم وضعتُ رأسي على قبرٍ – وما شعر– فنمتُ..ثم انتبهت فإذا صاحب القبر يشتكيني يقول: قد آذيتني منذ الليلة ثم قال: إنكم تعملون ولا تعلمون، ونحن نعلم ولا نقدر على العمل..ثم قال: الركعتان اللتان ركعتهما خيرٌ من الدنيا وما فيها. ثم قال: جزى الله أهل الدنيا خيراً..أقرئهم منا السلام..فإنه يدخل علينا من دعائهم نورٌ أمثال الجبال[1]..

أيا حبيباه: قد والله اشتقنا رؤية ذلك المحيا..هل وجدت ما وعدك ربك حقاً..إني لأرجو أن يكون الله قد أكرمك باللحاق بالصالحين، وإني لأرجو أن أكون على ذلك الدرب الذي تعاهدنا عليه..ثم التفت إلى بقية القبور.. وكرر الالتفات إلى قبر صاحبه والدموع تزين مقلتيه، وتجري على خدوده جريان اللجين الصافي، والعذب النمير.. وألقى تحية الحياء، والوفاء المشرق المنير:

1- الروح 1/ 8.

يا أهل القبور:

السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين (وأتاكم ما توعدون غداً مؤجلون)، يرحم الله المستقدمين منا ومنكم والمستأخرين وإنا إن شاء الله بكم للاحقون.. أنتم لنا فرطٌ، ونحن لكم تبعٌ.. أسأل الله العافية لنا ولكم.

ثم تنهد وقال: اللهم اغفر لأهل هذه المقبرة، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنَّا بعدهم[1].

وبكى وأن شوقاً لصاحبه، وتعظيماً لهذا المصير، ثم قال: آنس الله وحشتكم، ورحم غربتكم، وتجاوز عن سيئاتكم، وقبل حسناتكم.

يا راحلاً عن ناظرين وحبه فـــي سابحات قلوبنا متربع
أبشر! ولا تحزن! فرحمة ربنـا تسع العباد وفضله لا يوسع

1- مسلم 2/ 669، ابن ماجة 1/ 493.

الفصل الثاني

إنها الساعة.... يا أصحاب الأفراح:

تتلقاكم الملائكة

تهنئكم وتعانقكم..تقول لكم:

((هذا يومكم الذي كنتم توعدون))

المشهد الأول

استفق! إنه يوم الفزع الأكبر..

أيا صاحب القلب المنيب: ((هذا يومكم الذي كنتم توعدون))

أمطارٌ لا تنبت البذور والأشجار بل تنبتُ الأجساد:

مضت الأيام، وانقضت الآجال وفق ما قَدَّرَ الله للدنيا أن تدوم وتمضي.. وفي لحظةٍ من لحظات المستقبل، وأجلٍ مسمىً في علم الله من الزمن القادم.. لو أطللتَ على واقع المدفونين في قبورهم، ونظرتَ إلى المقبورين في أجداثهم..هناك رأيتَ أكثر البشر قد بَلِيَ، وصارت عظامه نخرة..فَنِيَتْ عظامه كلُّها، واستحالت تراباً.. فـ((ليس من الإنسان شيءٌ إلا يبلى إلا عظماً واحداً وهو عجب الذنب))[1]، و((كل بن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب))[2]..فهذه العظمة الوحيدة الصغيرة التي تكون في أقصى عموده الفقري هي التي تبقى في التراب..كالبذرة..وفي لحظةٍ من اللحظات التي يعلمها الله..حيث يكون جسد الإنسان قد انتهى إلا هذه البذرة الصغيرة التي لا ترى بالعين المجردة بسهولة.. في لحظةٍ مسمَّاة ((ينزل الله من السماء ماءً))[3] ((مطراً كأنه الطل أو الظل))[4]..وهو ((ماءٌ غليظٌ كمني الرجال))[5]..

الآن اشهد الوعد الحق في تركيب وبناء الخلق: إذ ينزله الله على هذه البذرة الصغيرة في التراب..عظمة عجب الذنب ((فتنبت منه أجساد الناس «لحمانهم وجثمانهم»))..تابعْ الجسد وهو ينمو شيئاً فشيئاً حتى يتم نموه ويتكامل..انظر إليه ينبت نباتاً كما تنبت أشجار

1- مسلم 4/ 2270.
2- ابن حبان 7/ 407.
3- مسلم 4/ 2270.
4- مسلم 4/ 2258.
5- الحاكم 4/ 541، وصححه على شرط الشيخين، ووافقه الذهبي.

الأرض.. ((فينبتون كما ينبت البقل))..انظر إلى أجسادهم وجثمانهم قد نمتْ.. فمن تلك البذرة الصغيرة، ومن ذلك المطر ((يركب الخلق يوم القيامة))..ومنادي الحق ينادي:﴿ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (الأنبياء)..لما ذكر عبد الله ابن مسعود إعادة تركيب الجسد من ذلك الماء وتلك البذرة قرأ:﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴿٩﴾ ﴾(فاطر9) أجل..كما تنبت الأرض من المطر والبذور..كذلك النشور.

هذا كان شأن الجسد..قد عاد الجسد كما كان..وبقيت الروح..لم تعد إليهم..فتابع مسيرتها..

نفخةٌ واحدة.. لتعود الأرواح، وتخرج صاعدة:

في تسارعٍ شديدٍ للأحداث انتقل إلى عالم الحقائق لترى إسرافيل-عليه السلام - صاحب القرن يضع الصور على فيه شاخصاً ((بصره إلى العرش..ينتظر متى يؤمر أن ينفخ في الصور فينفخ))[1].. بل ((إن طرف صاحب الصور مذ وُكِّلَ به مستعدٌ ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه كأن عينيه كوكبان دريان))[2]..

إنها ساعة النفخ في الصور وهي ساعةٌ ينتظرها الجميع رغباً ورهباً..ولكنها أشد رهبةً على القلوب الحساسة المؤمنة حتى وصفها سيد المخبتين، وإمام الخاشعين ﷺ بقوله: ((كيف أنعم وصاحب الصور قد التقم القرن، وحنى جبهته، وأصغى سمعه ينتظر متى يؤمر أن ينفخ))..تلهف الصحابة من الوصف فدعاهم هذا إلى سؤال المخبتين فقالوا: يا رسول الله! فما نقول؟ قال:قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل.. على الله ربنا توكلنا)) [3].. أجل يا رسول الله! شغلتنا الدنيا عن كلمة النجاة: حسبنا الله ونعم الوكيل.. على الله ربنا توكلنا.

1- الترمذي 5/ 372 ، وحسنه..
2- الحاكم 4/ 603، وصححه ووافقه الذهبي.
3- الترمذي 5/ 372 ، وحسنه..

وعندما يقوم ((ملك الصور بين السماء والأرض)) بالنفخ فيه تنطلق ((كل نفسٍ إلى جسدها حتى تدخل فيه، ثم يقومون فيحيون حياة رجلٍ واحدٍ قياماً لله رب العالمين))[1]..

في لحظةٍ محددةٍ، وميقاتٍ معلومٍ أمره الله بالنفخ في الصور..فنفخ..فعادت كل روحٍ إلى جسدها.

أجل لقد ﴿نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ۝٨﴾(المدثر)..نعم نفخ في الصور النفخة الأخيرة..

وهكذا تكامل الخلق في الجسد والروح.. ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ۝١٠٤﴾ (الأنبياء).

ولكنهم ما زالوا داخل الأرض في أجداثهم وقبورهم..فكيف سيَخْرُجون؟ بل كيف سيُخْرَجون؟..

انظر إليهم يخرجون من الأجداث..أخرجت الأرض أثقالها:

مع نفخة الصور العظيمة تبدأ الأرض بالتزلزل..فتهتز، وتميد وتضطرب.. وترتج ﴿إِذَا زُلۡزِلَتِ ٱلۡأَرۡضُ زِلۡزَالَهَا ۝١﴾(الزلزلة)، ثم تُمَدُّ﴿وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ﴾(الانشقاق: 3) انظر إليها ..وهي تمد وتضطرب وتهتز..ثم ما تلبث أن تُخْرِجَ أثقالها ﴿وَأَخۡرَجَتِ ٱلۡأَرۡضُ أَثۡقَالَهَا ۝٢﴾(الزلزلة).. لقد رمتْ كل ما فيها من بشرٍ وجوهر..أخرجت أثقالها﴿ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ۝٤﴾(الانشقاق) لقد ألقتهم خارجاً، وتخلت عنهم فلم تقبل بقاءهم في جوفها..وهكذا نبتوا من الأرض نباتاً، وأخرجوا منها إخراجاً.

فليخشع قلبك، ولتحنِ رأسك خضوعاً وخشوعاً..ثم اتل بتصديقٍ كاملٍ قول الملك الجليل:﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ نَبَاتٗا ۝١٧ ثُمَّ يُعِيدُكُمۡ فِيهَا وَيُخۡرِجُكُمۡ إِخۡرَاجٗا ۝١٨﴾(نوح) خرجوا جميعاً،

1- الحاكم 4/ 541، وصححه على شرط الشيخين ووافقه الذهبي.

وخلال لحظاتٍ يسيرة رأيتهم بعد أن قذفتهم الأرض﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾(الزمر) فإذا جميع الخلق قيامٌ ينظرون إلى هول المشهد أمامهم..أحياءٌ بعدما كانوا عظاماً ورفاتاً..صاروا أحياءً ينظرون إلى أنفسهم وقد خرجوا حفاةً عراةً غُرْلاً بُهْماً..كما كانت خِلْقَتُهم أول مرة..﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾(الزمر) إلى أهوال يوم القيامة..فاشهد هناك معهم"هول يوم القيامة، وما يكون فيه من الآيات العظيمة والزلازل الهائلة".

وهكذا..مجرد صيحةٍ واحدةٍ من الصور بقدرة الجبار – عزَّ جاره–﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾(يس)..صيحةٌ واحدة زجرتهم وأزعجتهم من قبورهم لتراهم قد خرجوا ﴿فَإِذَا هُم بِالسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾﴾(النازعات).

أَفِقْ أيها الحبيب: لقد دعاهم الله للقيام فاستجابوا ﴿بِحَمْدِهِ﴾(الإسراء: 52) وعندها ظنوا إن لبثوا ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾(المؤمنون:114).. نعم إنها مجرد دعوةٍ من الحي القيوم العلي العظيم... مجرد دعوةٍ لهم ليخرجوا﴿مِّنَ الْأَرْضِ﴾(الروم: 25)، وتعبر عنها صيحة الفزع فإذا هم مخرجون..إذا هم قيام لله رب العالمين.

إنه اليوم الذي تشقق الأرض عنهم فيخرجون منها سراعاً، وأول من تنشق الأرض عنه نبينا محمد ﷺ.

صيحات الفزع من الخارجين..{كلا لا وزر} حنانيك يا يومَ الخائفين:

انظر إليهم..وأكمل مشاهد الحق:

وهكذا جاء يوم التلاقي، جاءت الراجفة تتبعها الرادفة..نقر في الناقور، ونفخ إسرافيل في الصور..نفخةً قام فيها الناس لله رب العالمين.. قام الناس فزعين مرعوبين بعد أن قذفتهم الأرض خارجها..ولما خرجوا وعاينوا أنهم قد أعيدوا نشأة أخرى﴿فَإِذَا هُم مِّنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾(يس)..عندها صاح الظالمون منهم فزعين وجلين: ﴿يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾(يس:52)..ومنادي الحق ينادي ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾ (يس).

ورأيتَ هناك كثيراً من الخارجين من أجداثهم..رأيت كثيراً من الخارجين خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث..كأنهم من كثرتهم جرادٌ منتشر..انظر إليهم..إنهم أمامك: ﴿مُّهۡطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِۖ﴾ (القمر: 8)..مسرعين إلى الداعي الذي دعاهم للقيام لرب العالمين من أجداثهم..وهم يعلمون إلى أين يتوجهون..﴿كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ٤٣﴾ (المعارج) ..كأنهم إلى شيءٍ منصوبٍ معلوم يوفضون..يسرعون إليه..فهل يبقى منهم أحدٌ يتخلف عن موعد الحشر ومكانه..حينها نادى الذين لم يكونوا يؤمنون بالساعة «أين المفر» ﴿أَيۡنَ ٱلۡمَفَرُّ ١٠﴾ (القيامة)..هل يمكن أن يكون هناك من يمكنه أن يهرب من المحشر؟..

كلا!﴿كَلَّا لَا وَزَرَ ١١﴾(القيامة) لا ملجأ يمكن أن يلجأوا إليه، ولا مهرب يمكن التخفي فيه أو بين يديه! ومنادي الحق ينادي:﴿وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧﴾ (الكهف) ..حشروا! لم يترك واحد منهم..حشروا من أرجاء الأرض المعمورة..بل من كل مكان في الكون فلا مهرب في صحراء أو سماء أو بحر أو مقصورة..إن الله العظيم الكبير حشرهم جميعاً..يقول لهم: ﴿أَيۡنَ مَا تَكُونُواْ يَأۡتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ١٤٨﴾ (البقرة).

عندها سمعتِ الخلائقُ الأمر الإلهي العظيم ﴿وَقِفُوهُمۡۖ إِنَّهُم مَّسۡـُٔولُونَ ٢٤﴾(الصافات).

حينها قال الكافرون جملة الخوف الخالد، والرعب المقيم: ﴿هَٰذَا يَوۡمٌ عَسِرٞ ٨﴾(القمر)..
ها هنا يكون العز لمن أذل نفسه لربه..ها هنا يكون السناء.. لمن لهج وألح في دنياه بالدعاء..أيها الحبيب:اطرّح منظر المفرطين في الدنيا جانباً..ونادِ:

أتيتُ إليك يا رب العبادِ بإفلاسي وذلي وانفراد
وها أنا واقفٌ بالباب أبكي زماناً ما بلغتُ به مرادي
عسى عفوٌ يبلغني الأماني فقد بَعُدَ الطريقُ وقلَّ زادي

ولكن ما حال ذي القلب المنيب، وكيف يكون بعثه السهل الرحيب؟.

لكن كيف حال العروس بين الفزعين؟:

أما صاحب القلب المنيب فقد تركناه وهو نائمٌ كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه..ونحن نراه الآن أمامنا..إذ لم يَطُلْ نومه؛ فقد بعثه الله من مضجعه ذلك...فأكمل مشاهد الحق، واصطحب معالم الصدق، وتابع خطواته في الدار الآخرة:

بعد أن أُعيد إليه خلقه كما كان أول مرة كبقية العباد، وخرج إلى ظاهر الأرض من باطنها جاءه نداء الحق الصداح الهادئ الذي طيب نفسه وأنفاسه، ورعى قلبه وإحساسه: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ (الفجر).. أيتها النفس ارجعي إلى ربك أي إلى صاحبك وجسدك.. فيأمر الله تعالى الأرواح أن ترجع إلى الأجساد[1]..وبعد أن ترجعي إلى الأرض حيث الأجساد.. فارجعي أيتها النفس المطمئنة.. ارجعي إلى ربك الجليل ليوصلك إلى محل كرامتك..وارجعي إلى ثواب ربك وكرامته[2] فالآن..الآن موعدك الحق..فانظر للرجوع الهانئ..وقارن حاله مع الآخرين..هل يستويان مثلاً؟.

يا صاحب القلب المنيب: انظر حواليك..إنه الفزع الأكبر:

لما قام نظر من حواليه..فرأى هولاً عظيماً: ماذا حدث للكون بسبب هذا الرعب الهائل: النجوم طمست فذهب ضوؤها، ثم كُدرت فتساقطت، واشتد الموقف فتناثرت منه الكواكب كأنها ترابٌ انتشر في الكون، والبحار سُجِرَتْ فاستحالت المياه ناراً موقدة..المياه صارت ناراً موقدة فكيف يكون – هنالك–الحال، وبماذا يعبر عن ذلك المقال..والسماء انفطرت وانشقت ففرجت، وتدلت أرجاؤها، ووهت أطرافها، ثم كشطت كشطاً..والجبال نسفت..فذهبت فلم يبق لها عينٌ ولا أثر، وتطايرت ذراتها فصارت كالعهن المنفوش.. وكان ﴿يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾(الإنسان).. حتى صار– كما يقول مقاتل – شره فاشياً في السموات

1- هذا أحد التفاسير الواردة..وقد قاله ابن عباس وعكرمة وعطاء واختاره الطبري، ودليله قراءة ابن عباس فادخلي في عبدي على التوحيد. انظر: تفسير القرطبي 20/ 57.

2- هذا أحد التفاسير الواردة... انظر: تفسير القرطبي 20/ 57.

فانشقت، وتناثرت الكواكب..وفزعت الملائكة..وفي الأرض نسفت الجبال، وسجرت البحار[1]...وزاد من رهبة ذلك اليوم ورعبه أنه استطال أمده، وكبر زمانه فكان مساوياً لخمسين ألف سنة، وكان المنظر العام للحال في ذلك اليوم..يوم الأهوال، واضطراب الأحوال..- كما يقول قتادة -: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض..نعم كم فزع الصالحون من ذلك اليوم، وأشفقوا منه وهم يعلمون أنها الحق..لقد كان المخبتون يطيعون الله مشفقين وجلين، ويستجيرون به ﴿وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ (الإنسان).

من جديدٍ: من القادم؟ اللقاء بأطهر المخلوقات..لقاء الأحبة مجدداً:

تصور المشهد: يخرج الناس من القبور فَزِعين وَجِلين يصيحون يصيحون:﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ (يس:52)، وآخرون ينادون: ﴿يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ (الأنبياء: 97)، وآخرون ينادون فزعين: ﴿رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾(إبراهيم: 44)..ويزداد الفزع والرعب حتى يهرب الناس بعضهم من بعض فيفر المرء يومئذٍ «من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه»..بل يود المجرم منهم أن يقذف أعز أحبابه ليكون فداءً له..﴿يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ۝١١ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ۝١٢ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ۝١٣﴾(المعارج) ..بل يود المجرم أن يرمي كل أهل الأرض فداءً لنفسه من هول ذلك الموقف.. وكان لكل امرئٍ من الناس يومئذ شأنٌ يغنيه..يأتون ربهم فرادى كما خلقهم أول مرةٍ..كل الناس أتوا ربهم في يوم التغابن فرداً..إلا أن ربي الغفور التواب الودود الوهاب قد جعل للمخبت المنيب وداً..فتلقته أحبابه الأطهار في مقعد صدقٍ يوم القيامة..

لما خرج من قبره..إلى حشره ونشره.. قام من قبره بعد أن أعاده الله-جلَّ جلاله- كما بدأه كأن أحب الناس إليه قد أيقظه غير فزعٍ ولا وجلٍ..وهناك في موقف الوجل الشديد اقتربت منه مخلوقاتٌ طاهرةٌ نقيةٌ..إنهم أولياؤه من الملائكة..ما أسعده بهذه الصحبة ..وتأمل

1- انظر: تفسير القرطبي 19/ 128.

لقاءه بالملائكة الأطهار..إذ يتلقونه فور خروجه..إنهم أعز الأحباب، وأجل الأصحاب..إنهم ملائكة الرحمة يتلقونه[1] كما وعدوه قبل الموت..هاهم يقبلون عليه بالتهنئة والبشرى والتحية، والعناق..مع أجل رفاق..تهدئ من روعه، وتزيد من سكينته..وتقول له كلمة التبشير العظيمة ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾(الأنبياء) ويهتفون له: أبشروا وأَمِّلوا ما يسركم..وهناك تعود الملائكة مجدداً إلى تبشيره فيقولون له: لا «تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون»..وهكذا تعود الطمأنينة والأمان إليه مجدداً..فيؤَمِّن الله تعالى خوفه، ويقر عينه، فما عظيمةٌ يخشى الناس يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عينٍ لما هداه الله تبارك وتعالى، ولما كان يعمل له في الدنيا.

وفي موقف الطامة الكبرى، والقارعة المخيفة وفي عرصات القيامة رأيته هناك ممن ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(الأنبياء: 103) يملأ قلوبهم بشراً ورضاً وطمأنينةً أن يسمعوا الحق يناديهم ومن معهم من المخبتين: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾(الزخرف).

انظر إلى غيرك لترى نعيمك ما بلغ:

وأما بقية الخلق ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ (المؤمنون) لا يتزاورون فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم..أما المخبت صاحب القلب المنيب فهو في حفاوته، تأتي الملائكة لتكون معه، ويلتقي بمحبيه في جلال الله تحت ظل العرش..

أما المجرمون فإنهم ﴿يَوْمَ يَرَوْنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٢٢﴾﴾(الفرقان).

عندما يخرجون من أجداثهم مجدداً ويرون الملائكة نازلةً في موقف الصاخة لا بشرى لهم.. وهكذا رأيت أن "الملائكة في هذين اليومين يوم الممات ويوم المعاد تتجلى للمؤمنين وللكافرين..فتبشر المؤمنين بالرحمة والرضوان، وتخبر الكافرين بالخيبة والخسران فلا بشرى

1- تفسير القرطبي 11/ 346، تفسير ابن كثير 3/ 200.

يومئذٍ للمجرمين وتقول الملائكة للكافرين: حرامٌ محرمٌ عليكم الفلاح اليوم"[1]، حجراً محجوراً: الفلاح لا يأتيكم فهو ممنوعٌ عليكم وأنتم ممنوعون منه.

ومنادي الحق ينادي على موقف صاحب القلب المنيب:﴿هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ٤٩﴾ (ص) فهاهم يصيرون إلى أحسن مآب..وخير مرجعٍ ومثاب.

ألا فأبشر يا صاحب لا إله إلا الله..أبشر: فليس على أهل لا إله إلا الله وحشة في قبورهم ولا في نشورهم[2]..

يا صاحب لا إله إلا الله لكأنك بك وبأهل لا إله إلا الله ينفضون التراب عن رءوسهم ويقولون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَۖ﴾(فاطر:34)[3].

أيا صاحب القلب المنيب: هل ستبكي..هل ستبكي هناك فرحاً وأنت تذكر أنك كنت تردد ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠﴾(الإنسان)..فإذا أصحابك الأطهار ينادونك في مقابل ذلك ﴿هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ١٠٣﴾(الأنبياء)..وهناك رأيتَ نفسكَ وأصحابك وقد وقاكم الله ﴿شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ﴾(الإنسان:11) وقاكم شر ذلك اليوم الرهيب..فدفع عنكم بأسه، وشدته، وعذابه حتى رأيت أنك لا تملك نفسك وقلبك..بل ووجهك من شدة الفرح والسرور فقد لقاكم الرب الودود ﴿نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١﴾(الإنسان).. نضرة في وجوهكم..وسروراً في قلوبكم..تكرماً منه عليكم أيها المخبتين من بين سائر العالمين..

الشمس تدنو من العباد فتصهرهم..فأين المفر للخلائق بَرِّهِم وفاجرهم؟:

ولكن أهوال القيامة تتابع؛ فقد حدث للخلائق ضمن تلك العرصات العظيمة،

1- تفسير ابن كثير 3/ 314.

2- الطبراني في الأوسط 9/ 181، وانظر: تفسير ابن كثير 3/ 46..وإنما ذكرته بغير قوسي الحديث لما غُمِز به سنده من ضعف..أما معناه فكل الآيات والأحاديث تدل عليه، وما هو إلا شرحٌ لها.

3- شعب الإيمان 1/ 111.

والأهوال الضخمة كربٌ عظيمٌ؛ إذ ((أدنيت الشمس من العباد، حتى تكون قيد ميلٍ أو اثنين..))[1]، بل لا يتوقف الأمر على مجرد دنوها؛ إذ ((يزاد في حرها كذا وكذا))حتى أنه ((يغلى منها الهوام كما يغلى القدور)) أما الناس في المحشر..أما الناس ((فتصهرهم الشمس، فيعرق الناس «على قدر خطاياهم»))..تأملهم انظر إليهم: ((فيكونون في العرق بقدر أعمالهم، فمن الناس من يبلغ عرقه إلى كعبيه، ومنهم من يبلغ إلى نصف الساق، ومنهم من يبلغ إلى ركبتيه، ومنهم من يبلغ العجز، ومنهم من يبلغ الخاصرة، ومنهم من يبلغ منكبيه، ومنهم من يبلغ عنقه، ومنهم من يبلغ وسط فيه، ومنهم من يلجمه إلجاما..))[2].. يا للخزي والهوان..يا للحسرة التي تعتري الإنسان..يا للضنك الذي يصاحب الخسران..ترى من الناس في ذلك المقام من يلجمه العرق إلى فيه إلجاما.

وجمع الله الخلائق ((كما يجمع النبل في الكنانة خمسين ألف سنة، ثم لا ينظر إليهم))[3]..فأي وحشةٍ تعتريك من هول ذلك اليوم، وأي خوفٍ يسري في عروقك؛ فعلى الرغم من شدة الكرب، وطول المدة ((لا ينظر)) إليهم فذلك – أيا صاحب القرآن– ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾(المطففين).. يقفون موقفاً واحداً خمسين ألف سنة لا ينظر الله إليهم، ولا يقضي بينهم، فهل ترى أكثر باكياً من يومئذ..تراهم عند ذاك يدمعون دماً، والعرق يتوالى ويزداد ويعرقون حتى يبلغ من بعضهم أن يلجمهم أو يبلغ الأذقان فما أكثر ضجتهم حينها...

في ذلك الجو اللاهب: أبشر..أتحت ظل عرش الرحمن؟:

وفي هذه الأثناء كان للأواب الحفيظ..كان لصاحب القلب المنيب شأنٌ آخر؛ فقد نادى الحق جل جلاله ((أين المتحابون بجلالي اليوم (لهم منابر من نورٍ)، أُظلهم في ظلي يوم لا

1- قال أحد الرواة: "لا أدرى أي الميلين عنى أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين" وينبغي أن نذكر هنا أنه تُزاد أيضاً في خِلْقة الإنسان حتى يذوق العذاب دون أن يفنى.

2- البخاري 2/ 536، مسلم 4/ 2196.

3- الحاكم 4/ 616، وصححه، ووافقه الذهبي، ابن حبان 6/ 326 وصححه الأرناؤوط على شرط الشيخين.

ظل إلا ظلي))[1]..الخلائق في لهيبهم وخوفهم وفزعهم وهو أين..أين؟ في الظل؟ وأي ظلٍ أيها العاشق المشتاق..أي ظلٍ يا صاحب القلب الخفاق؟ إنه ظل عرش الرحمن..

وهكذا اجتمعوا تحت ظل عرش الله، وعلى الرغم من أنهم ليسوا بأنبياء ولا شهداء إلا أنه ((يغبطهم الأنبياء والشهداء يوم القيامة بمكانهم من الله تعالى))، وما لهم ألا يكون لهم ذلك، وهم ((قومٌ تحابوا بروح الله على غير أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يتعاطونها))..انظر إليهم، ومَتِّعْ نظرك..((فوالله إن وجوههم لنورٌ، وإنهم على نور[2]))[3]، وبينما الناس في حزنهم، بينما الناس في رعبهم، بينما الناس في خوفهم..رأيتهم هناك ((لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس)).

ومنادي الحق ينادي عليهم: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾(يونس).

وهناك..هناك التقى صاحب القلب المنيب مع أَعَزِّ أحبابه الذين تحاب معهم في جلال الله تعالى، يا لأنس اللقاء في عرصات ذلك اليوم العبوس القمطرير..نعم لقد كان يخاف من ربه هذا اليوم وكان يعلنها مع صحبه ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾(الإنسان)... وها قد جاءهم ذلك اليوم..﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ﴾(الإنسان:11) وليس ذلك فقط فهاهم تحت ظل عرش الرحمن قد﴿وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾(الإنسان).

تحت ظل عرش الرحمن: أي نعيمٍ وأي مزية:

ولشدة ما هم فيه من نعيمٍ يسير الإنسان فيه ويطمئن ويحتال..في ذلك اليوم العظيم الأهوال لربما تساءل بعض الناس من حواليه: لِمَ كل هذا الاحتفاء به بينما الناس في عَرَقِهم؟..فنظرتَ في ذلك وقلبتَ النظر فعرفت أنه قد اجتمعت فيه عدة صفاتٍ جعلته ينعم بظل عرش الله–جلَّ جلاله–[4]، فقد كان شاباً ((نشأ في عبادة الله))، وكان ((قلبه معلقاً

1- مسلم 4/ 1988، والزيادة عند الترمذي 4/ 597.
2- الحالف هو النبي ﷺ..الحالف هو النبي ﷺ.
3- أبو داود 3/ 288.
4- حديث السبعة المشهور عند البخاري 1/ 234، مسلم 2/ 715.

بالمساجد))، وكان مع خليلٍ من أعز أخلائه ممن تحابا ((في الله فاجتمعا عليه وتفرقا عليه))، وكان..يا لهفتاه حريصاً على أن يتصدق ((بصدقةٍ ويخفيها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه))، وكم مرت عليه أوقاتٌ ((ذكر الله خالياً ففاضت عيناه)) خوفاً وطمعاً..

وقد التقى تحت ظل عرش الرحمن بثلةٍ من المخبتين الذين كانت فيهم صفةٌ من هذه الصفات العزيزة أو أكثر، ومنهم الكُمَّل الأخيار الذي اجتمعت فيهم هذه الصفات وأكثر منها، فهذا إمامٌ عادل، وذا شابٌ نشأ في عبادة الله، وهذا رجلٌ قلبه معلقٌ في المساجد، وهذان رجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه، وهذا رجلٌ دعته امرأة ذات منصبٍ وجمال فقال: إني أخاف الله، وهذا رجلٌ تصدق بصدقةٍ فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، وهذا رجلٌ ذكر الله خالياً ففاضت عيناه..وهذا شاب اجتمعت فيه كل هذه الصفات..لله درهم..واحر قلباه ألا يكون لنا فيهم نصيب..وإنا لنرجو الله أن يدخلنا في زمرتهم.

إنهم:

فتيةٌ في رياض الذكر مرتعهم لله ما جمعوا، لله ما وهبوا
إذا نظرت إليهم خلت أنهم جاءوا من الخلد أو للخلد قد ركبوا

أيا جليس المساجد: فقد رأيت صاحبنا أمامك.. آواه الله – جلَّ جلاله – إلى ظل عرشه..ظلٍ ظليل، وهدوءٍ بالٍ، وسعادة قلبٍ، ونسيمٍ عليل..والخلائق في كربٍ عظيم لا يُفَتِّرُ عنهم هول يوم القيامة وهم فيه مبلسون..انظر من حواليه: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝٨ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ۝٩﴾(النازعات)...بل صاح منادي الحق: هذا يوم الآزفة الذي تكون فيه ﴿ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ﴾(غافر:18)..

شابت الولدان، وذابت الأجفان: إنه قادم الهلاك..كيف الفكاك منه..كيف الفكاك؟

ثم رأيت شيئاً عظيماً يؤتى به..لما فيه من الهول والفزع والرعب رأيته كأنه سرابٌ

يحطم بعضه بعضاً...فتساءل الخلق ما هذا؟..ومنادي الحق يصعق أفئدة الخلق يخبرهم عن هذا الشيء العظيم﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾(الشعراء).. ويشتد الكرب والهول فـ((يفزع الناس ثلاث فزعاتٍ))[1] "إذا جيء بجهنم فإذا زفرت فزع الناس حينئذ وجثوا على ركبهم"[2]..

وازداد الرعب حين سمع الخلائق أجمعون قولاً ينادي آدم أبا البشر –عليه السلام–: ((أَخْرِجوا بعث النار)) فأسقط في نفوس الخلائق، واستطار الخوف..((فيقال: كم؟ فيقال: من كل ألفٍ: تسع مئةٍ وتسعةٍ وتسعين)) عندها لا تسل عن الرعب الذي حل بهم..((فيومئذ تبعث الولدان شيبا))[3].

ولربما اعترى صاحب القلب المنيب من الحزن العظيم، والخوف الشديد ما يعتريه وهو يسمع ذلك كما سمعه الخلائق..لكن الله يبدل حزنه سروراً..ويملأ قلبه بِشْراً ورضاً وطمأنينةً وحبوراً..إذ يسمع الحق يناديه ومن معه من المخبتين:﴿يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ﴾(الزخرف: 68)..

ولم تحزن؟ لم تحزنْ.. وهناك تجد أخلاءك وأولياءك في الحياة الدنيا والآخرة من الملائكة يبشرونك بأن الله قد جعل مكانك في النار فرداً من أعدائه، وذلك أنه ((إذا كان يوم القيامة بعث الله إلى كل مؤمنٍ ملكاً معه كافرٌ فيقول الملك للمؤمن: يا مؤمن هاك هذا الكافر فهذا فداؤك من النار))[4] فتفتدي نفسك من النار بمن يستحقها..ويقر بالك، ويهدأ قلبك إذ إن مجرد معاينة أهوال القيامة، والنظر إلى تغيظ النار، وسماع زفيرها..يُلْقِي في القلب أنه غير ناجٍ..مع كثرة أنعم الله عليه في الدنيا، وقلة شكره..ولكن الله يذهب حزنه، ويبعد همه وغمه..

1- الترمذي 5/ 308، وقال: حسن صحيح.
2- هذا كلام تفسير القرطبي..
3- مسلم 4/ 2258.
4- ابن ماجة 2/ 1434، وصححه الألباني.

ولم تحزن أيها القانت البار يا صاحب القلب المنيب؟ لم تحزن؟ والله تعالى قد خفف عنك يوم القيامة وأنت تحت ظل عرش الله فصار عندك ((كقدر ما بين الظهر والعصر))[1] وهذه من أعظم البشرى للمؤمنين..فإن معاينة أهوال القيامة يوماً واحداً هو العذاب ذاته فكيف بمعاينة الأهوال خمسين ألف سنة.

أبْشِرْ..هاهي الجنة تقترب..مَتّعْ نظرَك..إنها أمامك:

وفجأة بعد ترقبٍ قَلِقٍ، ونفسٍ ملتاعةٍ جاء النداء الإلهي يحجز بين أهل المحشر..نادى المنادي في ذلك اليوم العظيم: ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾(يس:59):"اعتزلوا عن أهل الجنة، وكونوا فرقةً على حدة"[2]..وهكذا بعد أن نادى منادي الحق فأصدر أمراً إلهياً بفك الاختلاط بين المفلحين وبين المجرمين..وعند ذاك رأيت الناس﴿يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾(الروم: 14)..

ترقب الأمر الإلهي: فقد صدر الأمر الإلهي بقسمتكم إلى قسمين: السعداء والأشقياء..

وهنا اضطربت النفوس ووجلت القلوب..ووجل الخلق..كلٌ يخاف على نفسه أن يُصَنَّفَ في الصنف المذموم المدحور..ثم ظهر السعداء..وكان صاحب القلب المنيب منهم..ووفق الله صاحب القلب المنيب برحمة ربنا الودود فاصطفاه وخَلَّصه..فيا للفرحة الخانقة، والعبرات العالقة..كان من السعداء بعد أن اجتاز أخطر محطات القيامة: توزيع كتب الحساب، والميزان، والصراط..وابتهج مع أحبابه من المبتهجين..وبعد القسمة الإلهية بين أهل المحشر أيجرؤ أحدٌ أن يعترض حكم الملك العدل الحق المبين..أيجرؤ؟ كيف وهم يأتون {لا تكلم نفسٌ إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد}..

يا عاشق الجنة: ألا فأعلن الفرح، وأظهر الابتهاج؛ إذ صُنِّفت ضمن فرقة الناجين

1- الحاكم 1/ 158 وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.
2- التبيان في تفسير غريب القرآن ص 350.

المفلحين..عند ذاك رأيت المؤمنين وقد خَفَّ خوفهم أو زال..ثم هاهو فرحهم بأنفسهم يزداد..و..﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾(الشعراء:90) إنه حدثٌ لا يمكن إخفاء فرحه ..أزلفت الجنة..أدنيت وقربت منكم أيها المتقون..وكانت غير بعيدٍ منكم يوم القيامة ..فأنتم واصلون إليها لا محالة، وكل ما هو آتٍ قريب..وهم في فرحهم يسمعون منادي الحق ينادي:﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾(ق)..عندها ربما راجع كلٌ منهم نفسه لينظر أله من هذه الصفات نصيبٌ..وله بربه سببٌ من عملٍ أواهٍ منيب.

أيها المتقون: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾(ق) هذا ما توعدون لكل رجَّاعٍ تائبٍ مقلعٍ حفيظٍ..حفظ العهد الذي بينه وبين ربه فلم ينكثه، وامتلأ صدره باليقين..

أيها المتقون: هذا ما توعدون لكل من حفظ عهد﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾(الفاتحة).

أيها المتقون: هذا ما توعدون لكل أوابٍ حفيظٍ يكثر الاستغفار، في مجلسه من ليلٍ أو نهار، سمتُه سمتُ الصالحين..

أيها المتقون! أبشروا: فإن هذه الجنة جزاء ل﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾(ق: 33) جزاء لمن خاف الله في سره حيث لا يراه أحدٌ إلا الله عز وجل..ممن كان يعاتب نفسه في الدنيا:

إذا ما خلوت الدهرَ يوماً فلا تقل ... خلوتُ ولكن قلْ عليَّ رقيبُ
ولا تحسبنَّ الله يغفلُ ساعةً ... ولا أن ما يخفى عليه يغيبُ
لهونا لعمر الله حتى تتابعتْ ... ذنوبٌ على آثارهن ذنوبُ
فيا ليت أن الله يغفر ما مضى ... ويصفحُ عن زلاتنا فنتوبُ

أيها المتقون: أبشروا! فهذا ما توعدون لمن خشي الرحمن بالغيب.. ذكر الله تعالى خاليا ففاضت عيناه..وامتلأ بالموعظة قلبه وأذناه..

أيها المتقون: هذا ما توعدون لمن﴿وَجَآءَ بِقَلۡبٖ مُّنِيبٍ ٣٣﴾(ق) لمن أتى اليوم فلقي الله – جلَّ جلاله – بقلبٍ منيبٍ سليم.. خاضع لديه.

فماذا يملك القلب إلا أن يقول: **يا من لم يزل عليماً عظيماً عليا،**

يا من لم يزل جبارا قهارا قادرا قويا،

يا من رفع سقف السماء بصنعته فاستوى مبنيا،

يا من سطح الأرض بقدرته وسقاها كلما عطشت ريا،

يا من أخرج صنوف النبات فكسى كل نبت زيا،

يا من قسم الخلائق سعيداً وشقياً،

يا من ذكر برحمته عبده زكريا،

يا من يسمع دعاء العبد إذ نادى ربه نداء خفيا: اجعلني عندك رضيا، كن بي حفيا، ولا تجعلني بدعائك شقيا، ارفعني مكانا عليا، اجعلني عندك مرضيا.

الكسوة والستر..يوم يُحَصَّلُ ما في الصدور..يوم تبلى السرائر:

وعلى الرغم من هذا التكريم للمفلحين من الخلق إلا أنك ترى الخلق في ذلك الوقت ما يزالون كما وصفهم النبي ﷺ: ((يجاء بهم حفاةً عراةً غُرْلاً، فيكون أول من يكسى إبراهيم يقول الله تعالى: اكسوا خليلي.. فيؤتى بريطتين بيضاوين من رياط الجنة)).. يتابع النبي ﷺ وصفه لهذه اللحظات الحاسمة فيقول: ((ثم أُكسى على أثره، ثم أقوم عن يمين الله مقاماً يغبطني الأولون والآخرون))[1].

1- الدارمي 2/ 419، والرَّيطة كل ثوبٍ رقيق لَيّن.

أي حبيب الجنة ومحبها: تصور!: النبي ﷺ قلقٌ عليك..وانظر كيف بلغ حبه لك: ومع شدة ذلك الموقف فإن النبي ﷺ قلقٌ ولهان يحب أن يرى المفلحين من أمته.. إنه باختصارٍ يريد أن يرى صاحب القلب المنيب فيا شوقاه لذلك اللقاء..وترى النبي ﷺ وهو يبحث عن المفلحين في عرصات القيامة في أوساط الأمم.. هناك ((عُرِضَتْ عليه الأمم)) وهو يتفقد أمته بينهم.. ((فجعل يمر النبي ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، والنبي والنبيان يمرون معهم الرهط، والنبي ليس معه أحد)).. وسيدنا المصطفى ﷺ يبحث عن أمته ((حتى رفع له سوادٌ عظيم «سَدَّ الأفق»))، فيسأل متلهفاً راجياً أن يكون هذا السواد أمته وذلك لكثرتهم..فيقول: ((ما هذا؟ أمتي هذه؟ قيل: هذا موسى وقومه)) وقد كان النبي ﷺ يود أن نكون أكثر الناس ليباهي بنا وباستجابتنا له الأمم..عندها يقال له: ((انظر إلى الأفق. فإذا سوادٌ عظيم يملأ الأفق ثم قيل له: انظر ها هنا وها هنا في آفاق السماء، فإذا سوادٌ قد ملأ الأفق. قيل: هذه أمتك)) فأمة محمد ﷺ يومئذٍ يملأون الآفاق حتى يباهي النبي ﷺ بأمته الأمم ولا فخر..ومن كثرتهم – حمداً لك ربِّ – من كثرتهم يراهم النبي ﷺ يملأون ((السهل والجبل)) حتى يعجب السيد المصطفى ﷺ كثرتهم وهيئتهم، حتى يقال له: ((أرضيت يا محمد؟ قلت: نعم أي رب))[1]..

يا سعادة المحبين للمصطفى الأمين: أجل يتحقق الآن الوعد الإلهي للنبي المصطفى، والخليل المجتبى، والشفيع المرتجى ﷺ ..الآن يتحقق له وعد ربه..فقد وعده ربي – عزَّ جاره –في الدنيا وعداً عظيماً..إذ قال له:﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ (الضحى) ..وأما الآن فيقال له: هل رضيت؟..وهل سيرضى لنا الموصوف بأنه عزيزٌ عليه ما عنتت أمته، حريصٌ عليها، ﴿بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٢٨﴾(التوبة)..هل سيرضى لنا بغير الجنة بدلاً؟..

قرأنا في الضحى ولسوف يرضى فســرَّ قلـوبنــا ذاك العطــاءُ
وحاشــا يــا رسـول اللــه ترضـى وفينــا مــن يُعَـذبُ أو يُسـاءُ

1- البخاري 5/ 2157، الزيادة عند ابن حبان 13/ 447.

وهنا تسمع النبي ﷺ .. فتُشَنِّفُ له آذانك حيث يفتخر في موقفٍ تصاغر فيه الناس أجمعهم: ((أنا أكثر الناس تبعاً يوم القيامة))[1]..

1- أحمد 1/ 403، ابن حبان 1/ 454، أبو يعلى 7/53، وجملة ((يملأون السهل والجبل)) في الحديث في المرجعين الأولين، ولا يوجد سهلٌ ولا جبلٌ آنها بحسب الأدلة الأخرى، فيكون المعنى أنه لو كان ثمَّ سهلٌ أو جبلٌ ملئا منهم لكثرتهم..فهو تقريبٌ للمخاطبين لبيان شدة الكثرة وأنها كالتي شملت الأرض جميعاً سهلها وجبلها.

المشهد الثاني
يا رب أرحني..
فلتشرق الأرض بنور ربها

هل سمعتَ قائلاً يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار[1]:

أيها الحبيب! يا صاحب القلب المنيب!: يجري حولك الآن أحداثٌ عظامٌ..إن أهوال القيامة لا حدَّ لها في إرعاب العباد وإخافة أهل الفساد..إذ تعود لتطل على الناس هناك حيث ((يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيدٍ واحدٍ يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر، وتدنو الشمس من رءوسهم))..فإذا دنت الشمس فعند ذلك ((يبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون))، ويزداد الكرب إذ ((تعطى الشمس يوم القيامة حر عشر سنين ثم)) تظل ((تدنو من جماجم الناس، فيعرقون حتى يرشح العرق في الأرض قامةً، ثم يرتفع الرجل حتى يغرغر يقول: غر.. غر))، و((يشتد عليهم حرها، ويشق عليهم دنوها، فينطلقون من الضجر والجزع مما هم فيه)) «فيفظع الناس لذلك، والعرق كاد يلجمهم» و«يلبثون ما شاء الله من الحبس»)) ((لغم ما هم فيه، والخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت))، ويشتد الأمر اشتداداً عظيماً حتى ((إن الرجل ليلجمه العرق يوم القيامة حتى يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار)) لا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبي الله ونعم الوكيل، وهل في النار راحة؟..**ارفع يديك وناج الإله القريب المجيب: اللهم اجعلني عند الفزع الأكبر من الآمنين..**

((فإذا رأوا ما هم فيه))، أعطاهم الله – عزَّ جاره– بقية قوةٍ فيقومون يتصايحون بينهم على هيئة المشاورة التي أصاب أصحابها كل تعبٍ ولغبٍ..عندها يقول: ((بعضهم لبعضٍ:

1- انظر: البخاري4/ 1745، والزيادات عند أحمد3/ 178، ابن أبي شيبة في مصنفه6/ 308، الطبراني في الكبير6/ 247.

ائتوا أباكم آدم حتى يريحنا من مكاننا هذا))..وتتكرر الطلبات بقوةٍ مع شدة الأمر..لا إله إلا الله، وحسبي الله ونعم الوكيل.. ((فيقول بعض الناس لبعضٍ: ألا ترون ما أنتم فيه؟ ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم))، ثم يستقرون على أن يطلبوا الشفاعة من أبي البشر آدم-عليه السلام- ((فيقول بعضهم لبعضٍ: انطلقوا بنا إلى آدم أبي البشر، فليشفع لنا إلى ربنا فليقضِ بيننا))...وهكذا يلهث سائر الناس يطلبون الشفاعة ليفصل بينهم مجرد الفصل..وليريحهم من مكانهم..ولو إلى النار..نعوذ بالله من غضب الجبار-جلَّ جلاله-.

ويشتد الأمر على المؤمنين أيضاً..وكلمةٌ تصدع الحليم تخرج من الكريم آدم أبي البشر-عليه السلام-: لستُ هناكم:

إلا أن الأمر يطول على المؤمنين أيضاً حيث ((يحبس المؤمنون يوم القيامة حتى يهموا بذلك))[1] يهتم بعضهم ويغتم من ذلك الحبس يوم القيامة..وعندما يشتد الأمر، ويطول ((يجتمع المؤمنون فيقولون: لو استشفعنا حتى يريحنا))، ((فيهتمون بذلك))، ولكنهم لا يعلمون كيف يناجون الجبار-جلَّ جلاله-، وهم خائفون أن تكون قد أطاحت بهم الأوزار..ثم ((يقوم المؤمنون حتى تنزلف لهم الجنة)) فيطلب المؤمنون الشفاعة ((فيلهمون ذلك)) ((فيأتون آدم)) طلباً للشفاعة.. وهكذا يبدأون بآدم..**فتابع مسيرتهم المتعبة..وَأَجْرِ دموع الخشية لله وأنت خالٍ..عسى أن تجد ثمن ذلك مضاعفاً يوم الأهوال..**

يصلون إلى آدم - عليه السلام - ((فيقولون: أنت آدم أبو الناس خلقك الله بيده، وأسكنك جنته، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيءٍ، لتشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا))، ويقرنون ذلك بما يُلْهِبُ الصدرَ مما أصابهم من الغمِّ والكرب فيقولون: ((ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟))..

1- حديث الشفاعة مشهور، انظر مثلاً: البخاري 6/ 2708، مسلم 1/ 180، وستأتي بعض التفصيلات خارج الصحيحين يُشار إليها، ولا نجهد الكتاب بالإشارة إلى من صححها.

((فيقول: لست هناكم)) لستُ في المحل الذي تظنونني فيه..لستُ في الدرجة التي تسمح لي أن أشفع لكم..لست هناكم..يا لها من كلمةٍ تصدعُ الحليم..أتصدر من نبي الله آدم..وهو..هو..كيف وهو الذي أسجد الله له ملائكته المقربين لما له من كرامةٍ ومكانةٍ، ومنزلةٍ عليةٍ رفيعةٍ..ولكنه هول القيامة العظيم..ثم يُخْبِرُهم بشدة ذلك الهول الذي يمنعه من أن يجترئ على الشفاعة عند ربه-جلَّ جلاله- فيقول:

((إن ربي غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه نهاني عن الشجرة فعصيته)).. ثم يئن بعبارةٍ عظيمةٍ تدلك على شدة الفزع، وعظم الكرب فيقول: ((نفسي..نفسي))..

أيا رباه لئن كان آدم يخاف على نفسه في ذلك اليوم العظيم، و لا يرجو إلا نجاتها..فماذا يقول العباد، وكيف يبلغ الكرب والضيق في الأكباد؟ اللهم سلم.. اللهم سلم. ولكن آدم-عليه السلام- يقدم لهم شيئاً واحداً؛ إذ ينصحهم بشخصٍ آخر فيقول: ((ولكن ائتوا نوحاً أول نبيٍ بعثه الله إلى أهل الأرض))..

الأنبياء الذين بعثوا لإنقاذ غيرهم يقولون: ((نفسي..نفسي)):

وينطلق الجمع الخائفُ المتعبُ ((فيأتون نوحاً)) فيرجونه..ويتوسلون إليه، ويعددون له مناقبه، ويطلبونه ((فيقولون: يا نوح أنت أول الرسل إلى الأرض، وسماك الله عبداً شكوراً..)) ثم يطالبونه بعبارات التوسل الشديد: ((اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟))..وينتظرون الجواب بلهفةٍ.. ولكن الرد كان مخيباً لآمالهم..محطماً لرجائهم..يزيد الغمَّ والكرب: ((فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوةٌ دعوتُ بها على قومي)) ثم يقول: ((لستُ هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب: سؤاله ربه بغير علم)) ثم يعيد لهم عبارةً تزيد في فزعهم فيقول: ((نفسي..نفسي))..

هذا العبد الشكور يخاف على نفسه أيا عبد الله..فماذا يكون حالي وحالك..ولكن نوحاً-عليه السلام - ينصحهم بنبيٍ آخر عسى أن يشفع لهم عند ربهم فيقول: ((ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن)) فينطلقون والكرب يزداد عليهم في يومٍ عظيم..وخطبٍ جسيم.. ((فيأتون إبراهيم)) فيكلمونه ويطلبون منه الشفاعة، ويقولون له: ((أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض.. اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما قد بلغنا؟)) ((فيقول لهم إبراهيم: إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولا يغضب بعده مثله)) ويعتذر لهم بأنه لا يستطيع أن يشفع عند ربه ((فيقول: إني لستُ هناكم. ويذكر ثلاث كلماتٍ كذبهن)) ثم يقول ((نفسي..نفسي..اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى موسى (عبداً آتاه الله التوراة، وكلمه وقربه نجياً) فيأتون موسى ﷺ يقولون: ((يا موسى! أنت رسول الله. فضلك الله برسالاته، وبتكليمه على الناس. اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم موسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله «إني لستُ هناكم ويذكر خطيئته التي أصاب»)) فيقول: ((وإني قتلت نفساً لم أومر بقتلها)) ثم يقول لهم: ((نفسي..نفسي. اذهبوا إلى عيسى ﷺ عبد الله ورسوله، وروح الله وكلمته))..

تابع الجمع الخائف المرعوب..وهو ينطلق إلى عيسى-عليه السلام-..((فيأتون عيسى فيقولون: يا عيسى أنت رسول الله، وكلمت الناس في المهد، وكلمةٌ منه ألقاها إلى مريم، وروحٌ منه فاشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فيقول لهم عيسى ﷺ : إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله. ولم يذكر له ذنباً))..

ولكن على الرغم من أنه لم يذكر ذنباً إلا أنه شعر أن ذلك لا يؤهله لأن يقوم بمهمة الشفاعة..لذا يقول لهم: ((لستُ هناكم..نفسي..نفسي. اذهبوا إلى غيري اذهبوا إلى محمد ﷺ عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر))..

وهكذا ((يستنصرون الأنبياء نبياً نبيا كلما جاؤوا نبيا أبى عليهم))[1] ولا من معينٍ ولا ناصرٍ..وكل نبيٍ يخاف على نفسه..

يا صاحب القلب المنيب: مقام السيد النبي المصطفى ﷺ في الدرجات العلى:

وفي هذه الأثناء يكون النبي ﷺ وأمته العظيمة ((على تلٍ فيكسوه ربه حلةً خضراء))[2] ..قال ﷺ : ((فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر. اشفع لنا إلى ربك. ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟..))..

ولا يأتي المؤمنون وحدهم بل تأتي الأنبياء أيضاً إلى النبي ﷺ لتعزز الموقف، وتؤكد الطلب.. حتى ينهد النبي ﷺ للشفاعة للخلق أجمعين..تأتي جموع الأنبياء وجموع المؤمنين طالبةً منه ﷺ أن يشفع إلى الله حتى يفصل بين العباد، ويصفون له ما قد وصل إليه العباد من الغم كما قال ﷺ : ((إني لقائمٌ أنتظر أمتي تعبر الصراط إذ جاءني عيسى -عليه السلام- فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألونك -أو قال- يجتمعون إليك، ويدعون الله أن يفرق بين جميع الأمم إلى حيث يشاء الله لغمِّ ما هم فيه، فالخلق ملجمون بالعرق، فأما المؤمن فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيغشاه الموت))[3] عندها يقول النبي ﷺ لعيسى-عليه السلام-: ((انتظر حتى أرجع إليك)).

بنفسي يا رسول الله! ما زلتَ تعطي الخلق نفسك وراحتك في الدنيا، وتهديهم سواء السبيل..جعل الله كرامتك أمام العالمين ظاهرة، إذ أبقى حاجتهم إليك في الدنيا والأخرى.

نعم! وصاحب القلب المنيب يحضر ذلك، ويرى كيف رغب الخلق لسيد البشر في ذلك

1- مسند إسحاق بن راهويه 1/ 89.
2- ابن حبان 14/ 399.
3- الضياء في المختارة 7/ 249.

الموقف العصيب ((حتى إبراهيم -عليه السلام-)) خليل الرحمن..الكل ينتظر الفرج بشفاعته.. وبذلك صار النبي ﷺ في هذا الموقف العظيم بحقٍ ((سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر))..وبات حقاً بيده ((لواء الحمد، ولا فخر وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائه))[1].

وقام النبي ﷺ بما طلب منه الخلق أفضل قيام..إذ ينطلق نبي الله ﷺ فيقوم تحت العرش فيلقى هناك ما لم يلق ملكٌ مصطفى، ولا نبي مرسل ((فيشفع ليقضى بين الخلق، فيمشي حتى يأخذ بحلقة الباب، فيومئذٍ يبعثه الله مقاماً محموداً يحمده أهل الجمع كلهم))..ويصف النبي ﷺ للمؤمنين تلك اللحظات الحاسمة فيقول: ((«فأنطلق فآتي تحت العرش»، فأستأذن على ربي في داره، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيته وقعت ساجداً، «ثم يفتح الله عليَّ، ويلهمني من محامده، وحسن الثناء عليه شيئاً» لم يفتحه لأحدٍ قبلي، فيدعني ما شاء الله أن يدعني فيقول: يا محمد ارفع رأسك.. سَلْ تعطه..وقل يسمع، واشفع تشفع))..وهكذا ((يؤذن للنبي ﷺ عندها فيقول ما شاء الله أن يقول، فذلك المقام المحمود)) الذي يُعطاه ولا يعطى لأحدٍ سواه. قال ﷺ : ((فأرفع رأسي، فأثني على ربي بثناءٍ وتحميدٍ يعلمنيه))، وتسمع النبي ﷺ يقول فيما يقول في الثناء على ربه – فيا حسن ذلك الثناء – قيل له: يا محمد فقال: ((لبيك وسعديك، والخير في يديك، والمهدي من هديت، وعبدك بين يديك، وبك وإليك، تباركت وتعاليت، سبحانك لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك. سبحانك رب البيت))[2].

يا صاحب القلب المنيب: من النعيم العظيم في موقف الخطب الجسيم: الانتماء إلى أمة محمدٍ ﷺ :

وبعد هذا يا صاحب القلب المنيب:

1- ابن حبان 14/ 398.

2- اعبد الرزاق في مصنفه 2/ 79، وابن أبي شيبة 6/ 319، وقال في مجمع الزوائد 10/ 377: رواه البزار موقوفاً ورجاله رجال الصحيح.

ألا ترى أن منبع رضاك وطمأنينتك بل فخرك وعزّك وسؤددك أنك تنتمي إلى أمةٍ قائدها هو ذا المصطفى المجتبى ﷺ ..تنتمي إلى أمةٍ تكون أسبق الأمم خروجاً من أرض المحشر، وأسبقهم إلى أعلى مكانٍ في الموقف، وأسبقهم إلى ظل العرش، وأسبقهم إلى الفصل والقضاء بينهم، وأسبقهم إلى الجواز على الصراط، وأسبقهم إلى دخول الجنة..فالجنة محرمةٌ على الأنبياء حتى يدخلها محمدٌ ﷺ ، ومحرمةٌ على الأمم حتى تدخلها أمته.

وهناك زاد تفاؤلك بنجاتك وفوزك بالانتماء إلى أمة محمد ﷺ ..إذ رأيت نبيك وهو يرجو ((أن تكونوا – معاشر أمة محمد ﷺ –شطر أهل الجنة))[1]..

هذا الحبيب المصطفى، والخليل المجتبى، والشفيع المرتجى ﷺ كانت له دعوةٌ مستجابةٌ يمكنه أن يدعو بها في الدنيا بما أحب..ولكنه لم يفعل..ادخرها وصبر على كل أذىً ولأواء قاساها في الدنيا..كل ذلك لأجل أمته ﷺ ..استمع إليه يبشرك بذلك ويخبرك عن حبه لأمته، وصبره عليها: ((لكل نبيٍ دعوةٌ مستجابةٌ، فتعجل كل نبيٍ دعوته، وإني خبأت دعوتي شفاعةً لأمتي يوم القيامة، فهي نائلةٌ إن شاء الله من مات لا يشرك بالله شيئاً))[2]..

ويبشر النبي ﷺ عندئذٍ أمته ببشرى فيقول: ((يدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفاً بغير حسابٍ))[3]..**أي قلبٍ عظيم بين جنبيك يا رسول الله! حتى في ذلك الموقف العظيم تسأل عنا وتخاف علينا، وتشتاق لنا..ترى ما أعددنا شوقاً لك يا رسول الله؟..**

ولكن النبي ﷺ في ذلك الموقف يعرف أمته بصورةٍ مجملة لبعد مكانهم لا يدرك منها إلا الكثرة ولا يمكنه تمييزٌ لأعيانهم..نفسي له الفداء ﷺ ..يتحرق شوقاً ليشاهدك وسائر أمته عن قربٍ.. فإذا ما قربتم منه أمكنه أن يميز أشخاصكم..وها أنتم قد قربتم..ها أنتم قد اقتربتم..**يا ساعة اللقاء بأحب الخلق إلى الله كيف تكون..كيف تكون؟..**

1- البخاري 4/ 1767، مسلم 1/ 200.
2-الحديث عند البخاري 5/ 2323، واللفظ لمسلم 1/ 189.
3-البخاري 5/ 215.

فما لعينيك إن قلت اكففا هَمَتا؟ وما لقلبك إن قلت استفق يهمِ؟
أيحسب الصب أن الحب منكتمٌ ما بيـن منسجمٌ منه ومضطرمِ

يا صاحب القلب المنيب: النبي ﷺ يبحث عنك,,,إنها أمة محمدٍ المكرمة لمن آمن منها وعمل صالحاً:

وعندها يأتي الناس والمؤمنون والأنبياء إلى النبي ﷺ ليشفع لهم حتى يفصل بينهم يقوم النبي ﷺ في ذلك المقام العصيب فيكون ((أول من يؤذن له في السجود يوم القيامة، وأول من يؤذن له برفع رأسه)) ثم يشفع..فيملأ قلبه الشوق مجدداً برؤية أمته، ويتعرف عليها..في وقتٍ يفر المرء من أخيه، وأمه وأبيه، وصاحبته وبنيه..في وقتٍ ينادي فيه منادي الحق: ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾(عبس)..في وقتٍ يصيح الأنبياء فيه ((نفسي..نفسي)) .. وعلى الرغم من ذلك كله يقوم النبي ﷺ يبحث عن أمته حتى يعرفها..**أيا صاحب القلب المنيب:** أبشرْ! أبشرْ! فالنبي ﷺ يعرفك وسائر أمته الآن بين هذه الجموع المتعاظمة!.

أيها الساجدون! أيها المتطهرون! أبشروا: أنتم المعروفون عند النبي ﷺ المقدَّمون بين يديه:

أجل هناك يلتمس المخبت الأواب أن يعرفه النبي ﷺ ، وقد أعدَّ للأمر عدته..نعم! فقد كان يُكْثِرُ من الطهارة..حتى أنه لا يبيت إلا على وضوءٍ، ويكثر من السجود فقد نصح المصطفى ﷺ أحد أحبابه المتيمين به الراغبين في موافاته يوم القيامة وفي الجنة.. نصحه بكثرة السجود..**تأمل الآن صاحبَ القلب المنيب في ذلك الموقف العصيب:** موقف القيامة.. بدأت تظهر عليه علاماتٌ رائعةٌ في جبهته وساقيه..لله ما أجملها! وأنقاها! وأصفاها..هو فقط وثلةٌ من الناس في ذلك الموقف العصيب..ظهرت عليه هذه العلامات..والناس يغبطونهم عليها..يودون أن لو كانت فيهم..فما هي يا ترى؟.

إنها الغرة والتحجيل..أجل سيما أمة محمد ﷺ بين الأمم..والنبي ﷺ ينظر بين يديه ليميز أمته عن غيرهم..**عندها يا صاحب القلب المنيب يخصك النبي ﷺ بنظرة..يا لها من نظرةٍ**..ويتبسم ﷺ من فرحه برؤية أمته أهل الغرة والتحجيل..وذلك مما يُثَبِّتُ الصالحين من أمته في ذلك الموقف العصيب..أيا رسولَ الله:

يومٌ أراك به فلست أصومه فالعيدُ عندي ثابتٌ تحريمُه
ودجىً أُميط لنا لثام ظلامه بصباح وصلٍ منك لست أقومُه

فيراكم ﷺ بين الأمم فهنيئاً لكم..ثم ينظر عن يمينه ليميزكم عن غيركم فيراكم بين الأمم فهنيئاً لكم، ثم ينظر عن شماله ليميزكم عن غيركم فيراكم بين الأمم فهنيئاً..هنيئاً لكم! **أيا حبيباه: هل قتلك الشوق لذلك المقام؟**..النبي ﷺ يعلن شارتكم بين الأمم: ((أمتي يوم القيامة غرٌّ من السجود، محجَّلون «بلقٌ» من الوضوء))[1] ..إنها ((سيماء أمته ﷺ ليس لأحدٍ غيرها))[2]..

والنبي ﷺ له شفاعةٌ خاصةٌ لأمته غير شفاعته لسائر الناس هي من أعظم الشفاعات عند ربه..ويصف ذلك ﷺ فيقول: ((فشفعت في أمتي..فما زلت أتردد إلى ربي –عز وجل– فلا أقوم منه مقاماً إلا شفعت حتى أعطاني الله –عز وجل– من ذلك أن قال: يا محمد أدخل من أمتك من خلق الله –عز وجل– من شهد أن لا إله إلا الله يوماً واحداً مخلصاً، ومات على ذلك))[3]..

يا صاحب القلب المنيب: فلتشرق أنوارك الوضاءة.. فقد أشرقت الأرض بنور ربها لفصل القضاء..ولكن:

1- لفظ الترمذي 2/ 505، والحديث عند البخاري 1/ 63، ومسلم 1/ 218.
2- ابن ماجة 2/ 1431.
3- المختارة 7/ 249 بإسناد صحيح، ورواه أحمد 3/ 178، وقال الهيثمي 10/ 374: "ورجاله رجال الصحيح".

استجاب الله–عزَّ جاره– لشفاعة نبيه ﷺ ..وأمر بالاستعداد لفصل القضاء بين العباد.. عندها بدأت أفواج الملائكة تتنزل، والبيان القرآني يصف بدقةٍ مثيرةٍ تلك اللحظات، إذ يقول ربي –عزَّ جاره–:﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾(الفرقان) فتتنزل الملائكة وتأخذ مصافَّها..ثم حدث أمرٌ عظيمٌ؛ إذ انشقت﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾(الحاقة)

السماء..لِمَ انشقت ووهت أركانها؟..لِمَ انفطرت وتداعت؟.. ووضح الأمر إذ رأيت السماء انشقت ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾﴾(الحاقة)...انظر هناك: انشقت السماء ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾﴾(الفجر) ﴿فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ (البقرة:210) فيحمل عرشه يومئذ ثمانية...

وعندها تمَّ النور الحق، وجاء الفصل ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾(الزمر:69)..أشرقتْ! نعم أشرقتْ.. الأرض بنور ربها يوم القيامة.. ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ (الكهف:49).. وُضِعَ كتابُ الأعمال، ﴿وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ (الزمر: 69).. جيء بالنبيين يشهدون على الأمم بأنهم بلغوهم رسالات الله إليهم..كما جيء بالشهداء من الملائكة الحَفَظَة على أعمال العباد من خيرٍ وشرٍّ، ﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾(الزمر:69) بالعدل﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾(الزمر)..

أيا طالب النجاة: فأَبْصِرْ العباد عندها وهو يحنّون أشد الحنين إلى الرحمة والفضل ..لا إلى القسط والعدل..إذ سبحان ربي فما عبده العابدون حق عبادته..فكيف ترى المفرطين؟.

شيءٌ عظيمٌ..وخطبٌ جسيمٌ..تعرضون لا تخفى منكم خافية:

عندها نادى منادي الحق جل جلاله:﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾(الحاقة).. إنه يومٌ عظيم..يدعو الله الناس فيه لفصل القضاء.. ولكن الرزية كل الرزية..والمصيبة كل المصيبة أن الأمر: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ (الحاقة).."فالكل مكشوف. مكشوف الجسد،

مكشوف النفس، مكشوف الضمير، مكشوف العمل، مكشوف المصير. وتسقط جميع الأستار التي كانت تحجب الأسرار، وتتعرى النفوس تعري الأجساد، وتبرز الغيوب بروز الشهود..ويتجرد الإنسان من حيطته، ومن مكره، ومن تدبيره، ومن شعوره، ويفتضح منه ما كان حريصاً على أن يستره حتى عن نفسه! وما أقسى الفضيحة على الملأ. وما أخزاها على عيون الجموع! أما عين الله فكل خافية مكشوفة لها في كل آن. ولكن لعل الإنسان لا يشعر بهذا حق الشعور، وهو مخدوع بستور الأرض. فها هو ذا يشعر به كاملاً وهو مجرد في يوم القيامة. وكل شيء بارز في الكون كله. الأرض مدكوكة مسواة لا تحجب شيئاً وراء نتوء ولا بروز. والسماء متشققة واهية لا تحجب وراءها شيئاً، والأجسام معراة لا يسترها شيء، والنفوس كذلك مكشوفة ليس من دونها ستر وليس فيها سر!

ألا إنه لأمر عصيب. أعصب من دك الأرض والجبال، وأشد من تشقق السماء! وقوف الإنسان عريان الجسد، عريان النفس، عريان المشاعر، عريان التاريخ ، عريان العمل ما ظهر منه وما استتر. أمام تلك الحشود الهائلة من خلق الله، من الإنس والجن والملائكة، وتحت جلال الله وعرشه المرفوع فوق الجميع.

وإن طبيعة الإنسان لمعقدة شديدة التعقيد؛ ففي نفسه منحنيات شتى ودروب، تتخفى فيها نفسه وتتدسس بمشاعرها، ونزواتها، وهفواتها، وخواطرها، وأسرارها، وخصوصياتها. وان الإنسان ليصنع أشد مما تصنعه القوقعة الرخوة الهلامية حين تتعرض لوخزة إبرة، فتنطوي سريعاً، وتنكمش داخل القوقعة، وتغلق على نفسها تماماً. إن الإنسان ليصنع أشد من هذا حين يحس أن عيناً تدسست عليه فكشفت منه شيئاً مما يخفيه، وأن لمحة أصابت منه درباً خفياً أو منحنى سرياً! ويشعر بقدر عنيف من الألم الواخز حين يطلع عليه أحد في خلوة من خلواته الشعورية..

فكيف بهذا المخلوق وهو عريان. عريان حقاً. عريان الجسد والقلب والشعور والنية والضمير. عريان من كل ساتر. عريان! كيف به وهو كذلك تحت عرش الجبار، وأمام الحشد

الزاخر بلا ستار؟! ألا إنه لأمر ، أمرٌ من كل أمر!!!"[1].

يصف ربي – عز جاره – ذلك الموقف فيقول:﴿يَوْمَ نَدْعُواْ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَٰمِهِمْ﴾(الإسراء:71) بنبيهم..يدعو ربنا القهار كل أمةٍ وحدها.. تتقدم مع نبيها ليتم فصل القضاء..وجاء إمام كل أمةٍ من الأمم، وذلك ليشهد عليهم، ومنادي الحق ينادي:﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾(يونس:47) ورأيت عند ذاك هلعاً شديداً.. فبالرغم من أن الناس أرادوا فصل القضاء، والتخلص من مواقف الهول والبلاء في يوم الطامة الكبرى..إلا أنهم بدأوا يرتجفون من عرض أعمالهم، وبدء حسابهم..عندها رأيت الرعب يعمهم حتى لا يعرف إنسان إنساناً ولو كانت أمٌ مع ابنها، أو أخٌ مع أخيه، أو زوجٌ مع صاحبته وبنيه..ارتجفوا وخافوا ثم أُسْقِطَ في أيديهم لترى قلوبهم واجفةً، وأبصارهم خاشعةً ذليلةً..ثم لم تحملهم أقدامهم فرأيت ﴿كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً﴾(الجاثية:28)..جاثيةً على ركبها..لا يحملها جسدها، ولا يطيقها بدنها..أجل ف﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا﴾(الجاثية:28)، ومنادي الحق ينادي عليهم:﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾(الجاثية).. ولربما ظلوا خرساً.. يتساءلون خائفين قلقين.. فتسمع التساؤلات همساً: كيف يحصى كل صغيرة وكبيرة مما كنا نعمل..؟

فيكون قاطع الجواب.. مخيفاً لمن ارتاب: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾(الجاثية:29)..وهناك رأيت من كان في غفلةٍ عن البعث والحساب..يرى الكتاب ..﴿لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾(الكهف:49).. حتى أصغر الصغائر..مكتوبة..نعم ترى أصغر الصغائر ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ (ق).. ومنادي الحق ينادي ﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ (غافر:17).

..وهنا أُسقط في يدي الجميع حتى صاحب القلب المنيب..اعتراه خوفٌ شديدٌ.. فالقضاء بالقسط..قضاء الله لا بد أن يكون بالعدل..ولربما يكون معنى العدل هنا الهلاك..كم يخشى المرء معه من الهلاك..إذ من ذا الذي وفَّى ما أمر الله به، أو أدَّى شكر أنعمه..مَنْ.. عدا المعصوم ﷺ ؟..

1- في ظلال القرآن 7 /314.

ولربما تساءل صاحب القلب المنيب في نفسه متلهفاً:

كم من نعمةٍ أنعم الله بها عليَّ.. قلَّ له عندها شكري..

كم من بليةٍ ابتلاني الله بها.. قلَّ له عندها صبري..

كم من تقصيرٍ صدر مني..فستريني..

كم من زلةٍ بقيت حسرتها في قلبي لكنها عن أخواتها لم تردعني..

كم من معصيةٍ قارفتها وربي يُسْبِلُ عليَّ ستره فلم يفضحني..

..يومئذٍ أيها البار القانت مَرَّ شريط الحياة سريعاً أمامك..تنتابك فيه الذكريات المتتالية.. ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾(الفجر) وتتساءل عندها:

كم من صلاةٍ غَفَلْتُ عنها في الليل بلهو دنيا..

كم من يومٍ غفلت عن صيامه بتعبٍ لا يساوي من عظائم هذا اليوم عشر معشارٍ..

كم من مظلومٍ لم أنصره..كم من جائعٍ لم أطعمه..كم من كلمة خيرٍ سكت عنها..كم من كلمة سوءٍ اجترأت عليها..

وشريط الذكريات يمر سراعاً..فهذه كلمةٌ لا ترضي الله، وهذا غضبٌ لم يكظم، وهذا حبٌ لغير الله، وهذه نظرة حرام، وتلك فعلة سوءٍ واقتراف آثام...آه..

..واحر قلباه من ذكريات الآلام..وقد سَطَّرَتْ كلَّ صغيرةٍ وكبيرةٍ الأقلام..

أيا صاحب القلب المنيب: لعل هناك تتساءل: هل هناك عملٌ أستحق به الجنة؟ أهناك عملٌ أجزم فيه بالإتقان والإخلاص؟..﴿يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ﴾(الفجر:23)..ومنادي الحق ينادي: ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾(الفجر)، ولربما تمنيت بلهفةٍ فقلت: ﴿يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾﴾(لفجر)..

أيا عيناه: أسعديني بدمعك الرقراق رهبةَ الخذلان يوم الفراقِ

ومجيء جهنم تزفر يزيد من رعب العباد..ولكن الجنة التي أزلفت للمتقين غير بعيدٍ تجعل الشوق يحرق الأكباد..وتخفف عن الإنسان فيتشوف نحوها راجياً أن تشمله المغفرة فلعله ينجو أو يكاد..ولكن الذكريات ما زالت تنهال..نشطت الذاكرة نشاطاً عظيماً فتذكر الإنسان كل زلةٍ كان يعملها في الخفاء..في الليلة الظلماء في القاعة الصماء..نشطت لتعبث بنفسه وفكره..يا للهول فإن النبي ﷺ قد ذكر أنه لو أن هناك ((رجلاً يُجَرُّ على وجهه من يوم ولد إلى يوم يموت هرماً في مرضاة الله تعالى لحقره يوم القيامة))[1]..لو أنه يجر على وجهه من أول لحظةٍ خرج إلى الخلق إلى يوم يموت..كل ذلك يجر على وجهه في طاعة الله دون أن يكون له معصيةٌ واحدة..لما عدَّ ذلك عملاً عظيماً بل سيحتقره يوم الحساب عندما يقيسه في جنب نعم الله وآلائه..فكيف بالمقصرين المفرطين..اللهم رحمتك نرجو..مغفرتك نبغي..يا أرحم الراحمين..

يا رحمة ربي..قرة عيني..ومبعث رجائي وحبي:

إلا أن صاحب القلب المنيب بقي متعلقاً بأمل رحمة الله، وفضله السابغين عسى أن يشملاه..لعله رجع يبتهل ويدعو الرحيم الغفور:

قُرةَ عيني: لا بدَّ لي منك وإن أوحــش بينــي وبينــك الزلــلُ
قُرةَ عينـي: أنـا الغريـق فخــذ كــفَّ غريــق عليــك يتَكِّـلُ

وعرضت الأمم واصطفت ونادى المنادي: ﴿فَكَيۡفَ إِذَا جِئۡنَا مِن كُلِّ أُمَّةِۭ بِشَهِيدٖ وَجِئۡنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدٗا ٤١﴾(النساء)، ورأيت الذين كفروا يومئذ كما قال ربي-عزَّ جاره-:﴿يَوۡمَئِذٖ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَعَصَوُاْ ٱلرَّسُولَ لَوۡ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلۡأَرۡضُ وَلَا يَكۡتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثٗا ٤٢﴾(النساء)..

نعم! هذا وقت شهادة الرسل على أممهم..﴿وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ١١ لِأَيِّ يَوۡمٍ أُجِّلَتۡ ١٢ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ١٣ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ١٤ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ١٥﴾(المرسلات).

1- أحمد 4/ 185.

..ولربما تذكرتَ أيا صاحب القلب المنيب..حينها وأنت ممن شُرِّفت بأن تكون من أمة محمدٍ ﷺ..تذكرتَ ما نزف دموع عينك خشيةً وقلقاً..تذكرتَ أن النبي ﷺ بكى عندما تلا عليه ابن مسعودٍ هذه الآية؟! أجل بكى وهو الشاهد فكيف سيَفْعَلَ المشهود عليه..يا له من موقفٍ تسيل له الأدمع الحرى..ولكن هل ادخرت لهذا الموقف مركب النجاة، وطوق السلامة..كما قال الأبرار السابقون:

إنـي ادخـرت ليـوم ورد منيتـي عنـد الإلـه مـن الأمور خطيراً
وهـو اليقيـن بأنـه الأحـد الـذي مـا زلـت فيـه بفضلـه مغمـوراً
وشهـادتـي أن النبـي محمـداً كـان الرسـول مبشراً ونذيراً
ومحبتـي آل النبـي وصحبـه كـلاً أراه بالجميـل جديـراً
وجميـل ظنـي بالإلـه لمـا جنـت نفسي، وإن حَرَمَتْ عليَّ سروراً

المشهد الثالث
وُضع الكتاب..وبدأ الحساب

بداية الحساب..واحر قلباه: من يكون صاحب الزلفى من ربه..من له حسن مآب؟:

في موقف الحساب ينادي منادي الحق ﴿وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾(الكهف: 49) فبدأ معه الحساب..ورأيتَ هناك المجرمين مشفقين مما فيه..ينظرون إليه بعينٍ ثاقبةٍ..ويرون ما فيه بكل سهولةٍ، ويؤمرون بالنظر فيه..أفيتعامى أحدهم عن رؤية صغائره وكبائره؟ كلا! فمنادي الحق يناديهم:﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾(ق)..ينظرون إليه ويئنّون ويقولون:﴿مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةٗ وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾(الكهف:49)..فمنهم من يؤتى كتابه بشماله، ومنهم من تُلْوى يده خلف ظهره ثم يُعطى كتابه، وربما رأيته تنزع يده من صدره إلى خلف ظهره ثم يعطاه، أو يحاول إخفاء يده الشمال خلف ظهره، ولكن الكتاب يصله[1]..نعم..ولم تُمَيِّز بين الفريقين، وربما خشيت أن المسلم العاصي المصر يعطى كتابه بشماله، والكافر من وراء ظهره[2]..**لعلك يا خاطب الجنة! أشفقت من هذا أشد الإشفاق..انظر لقلبك المرتعد المرتجف وسل الله العافية**..ومنادي الحق ينادي بما يدفعك لاهتبال وقتك في ركعتين: ﴿إِنَّهُۥ مَن يَأۡتِ رَبَّهُۥ مُجۡرِمٗا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ ٧٤ وَمَن يَأۡتِهِۦ مُؤۡمِنٗا قَدۡ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلۡعُلَىٰ ٧٥﴾(طه).

وفي ذلك الموقف العصيب المحرج..مع القلق والترقب، والخوف الرهيب..تبدأ حركة الحساب العظيمة..

1- على اختلاف تفسير {وراء ظهره}.
2- انظر: فيض القدير 2/ 171.

أيها الخلق: الوزن يومئذٍ الحق..الوزن يا أيها الناس..ألا هل من يدرك نفسه من الأذكياء الأكياس؟

تبدأ حركة الحساب بوزن الأعمال..فانظر إلى ذلك ببصيرةٍ وقلبٍ خاشعٍ ودع عنك الأثقال..

التفت إلى من يشك..ويذيع السؤال: كيف يتم القضاء؟ وكيف يكون حقاً كاملاً، وعدلاً تاماً خالصاً ذا صفاء؟..الآن أمام عينيك يتمُّ ذلك..فارقب الوضع وسل الله منازل السعداء..إذ بهيئةٍ عظيمةٍ قد نُصِبَتْ أمام الناس، فقد صدر الأمر الإلهي فوضع الله ﴿ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ (الأنبياء: 47).. إنها الموازين؟

لربما رجفت الأفئدة وتساءلت قلقةٌ مذعورةٌ: موازين..ماذا تزن؟

ويأتي الجواب يخطف من الغَفَلَةِ الألباب..ويودُّ المجرم يومئذٍ أن لو رجع إلى تراب..يأتي الجواب: ﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ ۝٧﴾(الزلزلة)، ﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ ۝٨﴾ (الزلزلة)..

أجل أيها الخلائق من البررة والفجرة: بهذا الوزن الدقيق يتم العدل الحق ﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ (الأنبياء:47) مهما صغر أو كبر..لا تظلم نفس شيئاً حتى﴿إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ﴾(لقمان:16) حتى حبة الخردل يأتي بها الله..

ولربما كابر الجهلة خائفين فقالوا: وكيف يوزن صغير الأعمال وكبيرها؟ كيف يمكن أن يتأتى لأحدٍ أن يحيط بكل شيءٍ علماً، وهل الملائكة الحفظة الكتبة إلا مخلوقاتٌ من المخلوقين فأنى لها أن تحيط بالصغير والجليل من أفعال العالمين..عند ذاك يعلن الحق تبارك وتعالى أن ذلك الحساب على الله، والله قد أحاط بكل شيءٍ علماً، وأحصى كل شيءٍ عدداً..منادي الحق ينادي ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾(الأنبياء:47)..

نعم فـ﴿لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾(النساء:40)..إلا أن رحمته وفضله لمن بادر بالصالحات..إن هذه الذرة لو كانت﴿حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾(النساء) فضلاً ورحمة..منة وتكرماً..اللهم إنا نسألك من فضلك ورحمتك.

وأسدل الستار بنداء الحق بياناً للحكم العدل الحق المبين، والوزن الدقيق:﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾(الزمر:70) من خيرٍ أو شرٍ.. وهو-ربي سبحانه-﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾ (الزمر) فكيف تكون أعمالنا؟ كيف تكون؟..أيا حبيب الجنة: فهل من مبادرةٍ إلى ركعتين في عتمة الليل..عسى تدفع عنك في ذلك اليوم الحرون..ألا من دمعةٍ تُزْجَى رغباً ورهباً..تثقل الموازين﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾(الشعراء)..أيها السابق بعينٍ بكاءة..وهمةٍ متوقدة..مالك سبقتنا..حتى تركتنا خلفك حسرى:

أمن حدثان الدهر أنت مُـــرَوَّع وعينــك من فرط الصبابة تدمعُ
لئن هملت عيناك من لوعـة الأسى لَمِثْـلُ الذي أذرى دموعك يفجعُ
نفيتَ الكرى حتى تبيتَ مسهـداً تـراعي نجوم الليل.. مالك مهجعُ
أفض عبراتٍ من شؤونك وانتحِبْ لخطـبٍ جليـلٍ..إن قلبَك مُوجَعُ[1]

صورةٌ إجماليةٌ للحساب: نفسٍ قلقة..ونبضٌ فزعٌ..أو روحٌ متشوفةٌ:

هناك يا راجي النجاة..اليوم العظيم الأهوال..الشديد المغارم والأثقال:﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾(الإسراء:71)..ندعوهم بنبيهم فهو إمامهم.. وندعوهم بكتاب أعمالهم..فهو الإمام الذي فيه كل صغيرةٍ وكبيرةٍ من الأعمال..أو ليس قد أخبر ربنا الجليل ذو القوة المتين..في دنيا الاختبار المبين:﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾(يس:12)..فها هو ذا الإمام المبين..فيا فوز المستغفرين..الركع الساجدين.

فاذكر عياناً ﴿يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾(الإسراء:71)..هناك انطلق جمع أمة محمدٍ ﷺ

1- لسليمان بن معبد..انظر: الجرح والتعديل 1/ 317.

يؤمهم النبي ﷺ .. فإن كل قومٍ بمن يأتمون به من أنبيائهم وقادتهم..فأهل الإيمان ائتموا بالأنبياء عليهم السلام، وأهل الكفر ائتموا بأئمتهم من الكفرة والطواغيت..إنهم الذين قال فيهم الحق-جلَّ جلاله-: ﴿وَجَعَلْنَٰهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾(القصص:41)..

ولما وقف الجمع في موقف الحساب العظيمِ بمكانه، العظيم بزمانه، العظيم بعدد المحاسبين فيه..العظيمِ بشهوده..وهو ربي-عزَّ جاره-العظيمُ.. العظيم بجبروته.. العظيم بقهره..العظيم بعدله..العظيم بفضله..العظيم بملكه..إنه ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ (الفاتحة)..لما وقفوا وبدأ الحساب ((تطايرت الكتب)) كتب أعمالهم.. فتحيرت أولوا الألباب..وفقد الناس الصواب..وخافوا الهلكة والعذاب..فمن الناس من أُعطي كتابه بيمينه فيا لسعادته..يا لعظيم حبوره ووفادته..ومنهم من أعطي كتابه بشماله..يا لهول التعاسة..يا للبؤس، ويا خزي الانتكاسة..اهتف رافعاً يديك يا راجي النجاة: اللهم عافني، اللهم أجرني، اهتف معي بحقٍ أيا أخاه: ربنا..ربنا﴿وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۝١٩٤﴾(آل عمران)، ومنهم من أوتي كتابه وراء ظهره..يا فظاعة المصير.. فمن يجيرهم من ذلك المستقر..من المجير؟..أيها المشفق من عذاب ربه..أَجْرِ همومك الآن في الدنيا حول هذا المشهد..عسى يحركك ذاك للطاعة فتفوز وتسعد..عندها بحقٍ..أَنْشِدْ:

باتت همومي تسري طوارقُها أكفُّ عيني.. والدمع سابِقُها

هناك ((عند تطاير الكتب فإما أن يعطى بيمينه أو يعطى بشماله)).. لا ((يذكر الحبيب حبيبه)).. ولمثل هذا ينبغي أن يطرق البكاء أعيننا الجافة، وقلوبنا القاسية..كما طرق عين الصديقة عائشة وقلبها وهي ما زالت في الدنيا فقالت: ((ذكرت النار فبكيتُ.. فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ : ((أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحدٌ أحداً: عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل، وعند الكتاب حين يقال ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾(الحاقة) حتى يعلم أين يقع كتابه أفي يمينه أم في شماله أم من وراء ظهره، وعند الصراط إذا وضع بين ظهري جهنم))[1].. وعندها ترى فريق الخاسرين..﴿خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۚ﴾(المعارج:44)..كانوا

1- أحمد6/ 110، أبو داود4/ 240، ولفظ تطاير عند أحمد، وأصل الحديث مشهورٌ ثابتٌ.

في الدنيا يختالون ويتكبرون..فرأيتهم في هذا اليوم الذي ﴿تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٤٢﴾﴾(إبراهيم).. رأيتهم ﴿مُهۡطِعِينَ مُقۡنِعِي رُءُوسِهِمۡ﴾(إبراهيم:43) يعلوها الذل والانكسار.. رأيتهم ﴿لَا يَرۡتَدُّ إِلَيۡهِمۡ طَرۡفُهُمۡۖ وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾(إبراهيم) فزعاً من المهيمن الجبار.. رأيتهم ﴿وَأَفۡـِٔدَتُهُمۡ هَوَآءٌ ﴿٤٣﴾﴾ (إبراهيم) فارغةً خوفاً ورعباً من عذاب الملك القهار..وهم ينتظرون أن تغشى وجوههم النار..

تابع صورةً من صور الحساب: وزناً، وحساباً، وإعطاءً للكتاب يوم القيامة[1]:

وفي ذلك الموقف العظيم، والخلق يترقبون، والقلوب وجلةٌ، والنفوس مشفقةٌ قلقةٌ من نتيجة الاختبار الحق..اختبار بقائها في الدنيا..في ذلك الموقف: يرى الناس مؤمناً دُعِيَ "((للحساب يوم القيامة «فيُعطى كتابه بيمينه»..نعم..((يعطى كتابه بيمينه في سترٍ من الله)) دون أن يطلع أحدٌ على ذلك.. إذ ((يستره منها، فما على الأرض خليقةٌ ترى من تلك الذنوب شيئاً، وتبدو حسناته فودَّ أن الناس كلهم يرونها))..وقد نُصبت الموازين..بدأ يرى أعماله في صحيفته وسجلاته المنشورة كما يراها مجسدةً أمامه..عندها يقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ﴿١٤﴾﴾(الإسراء)..ويبدأ بالقراءة..فينظر في كتابه..فإذا حسناته باديةٌ للناس..ولأنه مؤمنٌ فإن رحمة الله تدركه..فلا يرى الناس إلا حسناته..وأما سيئاته فيراها هو ذا..ويسترها الله من الناس فلا يرونها، فلا تدري أفرحته بستره بين الخلق أعظم..أم فرحته بإظهار حسناته..((فيقرأ سيئاته..فكلما قرأ سيئةً تغير لونه)) وظن أنها المهلكة..يا له من حسابٍ دونه كلُّ حسابٍ..ويا لها من لحظاتٍ لا يعرف الإنسان فيه أحداً إلا ما يرى من أعماله، أو ما يستذكر من أفعاله..((حتى يمر بحسناته فيقرأها، فيرجع إليه لونه))..ثم ينهال عليه من الفرح ما لا يمكن إخفاؤه..إذ يرى هناك الكرم الإلهي يتحدر عليه..بانهمار سيول الحسنات ومضاعفتها..بعد أن كاد يوقن بالهلاك؛ فقد ضاعف الله له الحسنة فصارت بعشر حسناتٍ إلى أكثر من ذلك.. لكيلا ((يقول: كانت لي حسناتٍ فلم تُذْكَر..فأحبَّ الله أن يُريه عمله كله))..ويقرأ سيئاته فيعرض عليه ربه عمله كله فيما بينه وبينه..فيعترف

1- انظر: البخاري2/ 862، مسلم4/ 2120، مجمع الزوائد10/ 350.

بسيئاته لا ينكر منها شيئاً وقلبه يكاد يطير وجلاً..وهناك..انظر إليه..وهو ((يدنو من ربه، فيضع عليه كنفه، فيقرره فيقول–له ربه–: عملتَ كذا؟..وعملتَ كذا؟..يقول: نعم يا رب)) ويتابع وهو قلقٌ مشفقٌ، أو باكٍ وجلٌ: ((فيقول: نعم! أي رب عملتُ..عملتُ..عملتُ))..

إنها الرحمة، والكرم الإلهي: فيا شوق لا تبعد، ويا دمع فض وزد:

كيف يكون قلبه وهو يعترف؟ كيف فؤاده وهو يُقِرُّ بما عمله؟ يا له من موقفٍ تشيب له النواصي..ولكنَّ شيئاً يبقى في القلب: إنها رحمة الرب جلَّ وعزَّ..إنه ربي عزَّ جاره:

الولـيُ المتيـنُ مـا خـاب ظـنٌ لنفـوسٍ فـي فضلـه طامعـاتِ
يـــا إلهـي إنـــي مُقـــرٌ بذنبـي وخطـايـــا جـــوارحٍ مسرفـاتِ
مـا جهلتُ المقامَ أو كان قلبـي مُشْرَئِبـاً إلـى دروب العصـــاةِ
ضعف نفسي وحسن ظني بربـي جـــرنـي لانتهـاك المظلمـــاتِ

وهكذا لا يجحد..بل يعترف وينتظر فرج الرحمة، ويشفق من الفضيحة والخزي..عند ذاك تنزل الرحمة..فيقول الله له: ((فإني قد سترتُ عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم..فيُعْطَى صحيفة حسناته))..وهكذا ((يجد في آخر ذلك كله أنه مغفورٌ لك، وإنك من أهل الجنة)) فأي فرحةٍ يجدها، وأي ابتهاجٍ يسيطر عليه، وأي إشراقٍ يظهر على أسارير وجهه..﴿لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾﴾(القلم)..يا لسعادته فقد غفر الله له ذنوبه..

ولكن على الرغم من ذلك كله..رَجَع مُكَدَّراً..يُكَدِّرُ عليه ما رأى من سيئاتٍ.. يخاف أن تنشر على الملأ..عندها يرجع ((ينظر: فإذا سيئاته قد بُدِّلَتْ حسناتٍ)) فيملأ الفرح أركانه..وتأمله وهو ينبسط وجهه، ولا يعرف كيف يصنع بنفسه من السعادة..

وينظر إلى ميزانه..وتعود رعشات القلق، ورجفات الإشفاق إلى مساورته ((عند الميزان حتى يعلم أيخف ميزانه أو يثقل))..فتكون نتيجة الفرح فقد ثقل ميزانه بالحسنات، ورجح على ما اقترفه من سيئات..هناك رأيتَ أعلامَ الفرح ترفرف حوله، وسمعتَ هتافاتِها: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨﴾(الأعراف)..يا الله! لقد سعد سعادةً لا يشقى بعدها أبداً ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧﴾(القارعة).

دورك الآن.. هل تعلن راية الفرح: تعالوا..تعالوا..فاقرؤوا كتابيه:

وانتظر صاحب القلب المنيب دوره قلقاً مشفقاً، وهو يودُّ أن يكون الأمر كما كان لسابقيه من المصطفين الأخيار: عرضٌ للأعمال وليس حساباً..بل يرجو ويبتهل أن يكون ﴿حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾(الانشقاق)، فيعرض عليه الكتاب عرضاً يُظهر حسناته ويستر سيئاته.. فإن الحساب اليسير أن ((ينظر في كتابه ويتجاوز عنه)) والنبي ﷺ يعلق على المشهد قائلاً: ((ذاك العرض..ولكن من نوقش الحساب يومئذ يا عائشة هلك))[1]..وحدث له ما حدث لسعيدٍ قبله..فلم يملك نفسه من الفرحة.. وأوتي كتابه بيمينه ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾(الإسراء:71)..فمن فرحته وسروره واستبشاره بما دُوِّن في كتابه من الصالحات يقرأه ويحب قراءته وتكرار قراءته..كرر قراءته..وما له ألا يفعل فهو كتاب النجاح الأبدي، والفوز الخالد، والفلاح الدائم..

وانطلق يزهو بنتيجته..ومنادي الحق ينادي: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾(الانشقاق)، وانطلق إلى أهله.. وأقبل على أصحابه فرحاً مغتبطاً يُنادي: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾ (الحاقة).. انطلق وهو يحب من الناس أن يقرءوا كتابه، وينظروا فيه، ويقلبوه فيطلب ذلك من صحبه وأهله ومعارفه وكل من لقيه، ويقول: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾ (الحاقة) تعالوا فاقرءوا كتابيه وماله ألا يطلب منهم ذلك وهو كتاب سروره الخالد؟..

1- البخاري1/ 51، مسلم 4/ 2204، والبيان لكيفية العرض ورد عند الحاكم 1/ 125.

لا تبعد عن المشهد: استمع إليه وهو يملأ فمه بالكلام، ويردد بنشوةٍ وفرحٍ بعد أن شعر بنجاة الأبد: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾(الحاقة).. يقول لأهله ولأصحابه: إني ظننت.. أيقنتُ وعلمتُ أن هناك يوماً آخر للحساب والثواب والعقاب..فعملت له، ولهَا الغافلون وسهوا..تيقنت باليوم الآخر..أيها الصحبُ: ولم أنكر البعث وما نجوتُ إلا بخوفي من يوم الحساب إذ أعددت له.. نعم.. قد كنت موقنا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة، وكنت ممن قال الله فيهم: ﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ﴾(البقرة:46)..

ولعلك تشاهد صاحب القلب المنيب وهو يتابع كلامه: ومع ذلك فقد ظننت أن يؤاخذني الله بسيئاتي فيعذبني..ولكنه الرحيم ربي فقد تفضل عليَّ بعفوه ولم يؤاخذني بها..

إنه المؤمن أحسن الظن بربه فأحسن له العمل..

وصاحبته هتافاتٌ انبعثت تزيده حبوراً، وترفع لواءَه بين الخلق وتملأه بشراً وسروراً: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١﴾(الحاقة) في عيشٍ يرضاه لا مكروه فيه ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢﴾(الحاقة) عظيمةٍ في النفوس..رفيعةٍ قصورها..حسانٍ حورُها.. نعيمةٍ دورها.. دائمٍ حبورها ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣﴾(الحاقة)..يقال لهم فيها: ﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا﴾ (الحاقة:24) لا تكدير فيه ولا تنغيص ﴿بِمَآ أَسْلَفْتُمْ﴾(الحاقة:24) قدمتم من الأعمال الصالحة ﴿فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾(الحاقة) في الدنيا.

وصدع نداء الرحمة والفوز المقيم معلناً في الناس يوم العرض الأكبر: ﴿وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝٦١﴾(الزمر)..

عندها لا يملك نفسه من الفرح فينطلق ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝٩﴾ (الانشقاق) .. وهو يقول منادياً فرحاً مبتهجاً معلناً: ﴿فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩﴾(الحاقة) إنه كرم الله..إنه حب الله..إنه وُدُّ الله لمن أقبل عليه..في دنياه:

فيا شوق لا تبعد، ويا دمع فض وزد ويا حب راوح بين جنبٍ إلى جنبِ[1]

1- لأحمد بن أمية بن أبي أمية..انظر: تاريخ بغداد 4/ 43.

انظر إلى المشهد..تمتعْ به وأنت تذرف عينين دامعتين ثم اهتف معي: اللهم فاجعل كتابي باليمين.

وينتظر كل إنسانٍ دوره في الحساب مشفقاً قلقاً.. ويرى الناس هناك النداء لحساب شخصٍ آخر فـ((يدعى الكافر والمنافق للحساب، فيعرض عليه ربه عمله فيجحد، ويقول: أي رب وعزتك لقد كتب عليَّ هذا الملك ما لم أعمل. فيقول له الملَك: أما عملت كذا في يوم كذا في مكان كذا؟ فيقول: لا! وعزتك أي رب ما عملته. فإذا فعل ذلك ختم الله تعالى على فيه فإني أحسب أول ما ينطق منه الفخذ اليمنى ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ٦٥﴾(يس)[1]..وعندها﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ١٨﴾(هود).

لكأن الجبار جل وعز يقول والعباد يحاسبون: يا معشر الجن والإنس إني قد أنصتُّ لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم، وأبصر أعمالكم..وصحفكم تُقْرأ عليكم..فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه.

يا لإشراق وجهك..إذ الناس خاشعة أبصارهم، ترهقهم القترة والذلة:

واستدرت في ذلك الموقف العصيب فرأيت الناس فئتين:

فئة: مسودةٌ وجوههم، مُزْرَقَةٌ عيونهم، خاشعةٌ أبصارهم..على وجوهم غبرةٌ، ترهقها قترة.. على وجوههم غبرةٌ..ترهقها قترة.. يلحقها قتَامٌ وسواد.. إنهم هم.. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ ٤٢﴾(عبس).

وفئةٌ تشفي الصدور، وتضيء الحضور،وتمتلئ بالحبور..إنهم قد﴿ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ﴾ (آل عمران:107)، ﴿وَلَا يَرۡهَقُ وُجُوهَهُمۡ قَتَرٞ وَلَا ذِلَّةٌۚ﴾ (يونس:26).. بل ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ ٣٨ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ٣٩﴾(عبس)..

1- انظر تصوير هذا الموقف عند ابن كثير 3/ 578 في تفسيره.

فابحث هناك عن صاحب القلب المنيب.. ها هو ذا! إشراقه يدلُّك عليه..انظر إلى وجهه.. ووجوه المخبتين من الذين اصطفاهم الله بالإيمان..لترى ما حباه الله به من إشراقٍ وجمال وعظمة..والناس في ظلمة مدلهمة..

هناك رأيت ما أنعم الله عليه به من بياضٍ والناس في سواد..

ورأيت ما أعطاه من العزة، والناس في ذلةٍ وهوانٍ وصغار..

ورأيت ما حباه الله به من صباحة الوجه..فوجهه من الوجوه المسفرة..ونفسه ضاحكةٌ مستبشرة، وهتاف الصدق، ونداء السرور يطوف عليهم مسمعاً آذانهم، مالئاً بالبشر والسرور أنفسهم : ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمِ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ١١﴾ (الإنسان) ..**فلترجُ شيئاً مماثلاً في ذلك اليوم..وكن بإيمانك وطاعتك فرحاً مزهواً محبوراً.**

أيها الناس: انظروا إلى هؤلاء لتعرفوا في وجوههم نضرة النعيم:

ويبيض الله وجه صاحب القلب المنيب مع أنسه بالملائكة، وتصنيفه ضمن فريق الفائزين، وراحته في ظلال القوي المتين..ثم يزداد وجهه إشراقاً بما يجري عليه من النعيم..فما هو إلا أن يكتمل حسابه (عرض كتابه عليه)، ويأخذ الكتاب باليمين حتى يدخل في المبشَّرين بفئة الوجوه الناعمة..﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاعِمَةٞ ٨﴾(الغاشية) ناعمة ذات نعمة، ويرى فيها الطيب، ونعومة العيش..

النعيم يظهر عليه حسياً..فهو يذوقه وهو في عرصات القيامة..

ويظهر عليه نفسياً لأنه نَعِمَ بما عاين من عاقبة أمره وعمله الصالح..

لا تظنن أن جماله ينقص مع مرور الوقت بل يزداد؛ إذ يرى نفسه بعد قليلٍ وقد صار من أصحاب الوجوه الناضرة..ثم يبلغ الجمال غايةً عظيمةً في وجهه..وتلتفت لترى وجوه المخبتين من صحبه ف﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾(المطففين).

يا أبيض الوجه: حسنٌ بعد حسن..وجمال بعد جمال..إنها إشراقة فالق الإصباح يظهرها الله عليك:

وحتى يزيد الله في حبور هذا الولي الصالح..فإنه ينتقل من حسنٍ إلى حسنٍ، ليزداد انشراحاً ونوراً..في وسط الظلمات التي تغطي الموقف:

حين يبعث من قبره يكون وجهه أبيض مسفراً..والكافر يخرج مسود الوجه..فارغ الفؤاد ترهقه ذلة..أما صاحب القلب المنيب في هذا الموقف فانظر إلى بهجته لتراه مزهراً.

وعند قراءته لكتاب أعماله يتناوله باليمين فيزداد نوراً وحبوراً..فإذا رأى في كتابه حسناته استبشر وابيض وجهه..وامتلأ سروراً.

وعند الميزان إذا رجحت حسناته زاد وجهه بياضاً، وأما الخاسر فيرى سيئاته قد رجحت فيزداد وجهه زرقةً وسواداً.

وعندما يأمر الله عز جاره بالتفريق بين المسلمين والمجرمين، وينادي المنادي ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾(يس) فينحاز صاحب القلب المنيب ضمن فريق المتقين يزداد وجهه بياضاً، وإسفاراً..ويزداد المجرم سواداً وخساراً.

وعندما يدعى الناس إلى السجود فيسجد صاحب القلب المنيب ضمن فريق المتقين، ويذهب الخاسر ليسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً، فينقلب ولا يستطيع أن يفعل فعلَ الساجدين..فيزداد وجهه بياضاً وبشراً وإشراقاً، ويزداد الخاسر سواداً، وظلمة[1].

1- انظر: تفسير القرطبي 4/ 166.

المشهد الرابع

أسبل الدمع الهطال وأنت تشاهد صور الحساب في يومٍ شديد الأثقال

عند الوزن يطيش العقل: ابحث عن رحمة الله مُخبتاً قانتاً تائباً:

وسمع صاحب القلب المنيب كما سمع الخلائق في موقف الحساب منادياً ينادي على رجل..ونظروا بقلوبٍ فزعةٍ وجلة..فقد صاح صائحٌ ((برجلٍ – كما يقول النبي ﷺ –من أمتي يوم القيامة))[1].. صيح به ((على رءوس الخلائق)) ليتابعوا حسابه..فنظروا إليه ليروا أنه ((يُنْشَرُ عليه تسعةٌ وتسعون سجلاً.. كل سجلٍ مد البصر)) من سيئاته، وخطاياه وذنوبه..فلما نشرت السجلات، وظهرت الخطيئات، واستبانت للناس السيئات الظاهرات والمخبآت..((يقول الله تبارك وتعالى: هل تنكر من هذا شيئاً؟))..ولكن الرجل رقيقٌ على الرغم من كل ما فعله..لم يفعل ذلك عناداً..ولا اقترفه يحاد الله ورسوله..ولكنه ضعف النفس الذي ما زال يُقَيِّدُ العباد، ويُظْهِرُ الشيطان به الفساد..

..((يقول الله تبارك وتعالى: هل تنكر من هذا شيئاً؟))..

((فيقول: لا يا رب)).

((فيقول: أظلمتك كتبتي الحافظون)).

((فيقول: لا يا رب))..وهكذا لم يكذب على ربه..لأنه قد عرف ربه في دنياه..فماله لا يخافه في أخراه؟..عندها:

1- حديث البطاقة مشهور خرجه الترمذي 5/ 24، وابن ماجة 2/ 1437.

((يقول – له ربه–: أفلك عذر؟.

فيقول: لا يا رب))..

فيقول له ربه: ((ألك حسنة؟))..

((فيهاب الرجل)) أن يدعي أن له حسنةٌ وهو لا يذكر شيئاً من عملٍ صالحٍ قدمه..يهاب لأنه وإن لم يعمل الحسنات، ولم يترك المعاصي والسيئات..ولكنه يخاف رب الأرض والسموات..ويعظم قاهر العباد والمخلوقات..((فيقول: لا)).

((فيقول –الله–: بلى إن لك عندنا حسنةٌ، وإنه لا ظلم عليك اليوم))..

فيتفكر في نفسه: ما هي الحسنة التي عملتها..وقد كاد عقله يزيغ خوفاً وإشفاقاً..

فيأمر الله بحسنته أن تظهر..

((فتخرج له بطاقةٌ فيها أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله)) كلمة التوحيد..به تغفر الذنوب، وتطهر القلوب، ويمجدُ العبدُ ربه علام الغيوب..

((فيقول –الله له–: أحضر وزنك))..

ولكن الرجل يراها وحدها مكتوبةً في بطاقة..فيستنكر، ويستغرب..وقد أكله الخوف..

((فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟))..

((فيقول–الله له–: إنك لا تظلم))..

فيأمر الله عز جاره ((فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة))..

فتكون النتيجة مذهلة..إذ يستفيق الرجل من سكر خوفه وقد ((طاشت السجلات، وثقلت البطاقة)) فهنيئاً..نعم! ((فلا يثقل مع اسم الله شيء))..

وهكذا فاز بشهادة التوحيد..زحزح عن النار وأُدخل الجنة ففاز..فنعم أجر الفائزين..

أيا حافظ القرآن: خذ هذه الهدية..ونل هذا التميز:

في موقف الوجل العظيم ترى مشهداً يتمناه كثيرٌ من الخلق، ويغبطون صاحبه عليه في ظل هذه المعامع، فقد جاء لصاحب القلب المنيب رجل حسن الوجه..فإذا به القرآن جسده الله كما يجسد بقية الأعمال الصالحة..وكانت مفاجأةً: أهو القرآن؟ نعم القرآن! : فـ((إن القرآن يأتي أهله (كالرجل الشاحب)يوم القيامة أحوج ما كانوا إليه، فيقول للمسلم: أتعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا الذي كنت تحب، وتكره أن يفارقك.. الذي كان يصحبك ويدنيك (أنا الذي أظمأتك في الهواجر، وأسهرت ليلك، وان كل تاجرٍ من وراء تجارته، وإنك اليوم من وراء كل تجارةٍ). فيقول: لعلك القرآن. فيقدم به إلى ربه عز وجل، (فيقول: يا رب حَلِّهِ. فَيُلْبَسُ تاج الكرامة ثم يقول: يا رب زده. فيلبس حلة الكرامة ثم يقول: يا رب ارض عنه.. فيرضى عنه) فيعطى الملك بيمينه، والخلد بشماله، ويوضع على رأسه تاج الوقار، وينشر على أبويه حلتان لا يقوم لهما الدنيا أضعافا فيقولان: لأي شيءٍ كسينا هذه ولم يبلغه أعمالنا. فيقول: هذا بأخذ ولدكما القرآن ثم يقال له: اقرأ، واصعد في درج الجنة وغرفها فهو في صعودٍ ما دام يقرأ هذا كان أو ترتيلا))[1].

إيه يا صاحب القلب المنيب..ذلك جزاء حفظك للقرآن ومحافظتك عليه..ثم رأيته بحفظه للقرآن يسير بين الناس أجمعين بعلامةٍ مميزة..يا لها من علامةٍ..إن عليه ما يشبه السحابتين العظيمتين يسير تحتهما وفي ظلهما أنَّى تحرك أو توجه..لا تتساءل عن سر هذا الشرف الذي حازه..فإن ذلك صار معروفاً فيه..أليس يحفظ القرآن..لقد تعلم مما تعلم في القرآن الزهراوين..إنهما ((سورة البقرة وآل عمران فإنهما الزهراوان، وإنهما تظلان صاحبهما يوم القيامة كأنهما غمامتان أو غيايتان أو فرقان من طيرٍ صواف))[2]، بل رأيتهما وقد جسدَّهما الله تعالى فهما تحاجَّان عن صاحبهما..تحاجان، وتجادلان عنك لئلا ينالك همٌّ أو حزن، أو يصيبك أذىً في موقف الأهوال..فأي سعادةٍ وأي أُنْسٍ..

1- أحمد 5/ 348، وابن ماجة 2/ 1242، وقال في مصباح الزجاجة 4/ 126: "هذا إسنادٌ رجاله ثقات".
2- مسلم 1/ 554.

وهنا يتردد على مسامع المغتبطين والنادمين من الناس وعد الله العظيم:﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾﴾(ق).

أتستطيع التصور: أيفرح الحبيب بأخذ حسنات حبيبه..يا له من يوم:

وفي موقف الحساب..حدث أمرٌ تطير لهوله الألباب..إذ رأيتم عبداً أُتي به في الموقف..نعم: ((فينادى على رؤوس الأولين والآخرين هذا فلان ابن فلان))[1]..

فتلتفت الخلائق..لِمَ أُعلن عن اسمه؟ ما الخطب؟ فيكمل المنادي نداءه: ((من كان له حقٌ فليأت إلى حقه))..

يا الله..اللهم سلم..اللهم إنا نعوذ بك من الخزي..من يفرح بذلك ومن يحزن عليه؟..استمع إلى الموقف الرهيب يصوره لك ابن مسعود فعندما يُنادى بقضاء الحقوق ((تفرح المرأة أن يكون لها الحق على أبيها أو أمها أو أخيها أو زوجها)) -ثم قرأ ابن مسعود- ﴿فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾(المؤمنون)..ويُحاسَبُ العبد ..والناس يتشوفون لمصيره خائفين..ومن رحمة الله به..أن الله ((يغفر من حقه ما يشاء، ولا يغفر من حقوق الناس شيئاً)) بل ((ينصب للناس فيقول: ائتوا للناس حقوقهم))..

فيصعق العبد ((فيقول: يا رب فنيت الدنيا من أين أوتيهم حقوقهم؟))..

ويستمع الخلائق للقصاص الرهيب، وكيف ترد المظالم في ذلك اليوم العصيب ((فيقول: خذوا من أعماله الصالحة، فأعطوا كل ذي حقٍ بقدر مظلمته)) هناك يكون الناس..أحوج ما يكونون إلى مثقال الذرة من الحسنة..فكيف يكون حالهم وهم يرون حسناتهم تُقسمُ على الناس وهم يشاهدون؟..

1- ذكر هذا الحديث ابن كثير في تفسيره 1/ 498 عن ابن مسعود موقوفاً وعزاه لابن أبي حاتم.

ولكن المؤمن تدركه رحمة الله..إذ يقول ابن مسعود وهو يحكي تتمة ذلك الحدث: ((فإن كان ولياً لله ففضل له مثقال ذرةٍ ضاعفها الله حتى يدخله بها الجنة))، ثم قرأ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ (النساء)..رحمةٌ من الله وفضلٌ لعباده المؤمنين..﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ (النساء:175) ..والحمد لله رب العالمين..

قال ابن مسعود: ((وإن كان عبداً شقياً قال الملك: فنيت حسناته وبقي له طالبون كثيرٌ. فيقول –الله–: خذوا من سيئاتهم فأضيفوها إلى سيئاته، ثم صكوا له صكاً إلى النار)).

انظر هناك: يا لعظمة التكريم على الملأ – ما أسهل سببه لو كانوا يعقلون–:

ورأى صاحب القلب المنيب هناك رجالاً.. كانت الطمأنينة تملأ قلوبهم..تملأ قلوبهم بصورةٍ متميزةٍ: الطمأنينة تملأ قلوبهم والناس في رعبهم.. الرجاء يملأ أفئدتهم والناس في خوفهم..

عندها وددتَ –أيا صاحب القلب المنيب أن تكون مثلهم–، فطمأنينتهم ليست كطمأنينة الآخرين.. وتساءلتَ عنهم فعلمت أنهم مِنْ ((مَنْ كظم غيظا وهو يستطيع أن ينفذه)) فكان جزاؤهم أن الله ملأ قلوبهم رجاءً يوم القيامة..فقد رأيتَ الواحد منهم يكرم تكريماً خاصاً..يا له من تكريم! يا بؤس المحرومين..يا ندامة المفرطين! لقد ((دعاه الله)) – في هذا اليوم العظيم المخيف..أجل تسمع نداء الحق على الأشهاد.. يملأ القلوب المؤمنة، ويحيي الأكباد..تسمعه وهو يدعو هذا المكرم المصطفى المختار ((يوم القيامة على رءوس الخلائق حتى يخيره في أي الحور شاء))[1] مجرد كظم غيظٍ غفل عن أهميته الغافلون..ترى عاقبته أن يخير صاحبه من االحور العين في موقفٍ يغبطه فيه الأولون والآخرون..ومنادي الحق ينادي: ﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴿٣٠﴾﴾ (الكهف).

1- أبو داود 4/ 248، الترمذي 4/ 656 وقال: حسن غريب، وحسنه الألباني.

تكريمٌ عظيم: أنت تشهد على سائر الأمم:

ولأنك-أيا صاحب القلب المنيب- كنتَ من المصدقين باليوم الآخر فإنه يحدث لك تكريمٌ عظيم على رؤوس الملأ..واشهد هذه الصورة لك وللمؤمنين المصدقين باليوم الآخر:
يؤتى بكم جميعاً على رؤوس الملأ لتشهدوا..ها أنت ذا مع الأشهاد الذين يشهدون على الذين كذبوا على ربهم، وأنكروا اليوم الآخر..انظر إليهم يا لكثرتهم:

وقبل أن تبدأوا بالشهادة توصفون بأجمل وصفٍ، ويُثْنَى عليكم بأرقى ثناء..لكأنه يقال: اسمعوا إلى شهادة هؤلاء عليكم..هؤلاء هم الذين أوتوا العلم والإيمان..وتأتي شهادتكم بعد شهادة الأنبياء والملائكة..يا للنعيم الذي تحظى به إذ أنت منهم..تنعم وتمتع بهذا التكريم..

ثم يؤذن لكم فتتكلمون بما لديكم منكلين بكلامكم هؤلاء..فتنطقون زاجرين لهم شاهدين عليهم بالحق:

يا أيها المنكرون ليوم البعث﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾﴾(الروم) لقد لبثتم في قبوركم إلى يوم البعث..فإن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث الذي كنتم تنكرونه..ولكنكم كنتم لا توقنون بالعلم الحقيقي الذي كان ينبغي أن تهتموا به..

فيحاولون أن يعتذروا فلا تقبل أعذارهم..وهكذا يُعزز المؤمنون ويكرمون بوضعهم في مكان الشهادة على المبطلين من العالمين..في يوم الأهوال والشدائد والخزي المبين.

انظر موقف الدلال: عملتُ ذنوباً لم تعرضوها علي:

وبعد أن نجوتَ وقد نجت فئاتٌ عظيمة من المؤمنين معك..رأيتم رجلاً ممن يلحق بكم على درب النجاة، وسبيل الحياة الحقة، والنعيم المقيم..ولكنه يتأخر عنكم تأخراً كثيراً فهو

((آخر أهل الجنة دخولاً الجنة، وآخر أهل النار خروجاً منها))[1]..تقدم ليتم حسابه قبل أن يسبل الله عليه ستر نعمته ورحمته..انظر إليه متمتعاً بنجاتك ناظراً لرحمة ربك فيه..

انظر إليه وهو ((يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه، وارفعوا عنه كبارها)) لحكمة بالغةٍ، ورحمةٍ عظيمةٍ يحاسب أولاً على الصغائر، ((فتعرض عليه صغار ذنوبه)) ويستغرق في النظر إليها وقراءتها..ويكون الحساب علنياً، وبالكلام كما هو مكتوبٌ تحريرياً ((فيقال: عملتَ يوم كذا وكذا كذا وكذا، وعملت يوم كذا وكذا كذا وكذا))يا الله! بالدقيقة والساعة واليوم..بالزمان والمكان..أجل إنه﴿ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ (الكهف:49)..كل شيءٍ مدونٌ مكتوبٌ مُسَطَّرٌ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌ﴾(القمر: 53)..ومنادي الحق ينادي:﴿وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (الأنبياء).

ولأنه يستحق دخول الجنة، فإنه لا يتعمد الكذب، ولا يحاول الفرار من الإقرار بما اقترفت يداه ((فيقول: نعم! لا يستطيع أن ينكر)) وهذه هي الصغائر فقط.وقد أظلمت عليه الدنيا فكيف سيفعل مع الكبائر..انظر إليه ((وهو مشفقٌ من كبار ذنوبه أن تعرض عليه))، ولكن لأنه تاب وأناب قبل حلول الأجل، يفاجأ بنتيجة الفرح وحسن مآب ((فيقال له: فإن لك مكان كل سيئةٍ حسنةٌ)) **يا لها من نتيجة عجيبة:**

فما زلتَ ذا عفوٍ عن الذنب لم تزل تجود وتعفو منةً وتكرما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

عندها – يظهر طمع ابن آدم المعتاد فيود أن لو عرضت عليه كبار ذنوبه حتى تبدل حسناتٍ، والنبي ﷺ يُصَوِّرُ هذا الطمع في رحمة الله من هذا العبد، ((يقول: رب قد عملت أشياء لا أراها ههنا)) اعرض عليَّ بقية الحساب يارب! ولا شك أنه موقفٌ يثير ضحكك

1- حديثه عند مسلم 1/ 177.

الذي فيه نوع سعادةً بفضل الله الواسع..ضحك سعادةٍ غامرةٍ لا يعبر عنها إلا بالضحك..ولقد ضحك رسول الله ﷺ وهو يُرِي الناس هذا المشهد حاكياً..ضَحِكَ ﷺ حتى بدت نواجذه.

ليتبع كلُّ قومٍ ما كانوا يعبدون..فمن تعبد أيا صاحب القلب المنيب؟[1]:

وبعد اجتياز صاحب القلب المنيب للأهوال السابقة بهذه الكرامات الظاهرة: ((يُنادي منادٍ ليذهب كل قومٍ إلى ما كانوا يعبدون))..

إنه موقفٌ فصلٌ، وفيه مكرٌ بِعَبَدة الأوثان..إذ يود كل واحدٍ أن يخلص من هول يوم القيامة، وقد نالهم من الخوف والرعب والنصب والعذاب..ولسان الذكرى يصيح في الغافلين ﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝﴾(المطففين)..لذا يناديهم المنادي بذلك..ويبين لهم حيثيات ذلك فيقول:

((يا أيها الناس ألم ترضوا من ربكم الذي خلقكم وصوركم ورزقكم أن يوالي كلُ إنسانٍ ما كان يعبد في الدنيا ويتولى..؟)) فماذا سيتبعون؟ هو ما كانوا يعبدون في الدنيا..ويصدر لهم الأمر الصارم ليعلموا أنه العدل المحض، والإجراء اللازم:

((من كان يعبد شيئاً فليتبعه)) ويتبعه بالسؤال: ((أليس ذلك عدلٌ من ربكم؟)) فماذا يملكون أن يقولوا:

((قالوا: بلى))..عندها ترى المواكب الخاسرة تمضي..تراهم يتبعون ما كانوا يعبدون..تُرى بأي شعورٍ حينها يشعرون؟..

((فينطلق كل إنسانٍ منكم إلى ما كان يتولى في الدنيا، ويُمَثَّلُ لهم ما كانوا يعبدون في الدنيا..يُمَثَّلُ لمن كان يعبد عيسى شيطانُ عيسى، ويمثل لمن كان يعبد عزيراً شيطان عزير..

1- هذا الحديث العظيم وفيه حديث الجسر في المشاهد التالية عند البخاري 6/ 2706، وفي مواضع متفرقة، وعند مسلم 1/ 167، وجملة ((أليس ذلك عدل من ربكم)) عند الحاكم 4/ 632 على الرفع لكلمة عدل.

حتى يمثل لهم الشجر والعود والحجر)) ومن كان يعبد هواه فيا بؤسه فليتبعه..

ها هي ذي معبوداتكم فاتبعوها من قريب..عساها تنجيكم من هذا الموقف العصيب..

((فيتبع من كان يعبد الشمس الشمسَ، ويتبع من كان يعبد القمر القمرَ، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيتَ)).. وينطلقون.. يا حسرة الخاسرين.. لقد حق عليهم القول المبين: ﴿نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥﴾ (النساء:115).. ((فيذهب أصحاب الصليب مع صليبهم، وأصحاب الأوثان مع أوثانهم، وأصحاب كل آلهةٍ مع آلهتهم)).. إلى أين يسيرون؟ إلى أين..؟ مع أئمتهم ومعبوديهم..ترى كل إلهٍ كاذبٍ من آلهتهم﴿يَقۡدُمُ قَوۡمَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَأَوۡرَدَهُمُ ٱلنَّارَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡوِرۡدُ ٱلۡمَوۡرُودُ ٩٨﴾(هود:98)..وهناك بقي صاحب القلب المنيب مكانه لأنه يعبد رب العالمين..ذهب المحاسَبون أجمعون وبقي ((من كان يعبد الله من برٍ أو فاجر، وغبراتٌ من أهل الكتاب))..

انظر واسمع: اشربوا. فيتساقطون في جهنم:

بقي المؤمنون والفجار وأهل الكتاب..لم ينطلقوا مع أحدٍ؛ إذ دعواهم جميعاً أنهم يعبدون الله-جلَّ جلاله-.. يترقبون في خوفٍ ووجلٍ..عند ذاك يحدث هولٌ عظيمٌ للباقين؛ إذ تقرب جهنم من الجميع أكثر..ها هم أولاء يرونها عياناً..ووقفوا عليها..نعم ((يؤتى بجهنم تُعْرَضُ كأنها سراب))..ثم يؤخذون فئةً.. فئةً أمام الأسئلة العسيرة..

فأول فئةٍ تسأل في موقف الهول المبين هم اليهود:

يقال لهم: ((ما كنتم تعبدون؟..

قالوا: كنا نعبد عزير بن الله)).

فيقال: كذبتم. لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولدٌ. فما تريدون؟))..الهول والعطش والرعب يأكلهم..فما يريدون؟ أهم ما يطلبونه ماءٌ يروي عطشهم الطويل في يوم الخطب الجليل..لذا

يقولون: ((نريد أن تسقينا)).ويئنُّون ((فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا.. عطشنا ربنا فاسقنا)) آلآن عرفتم ربكم، وطلبتم منه السقيا؟.

((فيقال – استهزاءً وسخرية وزجراً وردعاً-: اشربوا. فيتساقطون في جهنم)).

اشربوا من جهنم؟..اللهم سلِّم.. سلِّم..يا لفاجعة الذين افتروا على الله الكذب..يا لحسرة الذين حادوا الله ورسوله وبغوا في الأرض فساداً وعيشاً نكداً مضطرباً..

والفئات الأخرى باقيةٌ على حالها تشهد المنظر الرهيب..والخوف يحيط بمن استهزأ باليوم الآخر..

فيؤتى للفئة الثانية وهم النصارى:

فيقال لهم: ((ما كنتم تعبدون؟.

فيقولون: كنا نعبد المسيح بن الله.

فيقال: كذبتم. لم يكن لله صاحبةٌ ولا ولد. فما تريدون؟.

فيقولون: نريد أن تسقينا)) ويئنون بشدة..يئنون ((فيقولون: عطشنا ربنا فاسقنا.. عطشنا ربنا فاسقنا)).

((فيقال – استهزاءً وسخرية وزجراً وردعاً-: اشربوا.فيتساقطون)).

هنيئاً لك بتذوق لذة السجود لله في هذا اليوم:

ثم بقيت الفئة الثالثة: المؤمنون والفجار..((يبقى من كان يعبد الله من برٍّ أو فاجرٍ)) هم يَدَّعون أنهم يعبدون الله-جلَّ جلاله- وفيهم صاحب القلب المنيب..سنرى من بكى ممن تباكى..سيتضح اليوم صدق الدعوى من زيفها..إذ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلۡحَقُّ﴾(النبأ:39) نعم! ذلك

اليوم الحق..ليتهم كانوا يعلمون..ومنادي الحق ينادي على أهل الدنيا..علينا-أبناءَ الدنيا- ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾﴾(النبأ)..ليجد ذلك المآب حقاً يوم القيامة.

((فيقال لهم: ما يحبسكم وقد ذهب الناس؟.

فيقولون: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم.. ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، وإنا سمعنا منادياً ينادي: ليلحق كل قومٍ بما كانوا يعبدون، وإنما ننتظر ربنا -فيأتيهم الجبار-..وعندها يؤمرون بالسجود له في هذا اليوم الشديد..﴿وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ﴾(القلم:42) فيتذوق العبد المنيب الأواب البار..لذة السجود، ولذة نجاحه في الاختبار..

((فيسجد له كلُّ مؤمنٍ، ويبقى من كان يسجد لله رياءً وسمعةً فيذهب كيما يسجد فيعود ظهره طبقاً واحداً «ويبقى قومٌ ظهروهم كصياصي البقر يريدون السجود فلا يستطيعون»))..ظهورهم طبقة واحدةٌ فكيف يستطيعون السجود..؟

يا لشدة الموقف..يا لفضيحة الموقف..اللهم فأتمم سترك ونعمتك وعافيتك في الدنيا والآخرة..يريد المرائي السجود فيعود ظهره طبقاً واحداً..يريد المنافق السجود فلا يتمكن إذ قد صار ظهره طبقةً واحدةً..يذهب كيما يسجد بأي شكلٍ ولكنه ينقلب على ظهره..اللهم فاغفر واعف واجعلنا من المصطفين الأخيار في ذلك اليوم..وسجد صاحب القلب المنيب..فيا لذة تلك السجدة.. ذاق لذة سجوده..وما له ألا يفعل؟ وقد كان يتذوق لذة السجود في دنياه..**ما له ألا يفعل وقد كان يفر من فتن الدنيا وأكدارها ومصائبها إلى لذة السجود، ونعيمه، وصفائه...**

وعندها ((يؤمرون فيرفعون رؤوسهم..فيُعْطَون نورهم على قدر أعمالهم.. فمنهم من يُعْطَى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعْطَى نوره دون ذلك، ومنهم من يُعْطَى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يُعْطَى دون ذلك.. حتى يكون آخر ذلك مَنْ يُعْطَى نوره على

إبهام قدمه.. يضئ مرةً، ويطفئ مرةً.. فإذا أضاء قدم قدمه، وإذا طفئ قام)).. **أيها المتقي البار:**

توزيع الأنوار على قدر بِرِّ الأبرار..على قدر مناجاة الأسحار..بحسب الإنفاق على وجوه الخير والحق في الليل والنهار..يا طالب الأنوار يوم الظلمات: اشتر نورك الآن..وابذل الثمن..فالثمن غالٍ..فيا فوز الأبرار..فماذا أنت قائل، واحذر من زيف الرياء، فإنه كوكبٌ قصير الأجل كقصر وقت السحر المحبب إلى الله-عزَّ جاره-:

ثوب الرياء يشف عما تحته وإذا التحفتَ به فإنك عاري

يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذا تكون كواكب الأسحار

المشهد الخامس

إنه العبور الخطير على جسر جهنم..
هل أعددت مركبتك القوية لتتمكن من الانتقال عليها؟

إنها عقبة الفزع الأكبر: جسر جهنم..أي شيءٍ أفظع من جسر جهنم وأشد هولاً:

وقام صاحب القلب المنيب من سجوده والبشر ما زال يملأ على فؤاده..تُشْرِقُ أسارير وجهه، ويظهر في منظره ومخبره..قام وقد شعر باجتياز الاختبار..اختبار السجود الذي طالما أعدَّ له عدته..فأكثر السجود في الدنيا، وراود نفسه على الإخلاص، واجتناب النفاق والرياء..وانتقل إلى امتحانٍ آخر عسير..إذ أُوقِفَ الجميعُ على جهنم ومنادي الحق ينادي: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾(مريم)..عندها جأر الناس بالبكاء، وامتلأت قلوبهم بالخوف..كيف سَنَرِدُها..؟ وكيف يمكن الخروج منها وهي تكاد تميز من الغيظ..كيف تُطاق والقلوب تنخلع لمجرد رؤيتها من بعيد.. فإنها إذا رأت المجرمين ﴿مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾(الفرقان)..فكيف وهي الآن في مكان قريبٍ؟ بل كلهم سيردها..هكذا عرصات القيامة وأهوالها..محطاتٌ مختلفة..كل محطةٍ أهوال مستقلةٌ بذاتها..ها هو ذا جسر جهنم..وها هي ذي جهنم بذاتها:

لكأننا نرى صاحب القلب المنيب قد جثا وقلبه يرجف، وعيناه تذرفان من أهوال القيامة التي تصيبه..لكأنه يئن قائلاً: اللهم سلمني..اللهم سلمني..اللهم قد عرفتُ ذنبي فاغفر لي..اللهم قد سترتَه عليَّ في الدنيا فأتمم عليَّ سترك في هذا الموقف.. إلهي..مولاي أنت:

الوليُّ المتينُ ما خاب ظنٌ ... لنفوسٍ في فضله طامعاتِ
يا إلهي إني مقرٌ بذنبي ... وخطايا جوارحٍ مسرفاتِ

ما جهلتُ المقامَ أو كان قلبي مشـرئبـاً إلـى دروب العصـاةِ
ضعفُ نفسي وحسن ظني بربي جـرنـــي لانتهـــاك المظلمـاتِ
يـا حليمـاً بعبـده يـــا عفـــواً يـا ولـيَّ الإنعـام والمكـرمـاتِ

أسل دموعك خشيةً وتعظيماً واستعد له من الآن:

إنه أدق من الشعر وأحدُّ من السيف.. مدحضةٌ مزلةٌ عليه خطاطيف وكلاليب:

ورأوا بأعينهم كيف سيردون جهنم، ويا له من هول..إنه الجسر المنصوب على ظهر جهنم؟ ولكن أي جسر..نعم ((يؤتى بالجسر فيجعل بين ظهري جهنم)) يا له من جسر؟ لك أن تتساءل بخوفٍ ورعب عظيمين: أي شيء هو جسر جهنم؟..

فإنه ((أدقُّ من الشعر وأحدُّ من السيف))..ولكن أتدري أيا راجي النجاة ما هو الجسر؟ إنه ((مدحضةٌ مزلةٌ عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكةٌ مفلطحة لها شوكةٌ عقيفة تكون بنجد يقال لها السعدان))..

أدقُّ من الشعر.. فكيف يعبر عليه؟ ربِّ سَلِّمْ..

أحدُّ من السيف..فكيف يعبر عليه؟ رب سلم..

في ظلماتٍ حالكة تحيط بكم وبه..لا تجتازها في طريقٍ واسعٍ..فما بالك بطريقٍ هو أدق من الشعر وأحد من السيف؟ ربِّ سلم..

وآلات جهنم القوية الغاضبة، وزفيرها، وفحيحها المؤلم..تعمل في جذب الناس وإسقاطهم إلى قعرها.. رب سلم..

وانظر الكلاليب فإذا هي عبارةٌ عن حديدةٍ معوجة الرأس، أو عودٌ في رأسه اعوجاج كثير مثل ((شوك السعدان غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله))..وتأملت هناك عمل هذه الكلاليب، وتلك الأشواك فإذا هي تؤدي عملاً تضيف إلى رعب الصراط ورهبته رعباً ورهبة؛ إذ "يحبس الله بها من يشاء من خلقه..(يعوق من يشاء).. ويصرعه بكلاليب الصراط، حتى يهوي إلى النار.. حتى لا يعلم أينجو أم لا"[1]، وبعض هذه الكلاليب تنهش أجساد الناس ((فتخطف الناس بأعمالهم.. منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل ثم ينجو)) تخردل جسده وتنهشه وتأكل منه..وبعد المعاناة قد ينجو.

يا أهل الموقف: إنه جسر جهنم..وكيف تنام العين وهي قريرةٌ:

يا لدقته وحدَّته فمن يقدر على العبور عليه في هذا المسافة الهائلة العظيمة..

يا لوحشة كلاليبه وخطاطيفه فمن ذا يصمد؟..

يا للرعب الذي ينتاب الواقفين عليه وهم يرون بذهولٍ ورعبٍ وخوفٍ جهنم اللائحة بعضُ أهوالها للخلق من تحت الجسر..فمن ذا يجرؤ على المرور؟.. والنبي ﷺ يعلق على المشهد قائلاً: ((الزالون والزالات يومئذٍ كثير))..فأسِلْ – أيا حبيباه–دمع العين إشفاقاً أن تكون منهم قبل أن يأتي يومٌ لا ينفع فيه أن تكون الدموع دماً:

وكيف تنام العين وهي قريرةٌ ولم تدرِ في أي المكانين تنزلُ

ولكن إذا كان هذا هو الجسر..أفليس من المستحيل المشي عليه؟ بلى..ولكن شيئاً واحداً يُمَكِّنُ المرء من أن يعبره: إنه العمل الصالح..**ألا أيها الخلق: من أعدَّ العمل في دنياه** كان تجهيز مركبة سيره في أخراه بحسب عمله.. ويرى الخلق من ذلك أن "يسر المشي على الصراط وعسره إنما يكون على قدر الطاعات والمعاصي.."[2]..

1- انظر: فيض القدير 2/ 171.
2- انظر: فيض القدير 2/ 171، وفي الكتاب إشارة إلى أن معنى أدق من الشعر، وأحد من السيف ليس على ظاهره.

لربما بدأ عندها صاحب القلب المنيب يحسب كم هي الحسنات التي جمعها في الدنيا لتكون وسيلة نقله عبر هذا الطريق المخوف الرهيب..وعندها نسي -كبقية الخلق-كل حبيبٍ له..نسيَ كل قريبٍ إلى قلبه..هناك ذهل الخليل عن خليله..وتذكر الإنسان يومئذٍ مجدداً ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكۡرَىٰ ٢٣﴾(الفجر)..تذكر أنه كان يمكن أن يجمع ما يكفيه لتكون وسيلة نقله عبر الصراط مذللةً مهيئة..ثم لربما أعاد الذكرى وهو يعاين ذلك..

آه ما للإنسان لا يعتبر.. ويأتيه كتاب ربه يخبره بطريق المستقبل حيث أهوال الساعة فلا يزدجر..لقد كان سماع ذلك في كتاب الله-جلَّ جلاله- كافياً في حياته الدنيا لإلهابه وتهييجه وتذكيره بما أمامه من القدوم على أهوالٍ لا يخلص منها إلا بلطف الرحمن بسبب ما تقدم من أعمال[1].

يا من وصلتم الرحم وأديتم الأمانة أبشروا:

الأعمال الصالحة هي وسائط الصالحين..للتقرب من رب العالمين..والنجاة من جسر جهنم يوم الدين..ومن أعظم العبادات التي يراها العباد تسائلهم على الجسر لتزيد في رعب الخاسرين..وتبشر المتقين: أداء الأمانة، وصلة الرحم..إذ ((ترسل الأمانة والرحم فتقومان جنبي الصراط يميناً وشمالاً))[2] يحاسب العباد عليهما..فهنيئاً لمن وصل رحمه، وأدى أمانته..وهما من أسباب وصوله إلى الجهة الأخرى ونجاته في موقف الخزي العظيم..**فتمسك بهما أيا راجي الفوز توفق على الصراط المستقيم**..

أيها القانتون: صلوا الرحم.. لتصلوا على جسر جهنم..وأدوا الأمانة لتفوزوا.. فالنجاة هنا أكبر مغنم..

أيها القانتون: هُيِّئَتْ لكم الدنيا فهل من مشمر..وبقي في أجلكم فسحةٌ..ألا من عاملٍ

1- انظر: فيض القدير 2/ 171.
2- مسلم 1/ 187.

لآخرته يُعَمِّر..**فاسلكوا الصراط المستقيم في الدنيا..ليستقيم لكم في الأخرى..**

هذا هو الصراط، وهذه هي شدته:

والنبي ﷺ على الصراط ينادي متضرعاً: اللهم سلِّم..سلم..

والأنبياء على الصراط ينادون متضرعين: اللهم سلم..سلم..

والملائكة على الصراط ينادون مشفقين: اللهم سلم.. سلم..

الظلمات الحالكة..إنه نور الله يُرْسَلُ إلى من تاب وعمل صالحاً:

وأول عقبةٍ على الصراط زلزلت الأفئدة: الظلمات الكالحة..كيف يمكن العبور في هذه الظلمات..؟..

يا أنين الفؤاد من التفريط في الحياة الدنيا..يا غرقَ الخدين من دموع الندم على ضياع الأوقات في زمن العمل..

وسرى التفكير المخيف بحقٍ: كيف يمكن أن تجتاز شيئاً هذه حدته ودقته وظلمته وكلاليبه وخطاطيفه؟ كيف..؟

وأصداء الجواب تتردد في الأسماع وفي الأفئدة: ((على قدر أعمالهم)).. فأقواهم وأوفرهم حظاً من ازدلف إلى ربه بعملٍ صالحٍ وصدق متاب.. ولكن الملائكة تطمئن المؤمن، وتبشره بالجنة ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ..﴾(الحديد:12) يبشرونهم ليزداد اطمئنانهم ..كأنهم يقولون: لا تخافوا ولا تحزنوا..إن هي إلا هذه العقبة وستجتازونها حتى تصلوا مستقركم في الجنان..ستصلون..وذلك ليخففوا من الرعب المحيط بهم..مع شدة الخوف من الصراط حتى الأنبياء.. الأنبياء لشدة الخوف يرددون : رب سلم..رب سلم..ولا يوجد أحد من الخلق يستطيع الكلام..إلا الرسل..وهم عندما يتكلمون..إنما يكون كلامهم دعاء..

اسمع لقول نبيك ﷺ يصف لك خطورة الوضع: ((ولا يتكلم يومئذٍ إلا الرسل ودعوى الرسل يومئذٍ: اللهم سلم.. سلم)).

وفي هذه الأثناء رأيتَ الكرامة لحقتْ ﴿مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾﴾(ق)..

أبشر يا من خشيت الرحمن بالغيب..أبشر..فإن الله يخصك بنورٍ يسعى بين يديك وبيمينك..

ولكن من ذا يبشره؟..

إنهم أولياءه في الحياة الدنيا وفي الآخرة..الملائكة..

إنهم أصدقاء الصدق..وإخوة البشائر الدائمة..أرسلهم الوليُّ الودودُ.. الرحمنُ الرحيمُ..فأسرجوا له نوراً يسعى بين يديه ومن خلفه..أسرجوا له النور..فيا راحة القلب وسكينته..أتستطيع أن تصف الفرحة؟ إنه النور يُشرِقُ له ولكل مؤمنٍ عامل..أشرق بين أيديهم وبإيمانهم..

فما أجمل المنظر..انظر إليهم ذلك اليوم ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾(الحديد:12)..

أُضيئَتْ لك أيها المؤمن أنوارٌ ترشدك إلى الجانب المقابل عبر الصراط فوق هوة جهنم للنجاة..وهذا من أعظم البشرى التي تُقذف في قلوب من اهتدى.. ممن تاب وآمن وعمل صالحاً..فأحبه الله واصطفاه..

أيا حبيباه: لا يلهينك خوفُك وأَملُك..وارفع يديك هاتفاً: اللهم اجعلني من المصطفين الأخيار..أيها البار..نادِ في الأسحار:

أتيتُــك راجيــاً يــا ذا الجــلالِ ففرّجْ ما تـرى مـن سـوء حـالي
عصيتُك سيدي.. ويلي.. بجهلي وعيــبُ الذنـبِ لـم يخطـر ببـالي
إلــى مَــنْ يشتــكي المملــوكُ إلا إلــى مــولاه يــا مــولى المــوالي

أيا طالب التوفيق، وخاطب الجنان: النور يضاء لك قبل مرور الصراط حناناً وزكاة:

أيها القانت الأواب..يا صاحب القلب المنيب: انظر –إن استطعت النظر– إلى المنافقين والمنافقات لترى شدة الظلمات بين أيديهم..وغلظ الظلمات حواليهم..**إنها تساوي ظلمة قلوبهم في الدنيا.. جزاءً وفاقاً..**

أما أنتم أيها البررة القانتون: فكان لكل واحدٍ منكم نوره الخاص به.. وهو الضياء الذي تمرون تحت إضاءته بين أيديكم.. أمامكم وبأيمانكم..فيضاء النور لكم في أيمانكم..كما أن قلوبكم أشرقت بنور الله في الدنيا.. فالجزاء من جنس العمل في الآخرة..وانظروا: فقد غدت أيمانكم مصدراً للنور..كما استلمتم كتابكم باليمين انتشر نوركم باليمين..﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾(النبأ).

يا طالب التوفيق..وفي جسر الرهبة العظيم، وبين أرتال الظلمة المحيطة ترى أنواركم متفاوتة، ومداها متباين..فإنهم ((يؤتون نورهم على قدر أعمالهم من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن))..ومن المؤمنين من يكون نوره أقل من ذلك..((حتى إن من المؤمنين من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه، «وأدناهم نوراً من نوره على إبهام رجله فيطفأ مرة ويوقد أخرى»))[1]..

يا أيها العاملون: هنا ظهر المجد ولاح..

1- أخرجه الطبري 1/ 56، والزيادة عند الحاكم 2/ 520، وصححه، ووافقه الذهبي، وانظر: تفسير ابن كثير 1/ 56.

هنا تميز القول الكاذب من الأقوال الصحاح.. أشرعوا سفن العزم إن كنتم ترجون الفلاح..ترى كيف ستكون أنوارنا في يوم الظلمة..وما مداها في يوم المراح..

..يا للمجد لمن واصل المسير إلى ربه بالإدلاج والغدو والرواح..

ليجد لنفسه في آخرته أعظم سراج وأرقى وسيلة للنجاح..

تراهم (يؤتون نورهم على قدر أعمالهم)) وترى هناك – يا لوعتاه–أدناهم نورا من أوتي نوره على إبهامه يطفأ مرة ويقد مرة[1].

تصور ذلك وكرّر الصورة في ذهنك، **ثم اهتف معي بقلبٍ خاشعٍ ونفسٍ متضرعة:** اللهم لا تخزني يوم القيامة..إلهي بك أستجير..فلا تخزني يوم البعث والنشور.

نورك يسعى معك..هل أعددته في الدنيا كما ينبغي:

ومن صفات هذا النور الذي ينبعث من ذاتك: أنه ﴿ يَسۡعَىٰ﴾(التحريم:8) كلما مشيت مشى معك ومضى يضيء لك..وليس كالنور الثابت الذي كلما ابتعدت عنه زاد خفوته.. فهو ﴿يَسۡعَىٰ بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَبِأَيۡمَٰنِهِمۡ﴾(التحريم:8).

أيها البار القانت: فماذا تريد أكثر؟ إذ ينطلق نورك الناتج عن الأعمال الصالحة في الدنيا لتستضيئ به على الصراط، وليكون دليلاً لك إلى الجنة..أفلا تعده كما ينبغي[2].

يا صاحب القلب المنيب: من جديد: لا تخف ولا تحزن: إنها الصحبة الدائمة، والود الصادق:

ولرهبة الصراط – يا صاحب القلب المنيب– وخوف الورود على جهنم تأتي الملائكة من

1- انظر: تفسير ابن كثير 1/ 56.
2- انظر: تفسير القرطبي 17/ 244.

جديدٍ لتطمئنك وتبشرك، ونورك يسعى بين يديك وبيمنيك فتقول لك قبل أن تبدأ ساعة الانطلاق: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾﴾(الحديد)..

أيها المفلحون: خلودكم في الجنات هو النجاح العظيم الذي كنتم تطلبونه بعد النجاة من عقاب الله..وتصور معي مشهد الأفراح الغامرات التي تنتاب المؤمنين حينها، ومشهد الحسرات القاتلة التي تعتري المنافقين والكافرين عندما يسمع الجميع تلك البشائر.

بعد تكامل الطمأنات تبدأ ساعة الانطلاق: بسم الله مجراها ومرساها

وهنا انطلق المؤمنون تحملهم أعمالهم، وتذلل لهم طريق العبور الخطير..حيث ترى النار بفجائعها، وهولها، وظلمتها، وكلاليبها،..في أمرٍ عظيم يسقط القلب منه بمجرد الرؤية..فهنيئاً لأصحاب الأعمال الصالحة..هنيئاً..**اللهم فاجعل لي لسان صدق في الآخرين..**

انطلق المفلحون في مشهدٍ يملأ القلب بشراً وفرحاً.. إذ رأيت ((المؤمن عليها كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب)) ((تجري بهم أعمالهم))..

((فيقال: انجوا على قدر نوركم فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كشد الرحل، ويرمل رملا.. فيمرون على قدر أعمالهم «حتى تعجز أعمال العباد.. وحتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زاحفاً»، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه يجر يداً، ويعلق يداً، ويجر رجلاً، ويعلق رجلا فتصيب جوانبه النار))[1]..**لا إله إلا الله..قل معي بخشوع: اللهم إني أسألك أن تجعلني من السابقين ذلك اليوم يا أرحم الراحمين..**

والكلاليب تعمل عملها فيمن أُمرت بهم فـ((في حافتي الصراط كلاليب معلقةٌ مأمورةٌ

1- مسلم 1/ 187، الحاكم 4/ 631.

بأخذ من أمرت بأخذه)) تأخذ من هذا شيئاً.. وتنهش هذا فيوشك على الهلكة..وتجر ذاك فيُرْمى من على الجسر إلى قعر جهنم..

واشهد هناك المجد والسبق كله قد صارا خالصين للنبي ﷺ إذ هو ((أول من يجيز)) على الصراط..ثم يقف يدعو مع الرسل يومئذٍ: اللهم سلم.. سلم.. أجل! النبي ﷺ ما زال يدعو لأمته إذ هو ((قائم على الصراط يقول: رب سلم.. سلم))[1]..

أبشر! فأنت من أوائل من يجيز الصراط..ولكن ما هي نتائج المشهد الحق:

وكما أن النبي ﷺ كان أول من جاوز الصراط كذلك كانت أمته ((أول من يجيز..)) ..وكان صاحب القلب المنيب ممن كرمهم الله بالانتماء لهذه الأمة الخاتمة.. فقد مَرَّ مع الأوائل في يوم الأهوال..مر والخلق ينظرون إليه باغتباط..وما له ألا يمر وقد اجتاز عقبة الدنيا.. فكان جزاؤه أن تحمله أعماله، ويسير به نوره ليجتاز عقبة الآخرة..

اقتحمَ عقبة الدنيا: فأطعمَ وصلى وصام وكان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة..وكان ممن حافظوا على القيام..وبرحمة الله اقتحم عقبة الآخرة..وإن كان قد رأى أفضل منه ممن سبقه بأسرع منه..لكنه اجتاز..وإنا لنرجو أنه اجتازها بأسرع من طرف الأنام..ذلك بما كان يعمل في الدنيا..ويتقي الآثام..

أيا حبيباه: فهل من مبادر بالأعمال والطاعات..ليجد نوره في ذلك اليوم.. يَصِلُ به عبر الصراط إلى الجنات.. هل من مبادر؟.

وانتهى المشهد العظيم..وترتبت عليه النتائج التالية: لم يخرج مَنْ عَبَرَهُ عن ثلاث حالات:

1- البخاري 5/ 2403.

إما أنه ((ناجٍ مُسَلَّمٌ)) لله فرحتُه!ألا تهتفُ معي: اللهم إني أسالك من فضلك ورحمتك.
أو ((ناجٍ مخدوشٌ)).. ألا تهتفُ معي: اللهم إني أعوذ بنور وجهك..

وإما أنه يا لوعتاه: ((مكدوسٌ في نار جهنم)).اهتف أيا حبيباه: أعوذ بنور وجهك.
بعضهم سلم فيا فوز الغانمين، يا غنيمة المفلحين..ويا فرح المخلِصين المخلَصين..

وبعضهم اجتاز ولكن بعد أن خدشته كلاليب جهنم، ولسعته حسكها، وامتدت إليه أشواكها.. ((حتى يمر آخرهم يسحب سحبا)) ولكنه نجا آخر المطاف..وحمد الله على أن جعله بذلك أفضل العالمين..إي وربي.. فمن نجا من جهنم هل يظن أن أحداً أفضل منه؟ وقول الجليل.. الذي طالما سمعه الأنام..يسبل عليهم الأمان..يسمعونه بجمالٍ وترتيل ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾(آل عمران: 185).

وبعضهم كُرْدِسَ فسقط في نار جهنم..فيا ضيعة الأعمار..ويا ثقل الأوزار..ويا حسرةً تبقى مدى الأدهار..ولا حول ولا قوة إلا بالله..وحسبي الله ونعم الوكيل..على الله ربنا توكلنا..يا طالب رحمة الرحمن: دعِ الغافلين في غفلاتهم، واهتف:

إلهي! لئن أبعدتني أو طردتني فمن ذا الذي أرجو ومن ذا أُشَفِّعُ؟
إلهي! لئن جلّتْ وجَمَّتْ خطيئتي فعفوك عن ذنبي أجلَّ وأوسعُ
إلهي! فلا تقطع رجائي ولا تُزِغْ فؤادي؛ فإني خائفٌ متضرّعُ
إلهي! أذقني برد عفوك يوم لا بنونَ ولا مالٌ هنالك ينفعُ

المشهد السادس

نورك البهي يسعى..
والحصاد المرُّ لمن نكث وأكدى

انظر الحصاد المر: منافقٌ لا نور له، ومنافق أُعطي النور فمضى ثم خُدع فانطفأ نوره فهوى:

في هذا الموقف العصيب والأهوال المتلاحقة ترى الناس قد غشيتهم يوم القيامة الظلمات..كلٌ بحسب ظلمة قلبه في الدنيا.. ثم أعطاهم الله نوراً يمشون فيه..بحسب أنوار قلوبهم في الدنيا.. فيعطي الله المؤمنين نوراً يوم القيامة على قدر أعمالهم يمشون به على الصراط، وأما الكافر وبعض المنافقين فيُتْرَكون بلا نورٍ، بل يحاولون أن يستضيئوا بنور المؤمنين ولا يعطون شيئاً من نور..فقد كانوا لا نور لهم في الدنيا.. إنهم هم خلص المنافقين..

ويُعْطَى بعض المنافقين أيضا نوراً خديعةً لهم.. ولكن الله﴿خَٰدِعُهُمۡ﴾(النساء: 142)

ها هم أولاء يمشون ببصيصٍ من نورٍ معهم..فبينما هم يمشون إذ بعث الله فيهم ريحاً وظلمةً فأطفأ بذلك نور المنافقين، ويسلب المنافق نوره لنفاقه عندها يصيحون.. ويصرخون..ويستغيثون..وهل ينفع شيئاً صياحهم..وهم لم يُعِدُّوا شيئاً في دنياهم..إلا الخداع..فها هم أولاء يخادعون..وتكون نتيجة خداعهم في الدنيا:

منهم من يُكَرْدَسُ في النار من فوره،

ومنهم من تخطفه الكلاليب والخطاطيف فتهوي به،

وترى بعضهم وقد طمس الله على أعينهم فاستبقوا الصراط فمن أين يبصرونه حتى يجاوزوه..

بل هم في هويهم إلى حفرة النار منكسون..

ومنادي الحق ينادي:

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾(يس)..

ومنهم من مسخه الله على مكانته فتراه متحيراً متردداً.. قد أكله عذاب الخوف والإشفاق من الوقوع.. والدموع السوافح لا تغني شيئاً عن القلب الجزوع..فبينما هو كذلك إذ خرَّ على وجهه من علٍ..ومنادي الحق ينادي:﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾(يس)..أقعدناهم فلا يستطيعون أن يمضوا أمامهم ولا يرجعوا وراءهم..حتى وقعوا ولا وقعة أسوأ منها..لكأن الهاتف يبكتهم قائلاً: ذوقوا فتنتكم..﴿ذُوقُوا۟ فِتْنَتَكُمْ﴾(الذاريات: 14).

يا صاحب النور يوم القيامة..أتمَّ الله لك نورك..وأدام سرورك:

إنه ضوء الحق أُعطِي لهم ابتداءً كلما أضاء لهم مشوا فيه، وإذا أظلم عليهم قاموا..كما كانوا يفعلون مع نور الإيمان، وقوة البرهان في الدنيا..فهكذا هم اليوم – يوم الحاقة–..

يهتف صاحب القلب المنيب مع بقية المؤمنين وهم يشهدون ما حدث للمنافقين..يهتفون:

ترى المفلحين يهتفون وهم يسيرون على الصراط: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾﴾(التحريم) ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾(التحريم: 8) يقولون ذلك خشية أن يسلبوا نورهم كما سُلِبَه المنافقون..فهم في طلب فضل ربهم راغبون..ويواصلون الدعاء..فينادون ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾(التحريم: 8)..يكررون ذلك وهم يرون حال المنافقين الذين أُطفئت أنوارهم.. فهم يتذكرون بعض ما وقعوا فيه من ضعفٍ وتقصيرٍ وخطيئةٍ في حياتهم فيخشون أن يؤاخذوا بذلك..فيعيدون الهتاف ﴿وَٱغْفِرْ لَنَآ﴾(التحريم: 8) ..وأخيراً تتم لهم البشرى.. ويتم الله لهم نوره

فيصلون إلى بر الأمان، ومكمن الإحسان.. بفضل الرحمن -عزَّ جاره-.

هذا يوم له ما بعده فـ﴿لَا يُخۡزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾(التحريم: 8) فيه..**اهتف أيا حبيباه: اللهم لا تخزني يا أرحم الراحمين.**

إنه النور في الآخرة.. طلبته - أيا راجي التوفيق- في الدنيا بالتوبة النصوح التي كان لك فيها دمع مسفوح، وقلبٌ عن المعاصي جموح..

إنه التوفيق في الآخرة وعدم الخزي يأتيك أحوج ما تكون إليه..يأتيك بسبب التوبة النصوح التي يجمعها أربعة أشياء: الاستغفار باللسان، والإقلاع بالأبدان، وإضمار ترك العود بالجَنان، ومهاجرة سيء الخلان..هل يعي المنافقون هذا أم يعدونه محض هذيان؟.

أيا طالب التوفيق: اشهد مشهد الخيبة والأحزان الذي وقع فيه المنافقون:

وأَطَلَّ صاحب القلب المنيب بعد أن اطمأن قلبه المرتجف.. واستبشر بفوزه واجتيازه على الصراط.. أَطَلَّ على مشهد الخيبة والخسران.. مشهد المنافقين عندما يهتفون بالمؤمنين المنطلقين﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾(الحديد:13)..

يقول المنافقون الذين أُعطوا نوراً ثم أطفئ: انتظرونا نستضء من نوركم..

ويقول الذين لم يعطوا نوراً بالأصل: لا تذهبوا وانتظرونا..أمهلونا وأخرونا حتى نعطى نوراً أو نقتبس من نوركم.

يا لمشهد الخيبة والخسران، والذل والهوان.. بقي المنافقون في الظلمة لا يبصرون مواقع أقدامهم..وبدلاً من أن يلتمسوا نورهم من الله-جلَّ جلاله- قاموا يطلبونه من المؤمنين فقالوا:﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾(الحديد:13) فيكون الجواب قاطعاً للخطاب..محيراً لمن اتبع هواه وترك سبيل من أناب..﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾ (الحديد:13).

تصيح بهم الملائكة:﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾(الحديد: 13)..

ويصيح بهم المؤمنون:﴿قِيلَ ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ﴾(الحديد: 13) ارجعوا إلى الموضع الذي أخذنا منه النور فاطلبوا هنالك لأنفسكم نوراً، أما أنوارنا..فهي أعمالنا..بنيناها في دنيانا..وطلبنا رحمة الرحمن الرحيم قبلها وبعدها لأنفسنا..أيها المنافقون: ارجعوا وراءكم.

كبت ذلك الجواب ألسن الخطاب..وعاد بالأحزان على كل من بالمعاد استهزأ أو ارتاب..

قال لهم المؤمنون والملائكة: "هلا طلبتم النور من الدنيا بأن تؤمنوا" وتطيعوا، وتتبعوا سبيلنا.. هلا وفرتم لأنفسكم نوراً في وقت دنياكم لتجدوه هاهنا..

أما المؤمنون فوفروا لأنفسهم ذلك النور..

كم خرجوا لصلاة الفجر في ظلمة الليل ينتظرون مثوبة ربهم التي وعدهم بها النبي ﷺ في قوله: ((بشروا المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة))[1]..الله! الله! لطالما لهجت ألسنتهم..تُرَدِّدُ ذكر ربهم..يخرج النور من شفاههم: ((اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي بَصَرِي نُورًا، وَفِي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، ومن فَوْقِي نُورًا، ومن تَحْتِي نُورًا، وَمن أَمَامِي نُورًا، وَمن خَلْفِي نُورًا، وفي عَصَبِي نوراً، وَفِي لَحْمِي نوراً، وفي دَمِي نوراً، وَفِي شَعَرِي نوراً، وَفِي بَشَرِي نوراً، وَعَظِّمْ لِي نُورًا))[2].

فها هو ذا نورهم تامٌ لهم في هذا اليوم.. يوم القيامة..الله! الله!

لا تقف وأنت تقرأ هذا عاجزاً..**وارفع يديك طالباً خيراً ناجزاً: اللهم أعني على**

1- أبو داود 1/ 154.
2- البخاري 5/2327، مسلم 2/178.

ذكرك، وشكرك، وحسن عبادتك حتى يتم علينا نورك يا أرحم الراحمين.

صاح المؤمنون والملائكة بالمنافقين: ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً..فيا لها من وقفة الهلاك إن وقفوا.. ورجعة الهلاك إن رجعوا..

﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ﴾(الحديد:13) مما يلي المؤمنين حيث نور المؤمنين والجنة، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾﴾(الحديد) حيث ظلمة المنافقين وجهنم..اللهم إني نعوذ بك من موقف الخزي المبين..

تابع المشهد، وانظر الفوز الأحمد: عوامل الهلاك في الدنيا هي عوامل الهلاك في الآخرة:

عند ذاك ينادي المنافقون المؤمنين..يستجدونهم آخر استجداء:

﴿أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾(الحديد: 14) في الدنيا نصلي مثل ما تصلون، ونغزوا مثل ما تغزون، ونتصدق كما تتصدقون..ألم نكن معكم ونفعل مثل ما تفعلون؟ فلم بقينا وأنتم تعبرون..انتظرونا واشفعوا لنا أيها الفائزون..

اشهد الموقف المؤلم المخزي للمنافقين، والمؤمنون يبكتونهم على ما حدث منهم في الدنيا..فقد أجاب المؤمنون على المنافقين:

﴿بَلَىٰ﴾(الحديد:14) كنتم معنا..بلى قد كان ذلك منكم في الظاهر، كنتم معنا..

ولكن أحقاً كنتم معنا أم هو الخداع الذي تظنون أنكم به صرتم عباقرة؟.

بلى كنتم معنا. ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ﴾(الحديد: 14) حزتم بنصيبٍ وافر على عوامل الهلاك في الدنيا فأهلكتكم في الآخرة:

ف﴿فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ﴾(الحديد: 14) استعملتموها في الفتنة، وأهلكتموها بالنفاق، وبالمعاصي، وبالشهوات، واللذات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾(الحديد: 14) بالنبي ﷺ الموت، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ (الحديد:14) بالمؤمنين الدوائر، ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ (الحديد: 14) بالتوبة تظنون أنكم يمكن أن تنالوها في أي وقتٍ..حتى مضى عمركم بغيكم ولعبكم..

أيها المنافقون: لقد تربصتم ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾(الحديد: 14) فشككتم في التوحيد والنبوة والبعث والجزاء، ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِيُّ﴾(الحديد: 14) غرتكم الأباطيل وطول الأمل..

أيها البار القانت: كم هو موقف ممتعٌ لك ولإخوانك المؤمنين أن تبكت المنافقين الذين كانوا يضحكون منكم، وتقول لهم:

أيها المنافقون: لقد غركم ما كنتم تتمنونه من ضعف المؤمنين ونزول الدوائر بهم..

أيها المنافقون:﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾﴾(الحديد) خدعكم الشيطان بهذه الأماني الكاذبات والخيالات والفارغات..وغرتكم الدنيا بما كان لكم فيها من قوةٍ ونعمةٍ وتمكينٍ ونعمٍ سابغاتٍ..فظننتم أن ذلك يغني عنكم يوم القيامة، أو يبعد عنكم شبح العاديات..وغركم إتيانكم محارم الله ثم قولكم: ﴿سَيُغْفَرُ لَنَا﴾(الأعراف:169)..فهل هي إلا أمانٍ كاذبات..

هل تتذكر هنا أيها البار القانت: قول بلال بن سعد عن الغرور: "ذكرُك حسناتِك ونسيانك سيئاتِك غرة"..؟ كانوا يذكرون حسناتهم وينسون سيئاتهم..وذاك هو الغرور.

ولعلك حينها أيها البار القانت تقول لهم: كم كنا نقول لكم: "إن للباقي بالماضي معتبراً، وللآخر بالأول مزدجراً، والسعيد من لا يغتر بالطمع، ولا يركن إلى الخدع، ومن ذكر المنية نسي الأمنية، ومن أطال الأمل، نسي العمل، وغفل عن الأجل".. أيها المنافقون: كنا نقول لكم ذلك..ولكنكم قابلتم ذلك بالضحكات الظاهرة والمستترة..

عندها ختمتم خطابكم لهؤلاء الهلكى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ﴾ (الحديد:15) أيها المنافقون﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾(الحديد:15).. لا يقبل منكم بدلٌ ولا عوضٌ ولا نفسٌ أخرى.. ينبغي أن تيأسوا من النجاة..فإن﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾(الحديد:15) هي مقامكم ومنزلكم، و﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡ﴾(الحديد:15) أولى بكم من كل شيءٍ.. تتولى مصالحكم، وتملك أمركم، وتدبر شأنكم..بأيديكم طلبتموها..فيا خسارة من تملك النار أمره ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٥﴾ (الحديد)..

وهكذا نجوت من مزلة الصراط، وظلمة الطريق..ورأيت مصير المتمردين على الله، الساخرين من المؤمنين في الدنيا..بل تمتعت بنجاتك وتبكيتهم كما كانوا يستمتعون ويضحكون وهم يبكتونك في الدنيا..كنت تقول لهم حينها ﴿فَلۡيَضۡحَكُواْ قَلِيلٗا وَلۡيَبۡكُواْ كَثِيرٗا﴾(التوبة: 82).. فقد مضى وقت ضحكهم القليل.. وآن وقت بكائهم الكثير..فماذا تفعل إلا أن تحرك لسانك متعجلاً بذكر الله وحمده وتسبيحه: الحمد لله الذي هداني لهذا وفضلني على كثيرٍ من خلقه.

الفصل الثالث

على مشارف الجنة
واهاً.. لريح الجنة

المشهد الأول

إني أرى ما ليس عليه صبر..
يا قوم روِّحوا بنا إلى الجنة

الوصول إلى الجهة الأخرى: ألا تهنئون بعضكم بعضاً على النجاة:

خلص عباد الله الصالحون من النار، ووصلوا إلى الضفة الأخرى عبر جسرها المخيف وكان ممن نجا صاحب القلب المنيب..نجا وهو مندهشٌ فزعٌ مما تحته ومما أمامه..نجا وهو يرى الخلائق عن يمينه وشماله..فقومٌ يئنون.. وآخرون يزلون.. انظر هناك لترى مشهد الرعب: ترى قوماً يخطفون بالخطاطيف والكلاليب.. وآخرين ينتكسون على رؤوسهم.. وآخرين على وجوههم فتعلوا الأرجل.. العويل والبكاء من حواليك تسمع له تتابعاً ودوياً..الشهقات واللهثات..الرجاء والاستغاثات..ولكن لا مجيب ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾(الجاثية)..

ولما وصل الفائزون إلى الجهة الأخرى رأيتَ-بقول الله الصدق- كل واحدٍ منهم يقول فرحاً جذلاً..غير مصدقٍ لنجاته، شاعراً برحمة ربه: ((الحمد لله الذي نجانا منك بعد إذ رأيناك..)) إي والله الحمد لله..ثم يقولون عبارة السعداء الذين لم يكن أمامهم أهمُّ من النجاة مما رأوا..يقولون: ((فقد أعطانا الله ما لم يعط أحداً))..إي وربي لقد أعطاهم عطيةً عظيمةً ﴿فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾(آل عمران: 185).

وهكذا مضى الشاب الحبيب صاحب القلب المنيب ناجياً من أخطار النار..ناجياً من عذاب النار..ناجياً من جحيم النار..وآن الأوان للاستعداد للانطلاق إلى الجنة..ولم لا؟ والجنة قد أزلفت لكم أيها المتقون غير بعيد..

الرائحة الغريبة الزكية..والنفحة العطرية البهية:

ومن مكان غير بعيد شممت رائحة تتضوع مسكاً وتفوح...حتى تكاد القلوب من فرط الشوق لها ترتج وتنوح: إنها رائحة الجنة..ولم لا يجد المنيب رائحتها وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم: ((.. وَإِنَّ رِيحَ الْجَنَّةِ لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ مِائَةِ عَامٍ))، وهذا ربما يكون لنوع من الجنان، وإلا فنوع آخر يقول عنه صلى الله عليه ,وآله وسلم: ((مَنْ قَتَلَ مُعَاهَدًا فِي عَهْدِهِ لَمْ يَرَحْ رَائِحَةَ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسِ مِائَةِ عَامٍ)).

الجنة: رؤيتها عبر القرآن أسهرت الخُطَّاب..فكيف وها هي ذي قد تزينت أمامكم بغير حجاب..وانبعثت روائحها الزكية العاطرة تسلب الألباب..عندها أيها المنيب انطلقتم نحوها ولسان حال أحدكم: (إني لأرى أمراً ما لي عليه صبر..يا قوم روِّحوا بنا إلى الجنة)[1].

وفي انطلاقكم الحثيث نحو الجنة وهبتم جواز الدخول..وتأشيرة الوصول كأن الجواز مكتوبٌ عليه: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب من الله لفلان بن فلان أدخلوه جنةً عالية.. قطوفها دانية..

أيها المؤمن الأواب الحفيظ: هنيئاً.. هنيئاً..تُعطَى جوازاً على الصراط كأن أحرف الذهب والنور قد كُتِبَ بها: بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان أدخلوه جنة عالية.. قطوفها دانية[2]..

لقد استلمتم جواز الدخول، وجزتم صراط الأهوال..وآن وقت الوصال.. لمحبوبٍ طالما أضنى محبيه ذل السؤال..

1- قالها عبد الله بن غالب التابعي الجليل. انظر: حلية الأولياء 2 /257.

2- انظر: تفسير ابن كثير 4 /416، وانظر: العلل المتناهية 2/ 928، وقد رواه الطبراني مرفوعاً في الأوسط 3/ 224..أورده ابن القيم في نونيته وفي حادي الأرواح..كما أورده غير ما واحد من أهل العلم، وتفصيل تخريجه في زوائد تاريخ بغداد رقم649.. وإنما أوردناه على منهجية الكتاب إذ لم نعده حديثاً فألحقنا به لفظة (كأن) طلباً لمعناه إذ المعنى صحيح، كما لم نقوسه بقوسي الحديث..والجواز المذكور حاليٌ إن لم يكن مقالياً..وراجع منهجية كتابة هذه السلسلة المباركة في آخر الكتاب.

السابقون إلى الجنة..في ذلك –لا في غيره– فليتنافس المتنافسون:

على مرأى من الخلق أجمعين.. يتم توزيع الجوائز على الملأ، ويظهر نوعٌ من التكريم العظيم لمن يسبق إلى الجنة..إذ يحدد أسماء الأوائل السباقين إليها..ونزل إعلانٌ عام بهم..إنهم وبكل فخرٍ: أوائل الثلل التي تدخل الجنة:

وهكذا يتقدم الفائزون..يتقدم المفلحون أمام أبصار الناس وأسماعهم، فيا لذة فوزهم!..ويتشوف صاحب القلب المنيب أن يكون منهم..

أُعَلِّلُ قلبي في الغرام وأكتمُ ولكن حالي عن هواي يُتَرْجِمُ
وكنت خلياً لست أعرف ما الهوى فأصبحت صبَّاً والفؤاد مُتيَمُ
وسطرتها من دمع عيني لعلها بما حلَّ بي منكم إليكم تُتَرْجِمُ

فاستمع نماذج لنداء المنادي على أولئك الطاهرين في مشهد من الخلائق أجمعين:

فئة الحمادين:

تبدأ التهيئة المشوقة للفائزين ليستلموا جوائزهم، ويكرموا على رؤوس الأشهاد يوم القيامة ((فينادي مناد سيعلم أهل الجمع لمن الكرم اليوم)) ويكرر النداء ثلاث مرات..فيتشوف الذين أعدوا لهذا اليوم عدته..ويأملون، ويأملون.. عندها يقول: ((أين الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع))..استمع للشرف كله، والمجد كله، وقل معي: اللهم اجعلني منهم برحمتك وفضلك وبرك وجودك.. ويعد تكريمهم تنادى الثلة الأخرى:
((أين الذين كانوا لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والأبصار))..ويتم التكريم..يا للنعيم..أغرق خديك بالدموع وقل: اللهم اجعلني منهم..

ثم يجيء نداء مميز آخر فـ((ينادي مناد: سيعلم الجمع لمن الكرم اليوم ثم يقول: أين

الحمادون الذين كانوا يحمدون ربهم))[1]..

ف((أول من يدعى إلى الجنة الحمادون الذين يحمدون الله في السراء والضراء))[2].. **إنه المغنم الرابح..إنه المغنم الرابح أيها المبتلى في بدنه..إنه الفوز المحقق يا أيها المبتلى في جسده..يا أيها المبتلى بكثرة ماله وهو لذلك شاكر..يا أيها المبتلى بقلة ذات يده وهو مع ذلك صابر:** أي خيرٍ تحوزونه إن شكرتم الله وحمدتموه..أي تكريمٍ عظيمٍ يرفعكم أمام الخلائق في يوم الخزي والفضيحة إن رضيتم عن ربكم في قضائه وقدره..ولهجتم بحمده على كل حال..

أنتم أول الناس دخولاً الجنة فزيدوا في حمد ربكم حمداً، واشكروا نعمة الله عليكم.. رضيتم عن الله في قضائه فهاهو يرضيكم بنعمائه..

يا من آتاكم الله الأموال والأجساد والأولاد..اشكروا نعمة ربكم وزيدوا في حمده..فإذا تغيرت الأحوال حيث لا تستقر الدنيا على حال فزيدوا في حمده..

أيها الحمادون: أليس حسبكم أن يجعلكم الله أول من يستلم الجائزة الكبرى، والسلعة الغالية..فهنيئاً.. هنيئاً..

وما زال صاحب القلب المنيب يشهد كل ذلك ونفسه تهفو أن يكون ضمن فئةٍ من فئات السباقين إلى الجنة..

أيها الفقراء المستضعفون الحامدون الباذلون أبشروا فقد نجحتم في الابتلاء: أنتم

1- أول الحديث عند مسلم 1/ 209، وهذا اللفظ عند الحاكم 2/ 433، وصححه، ووافقه الذهبي.

2- الطبراني في الصغير 1/ 681، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: "رواه الطبراني في الثلاثة بأسانيد وفي أحدها قيس ابن الربيع وثقه شعبة والثوري وغيرهما وضعفه يحي القطان وغيره وبقية رجاله رجال الصحيح ورواه البزار بنحوه وإسناده حسن".

المُقَدَّمون السابقون[1]:

ونودي في الجمع العظيم بدخول فئةٍ الجنة قبل أن يبدأ الحساب..ونظر الخلق أجمعون..من هؤلاء المكرمون؟..من هؤلاء المشرَّفون بدخول الجنة أمام الخلق أجمعين؟..من هؤلاء الذين يسعدون بالخلاص من موقف الأهوال الشديد..والحر العتيد؟..

إنهم أول ثلةٍ يدخلون الجنة.. إنهم ((الفقراء المهاجرون الذين تتقى بهم المكاره)) لكثرة عبادتهم، وإخبات أنفسهم، وبذلهم أنفسهم، وزهدهم بما في أيدي الناس..والفقر ليس لأنهم أرادوه بل بذلوا أسباب الرزق..لكن لم يُكتب لهم كما كتب لغيرهم..

هؤلاء السابقون كانوا ((إذا أُمِروا سمعوا وأطاعوا، وإذا كانت للرجل منهم حاجةٌ إلى السلطان لم تقض له حتى يموت وهي في صدره)) الله! الله! إنهم المدفوعون بالأبواب، الذين لا يؤبه لهم لأنه لا جاه لهم ولا مال..لا وساطة ولا رجال..لكنهم يصبرون ويحمدون الله، ويقومون بأمره..

فالآن..الآن جاء دورهم ليسبقوا الناس، وقد كانوا يُسبَقون.

الآن جاء دورهم ليؤَخِّروا الناس بتقدمهم عليهم، وقد كانوا هم المؤخَرون، الآن يومهم.. وشتان بين يومٍ أُخِّروا فيه في الدنيا، وبين يومٍ يتأخر الناس عنهم فيه في الآخرة..

احتفال خاصٌ بهم:

وعندما يُنادى عليهم أمام الملأ يهيئ الله لهم احتفالاً خاصاً يشهده الجميع فـ((إن الله

1- حديث فقراء المهاجرين رواه أحمد2/ 168، والحاكم2/ 81، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي، وانظر مجمع الزوائد10/ 259، وقال المنذري في الترغيب والترهيب2/ 210: رواه الأصبهاني بإسناد حسن لكن متنه غريب.

عز وجل ليدعو الجنة يوم القيامة فتأتي بزخرفها وزينتها))، وعند ذاك يميزهم عن غيرهم بنداءٍ من جديد..ولكنه نداءٌ بالأوصاف..ليعرف قيمتها أهل الجمع يوم القيامة..

((فيقول: أين عبادي الذين قاتلوا في سبيلي، وقوتلوا وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي..)) فيتقدمون، فيقول الجبار لهم: ((ادخلوا الجنة))..

لا تدري أيهما ألذ: البشرى بدخول الجنة أم مناداة الله لهم على الملأ أجمعين، أم نسبة عبوديتهم إلى الخالق ((عبادي)) نسبة تشريفٍ وتقدير وتكريم؟.

عندها ((يدخلونها بغير حساب))..

ونشهد الآن مشهداً عجيباً إذ تتقدم فئةٌ أخرى من الخلق تغار منهم.. فمن ذا الذي يغار؟..انظر الآن من يحسدهم من يغبطهم على تقدمهم..من؟..إنهم الملائكة..

((وتأتي الملائكة فيسجدون فيقولون: ربنا نحن ملائكتك، وخزنتك، وسكان سمواتك لا تدخلهم الجنة قبلنا)).

تصور المشهد: تقول الملائكة الأطهار، الكرام الأبرار: نحن أكبر المخلوقات تأهيلاً أن ندخل الجنة قبل كل الخلق..ربنا! لا تدخل الجنة قبلنا أحداً.

لكن الله الجليل يبين لملائكته سبب جدارة هؤلاء، واستحقاقهم لدخول الجنة.. ((فيقول: عبادي لا يشركون بي شيئاً.. تتّقى بهم المكاره.. يموت أحدهم وحاجته في صدره لم يستطع لها قضاء))..

عندها تتساءل الملائكة عنهم بصورةٍ أكبر..وهم متلهفون..

فتقول: ((ربنا نحن نسبح بحمدك، ونقدس لك، من هؤلاء الذين آثرتهم علينا؟)) ولكن الله يقول القول الفصل ويحكم بالحق..في مشهدٍ عظيمٍ كم يود من حضر أن يدخل ضمن هذه الفئة التي يتكلم الملك الجليل الأعلى عنها مع ملائكته..**تابع المشهد..تابع وعاين بقلبك فإن العين غافلةٌ عن الحقيقة..**

((فيقول الرب عز وجل: هؤلاء عبادي الذين قوتلوا في سبيلي، وأوذوا في سبيلي))..

وهكذا سبقوا الناس..ويا لهفتاه.. أكان صاحبنا منهم..هاهنا المنافسة الحق.. ومنادي الحق ينادي ﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٨﴾(الجاثية)..

اندهاش خزنة الجنة من هذا الفوج السابق[1]:

تابع رحلتهم..تابع رحلتهم إلى الجنة لترى العجب:

((يأتون إلى باب الجنة ويستفتحون)) يستفتحون ليدخلوا الجنة..

((فتقول لهم الخزنة: أو قد حوسبتم؟))..

خزنة الجنة من الملائكة تندهش..كيف جاءوا بهذه السرعة؟ كيف غادروا موقف العرض والناس في أهواله؟ وهل حوسبوا وتم حسابهم..فيجيبون بهذه العبارة الرصينة العجيبة:

((قالوا: بأي شيءٍ نحاسب؟ وإنما كانت أسيافنا على عواتقنا في سبيل الله حتى متنا على ذلك؟))..

نعم بأي شيءٍ نحاسب..يا لله! بأي شيءٍ نحاسب..اللهم اغفر لنا خطأنا وشططنا وإسرافنا في أمرنا..فتكون النتيجة أن تبادر الملائكة بفتح أبواب الجنان لهم:

1- هذا الجزء من القصة رواه الحاكم 2/ 80، وصححه على شرطهما، ووافقه الذهبي.

((فيفتح لهم فيقيلون فيها أربعين عاماً قبل أن يدخلها الناس)) عند ذلك ترى الملائكة تفتح لهم وتدخل عليهم! إي وربي تدخل عليهم من كل باب محييةً.. مسلمةً.. مرحبةً.. مهنئةً ﴿يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ٢٣﴾(الرعد).. يحيونهم بالتحية الخالدة العطرة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾(الرعد).

ورأيت في أوائلهم وأرفعهم رجلاً فقيراً جمع بين الفقر والنية الحسنة؛ إذ كان يود لو أن له كنوز الأرض ينفقها في سبيل الله **فأخذ أجر الفقير الصابر بفعله، والغني الشاكر بنيته**..يا رفعة الفائزين..طوبى.. طوبى..ويا ندامة المستأخرين الخاسرين.

حبيبٌ من أهل الجنة سبق.. يخاطب حبيبه: أي أخي ما حبسك؟[1]

أيا محب الجنة وحبيبها: وفيما بعد علمتم معاشر السعداء بوقوع قصةٍ عجيبةٍ لاثنين من المؤمنين على مشارف أبواب الجنة..إذ ((التقى مؤمنان على باب الجنة: مؤمنٌ غنيٌ، ومؤمنٌ فقيرٌ كانا في الدنيا)) فأسرعت يد الصبر بالمؤمن الفقير..حتى أدخلته الجنة، وأخرت موازين الحساب صاحبه فـ((حبس الغني ما شاء الله أن يحبس)) للحساب.. فإن كلاً بحسبه..ومنادي الحق ينادي: ﴿لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡ﴾(المائدة: 48)..ولما انفض الحساب عن الغني بنجاته ((أُدْخِلَ الجنة)).. ثم التقى الخليلان الصاحبان في الجنة الغني والفقير، فسأل الفقير صاحبه بلهفةٍ وحبٍ وشوقٍ وقلقٍ:

((أي أخي ماذا حبسك؟)) ما الذي أخر دخولك؟ ((والله لقد احتبستَ حتى خفت عليك)) قلقت عليك وأنت صاحبي على درب الإيمان..

رد عليه صاحبه الغني بحبٍ وفرحٍ:

((أي أخي إني حُبِسْتُ بعدك محبساً فظيعاً كريهاً..ما وصلت إليك حتى سال مني

1- القصة رواها أحمد1/ 304، وانظر مجمع الزوائد 10/ 263، وقال في الترغيب والترهيب 4/ 65: رواه أحمد بإسناد جيد قوي.

العرق ما لو ورده ألف بعيرٍ كلها آكلة حمضٍ لصدرت عنه رواء))[1] فقد حوسبت على مثقال الذر من مالي: كيف اكتسبته وفيما أنفقته..حتى أغاثني الله برحمته.

الثلة الأولى: لا حساب عليهم أصلاً فماذا ينتظرون؟ ها هو ذا طريق أبواب الجنة قد لاح..هلموا فخذوا منها واحداً:

ولو ترى هناك الثلة الأولى وهي تنطلق إلى أبواب الجنة قبل الناس كلهم..ينطلقون؛ إذ لماذا ينتظرون..بل ماذا ينتظرون..وهم لا حساب عليهم..لا حساب عليهم.. فهل للنفس المتلهفة التي شرفها الله أن تتأخر عن الجنة.. ترى الناس ينثالون على النبي ﷺ ليشفع لهم فيحاسبوا ويقضى بينهم، وليسمح لهم بدخول الجنة..وبعد رحلة العناء لوساطة الأنبياء..يأتون سيد الأصفياء محمداً ﷺ ((يأتون محمداً ﷺ فيقولون: يا محمد! أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر. اشفع لنا إلى ربك ألا ترى إلى ما نحن فيه..فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجداً لربي عز وجل، ثم يفتح الله عليَّ من محامده وحسن الثناء عليه شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد! ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع. فأرفع رأسي: فأقول أمتي يا رب.. أمتي يا رب فيقال: يا محمد أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب))[2] فيدخل الذين لا حساب عليهم ((وهم زمرةٌ من أمة محمد ﷺ .. هم سبعون ألفاً بغير حساب))، ورأيت فيهم الصحابي الجليل ذا الهمة العالية: عكاشة بن محصن (رضي الله عنه).

وتنطلق فئة المقدَّمَين ممن لا حساب عليهم..تنطلق قبل الناس كلهم..يقولون للخزنة: على أي شيءٍ نحاسب؟..

1- الحمض ما كان مرًا من النبات.
2- البخاري 4/ 1746.

يا لهفة عبدٍ وهو يراهم مكرمين..يراهم قبل الناس منعمين..يا لهفة ابن عبدٍ وهو يراهم مقدمين..كانوا للطاعات سابقين، وفي فعل الخيرات متنافسين..فحازوا ما قصر فيه كل العالمين.

ولكن لعلك – أيا طالب الجنة – تتعجل الأمر كيف صورهم؟ ما هي هيئاتهم؟ ألا تصفهم لنا فتروي الظمآن، وتملأ العطشان؟ فانظر إليهم: إنهم ((أول زمرةٍ تلج الجنة..صورهم في صورة القمر ليلة البدر)) و((تضيء وجوههم إضاءة القمر ليلة البدر))..زدْ فأمعِنْ النظر فيهم: ((«أخلاقهم على خلقِ رجلٍ واحدٍ.. على صورة أبيهم آدم ستون ذراعاً في السماء» لا يبصقون فيها، ولا يتمخطون فيها، ولا يتغوطون فيها: آنيتهم وأمشاطهم الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورَشَحُهم المسك، ولكل واحدٍ منهم زوجتان: يرى مخ ساقهما من وراء اللحم من الحسن.. لا اختلاف بينهم، ولا تباغض، قلوبهم على قلبٍ واحدٍ.. يسبحون الله تعالى بكرة وعشيا))[1]..

هذا الخبر فكيف العيان..وهذا الوصف فكيف المشاهدة والبيان..ألا تسرج مشعل العزيمة أيها التائه المقصر في دنيا الوهن..المستلذ بما يعتريك من نومٍ ووسن..

نداء الحب، وهتافات التهاني..تُرف للسابقين..أأنت أيا صاحب القلب المنيب منهم؟

ونادى منادي الحق مبيناً التقسيم التام للسعداء وللأشقياء.. يا لتعاسة الأشقياء: ﴿فَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ ۝٨ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ ۝٩ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠﴾(الواقعة: 8 - 10).

يا رفعة التوفيق للإنسان..لقد انقسم السعداء إلى فريقين: أصحاب يمينٍ، وسابقون..ولأن نفسك تهفو إلى الملأ الأعلى، والقسم الأرفع، والمكان الأسمى..فقد نظرت إلى الثناء

1- البخاري 3/ 1185، والزيادة عند مسلم 4/ 2179.

على السابقين راجياً أن تكون منهم فسمعت الثناء الفوري عليهم، ورأيت بعضاً منهم..

يا أطياف الذكرى..املأي قلبي بنور الحق..وتراءت لك منازل السابقين..ونداء الحق يهتف ثناء عليهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ۝١٠ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾(الواقعة: 10، 11)..

لكأنك تسمع الهتافات احتفاءً بهم:

أيها السابقون: لقد بلغ حالكم منتهى الفضل والرفعة المبينة.. حتى لا يوجد وصفٌ يصفكم..فألسنة الواصفين عن بيان عظيم فوزكم مستكينة..

أيها السابقون: لقد بلغتم أقصى ما يطلبه الطالبون، وبذلتم أعظم ما يبذله المحبون، وارتفعتم إلى أوج الدرجات التي يتنافس فيها المتنافسون..فماذا تريدون..ماذا تريدون..وأنتم اليوم..أنتم السابقون.

أيها السابقون: أنتم السابقون في الدنيا إلى الإيمان..أنتم السابقون في الدنيا إلى مقاومة الهوى وفعل الإحسان..فأنتم السابقون اليوم إلى الجنان.

لربما تساءل الجمع: من هم السابقون؟ فجاء جواب الرفع: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ۝١١﴾(الواقعة)

أيها السابقون: ألم تكونوا في الدنيا تبذلون المهج لتكونوا من المقربين..كم حرك مهجكم قول ربكم ((وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه)) فاليوم يوم الجزاء فأنتم اليوم..أنتم المقربون..ألم يعدكم ربكم: ((ولئن سألني لأعطينه)) فسلوا ما بدا لكم..فهل لكم عندنا إلا الوفاء جزاءً بما كنتم تعملون..**وها هنا تسكب عبرات المشتاقين:**

ففاضت دموعي عند ذاك وربما تشهـر بالدمـع السرار المكتـم

نداء الكبير المتعال: أذهبَ الحزن، وأزاحَ الوهن، وأراح الفؤاد :

ومع الأهوال المتتابعة التي نجا منها صاحب القلب المنيب مرةً بعد مرة: سمع مع سائر الأبرار نداءً لا مثيل له ولا شبيه ملأ القلب بالغبطة والسرور، وأزاح ما اعترى النفس من الخوف والحزن والثبور..سمعه يناديه وصحبه المخبتين ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨﴾ (الزخرف).

لربما تشوف بعض عباده –عزَّ جاره– من المعاندين.. في دار ابتلاء العالمين..تشوفوا لما سمعوا كلمة ((يا عبادي)) فظنوا أنهم يمكن أن يدخلوا فيها.. فالكل عباد الله..وانظر إليهم..انظر إلى الناس وهم يُنادَون هذا النداء في ذلك اليوم العظيم..يوم الأهوال المتلاحقة..﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨﴾(الزخرف).. فيطمع فيها من ليس من أهلها.. ويرجوها الناس كلهم..وربما تساءلوا : من العباد المقصودون بذلك يا رب؟ من العباد الفائزون؟ فالمؤمن ينبغي أن يتأكد من أنه المقصود، والكافر يرجو ويتمنى.. وأمام الأسئلة المتلهفة يتتابع النداء الرباني الذي يشرح الصدور، ويملأ القلوب بالغبطة والسرور..حتى يسمعوا نداء المنادي ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩﴾(الزخرف).. هم ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩﴾(الزخرف) ..إنهم الذين صدقوا بكتاب الله ورسله وكانوا قانتين.. وعملوا بما جاءتهم به رسلهم وكانوا مسلمين.. كانوا أهل خضوعٍ لله بقلوبهم وقبولٍ منهم لما جاءتهم به رسلهم عن ربهم..فنعم سعي الفائزين[1].

فييأس منها عند ذلك من ألهتهم الحياة الدنيا وكانوا من الغافلين[2]..وهتافات الحقيقة تكشف عوج الطريقة..وتعلق التعليق المحزن الصارم: ﴿إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾(الزمر: 15).

..نعم..فمنادي الحق قَطَّع آمالهم، كما أُحْبِطَت أعمالهم..عندما نادى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩﴾(الزخرف) فوقعت حسرة المتحسرين، وزادت خيبة النادمين..

1- انظر: الطبري 25/ 95.
2- انظر: الطبري 25/ 95.

وارتفعت أعلام الموقنين، وظهرت كرامة المفلحين..فيا شوقاً لذاك المقام..تصور الحدث.. واهتف معي غير مترددٍ: اللهم فاجعلني في ذلك اليوم من أفضل عبادك الفائزين.

ولقد صار نداء الحق ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ ٦٩﴾(الزخرف) لحناً شجياً يطرب له المسلمون، ونداء أمانٍ يفرح به المفلحون.. ويتنعم بسماعه، وبتكراره، وبظهوره، وبارتفاعه المخلصون..

في طريق الشوق إلى الجنة.. تحيةٌ وتثبيتٌ من أهل الأعراف:

ومضى صاحب القلب المنيب مع موكب النور والفلاح..مضى مع موكب المفلحين نحو الجنة-دار النجاح-..وفي الطريق بين الجنة والنار رأى حجاباً حاجزاً بين دار المتقين ودار الفجار.. رأى السور العظيم الفاصل بين الجنة والنار.. ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ (الحديد: 13) حيث يوجد صاحب القلب المنيب وصحبه الطاهرين أولو النعمة، ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ ١٣﴾ (الحديد) حيث أهل النار من كل كافرٍ ومنافقٍ دعيٍ كذَّاب...

ونظر إلى السور فكان كثيفاً عظيماً يمنع وصول أثر إحدى الفئتين إلى الأخرى..كما رأيت أعرافه وهي شرفه المِشْرِفَةُ التي تطل على الجهتين من الجنة والنار..لترى نعيم المتقين وثبور أهل دار البوار..

وهناك رأى رجالاً ماكثين في الأعراف..لا هم في الجنة ولا هم في النار..ينتظرون أن ينتهي حشر الناس من خاسرين ومفلحين أبرار..

تتبعَ أخبارهم ليسأل عن حالهم..وعرف شأنهم.. فعلم أنهم "رجالٌ من أهل الجنة يتأخر دخولهم الجنة..هم قومٌ تجاوزت بهم حسناتهم النار، وقصرت بهم سيئاتهم عن الجنة.. فهم مؤَخَرُون ينظرون إلى كلا الفريقين.. وهم يدخلون منازلهم..والمشهد يوحي بتدفق الدموع..وهيجان قلبٍ ولوع..متى ينالهم الأمر الإلهي، وتشملهم الرحمة الربانية بالدخول إلى

دار السلام.. فبينما هم كذلك في ترقبهم وخفقان قلوبهم إذ اطلع عليهم الرحمن الرحيم.. فأمرهم بألذ أمرٍ مرَّ عليهم فقال: قوموا ادخلوا الجنة فإني قد غفرت لكم.

ولأنهم في الأعراف يُطِلّون على كلا الفريقين.. فهم ﴿يَعۡرِفُونَ كُلَّۢا﴾(الأعراف: 46) من المؤمنين والكفار ﴿بِسِيمَىٰهُمۡ﴾(الأعراف:46).. فيعرفون المؤمنين بعلاماتهم من بياض الوجوه وحسنها.. ويعرفون الكفار بعلاماتهم من سواد الوجوه وقبحها..

عندها يقبلون على المؤمنين آملين فيبشرونهم بالجنة قبل دخولها..فيطمعون فيها، وإذا رأوا أهل النار دعوا لأنفسهم بالسلامة من العذاب..ومن مجانبة أهل الشقاق والارتياب..

ونظر صاحب القلب المنيب فرأى أهل الأعراف يلتفتون إلى جهتين مختلفتين، ويُكَلِّمون فريقين متضادين:

فيلتفتون إلى أصحاب الجنة: وينادونهم من محبتهم لهم حباً وَوَلَهاً وتبشيراً وزيادة في التنعيم، فيقولون لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾(الأعراف: 46).. وأهل الجنة لم يدخلوا الجنة بعد.. وهم يطمعون في دخولها..

ومن تلهف أصحاب الأعراف على الدخول مع الداخلين إلى الجنة..يسلمون على المؤمنين عند دخولهم الجنة..أما هم فـ﴿لَمۡ يَدۡخُلُوهَا وَهُمۡ يَطۡمَعُونَ ٤٦﴾(الأعراف) ..هم يطمعون في دخولها مع الداخلين.

ومن حسن أهل الجنة لا تكاد أبصار أصحاب الأعراف تنصرف عنهم، ولكن يخافون من مصير أهل النار ﴿وَإِذَا صُرِفَتۡ أَبۡصَٰرُهُمۡ تِلۡقَآءَ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾(الأعراف: 47) يدعون ربهم بصوتٍ يسمعه أهل النار **تقريعاً وتبكيتاً وزيادة في العذاب:** ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا مَعَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٧﴾

(الأعراف) فسألوا الله ألا يجعلهم مع أهل النار الذين ظلموا أنفسهم، وذلك على سبيل الدعاء والتلذذ في مناجاة الله.. أيا صاحب القلب المنيب: اسمعهم وتنعم بما آل إليه حالك وأنت تتجه نحو جنة ربك..

من النعيم..تبكيت الخلق للمستكبرين، والثناء على الفائزين:

ثم التفت إلى مشهدٍ مثيرٍ لك.. حدث لأهل الأعراف مع فرقةٍ عرفتها بسيماها..إذ زاد عذاب الفجار بتقريع الخلق لهم.. ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٗا يَعۡرِفُونَهُم بِسِيمَىٰهُمۡ﴾ (الأعراف: 48) فبكتوهم، وعَنَّفوهم جزاءً وفاقاً كما كان هؤلاء الظالمون يُعَنِّفون المؤمنين من قبل..اسمع ما قاله لهم أصحاب الأعراف:

﴿قَالُواْ مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨﴾(الأعراف).. ما أغنى عنكم جمعكم للدنيا، واستكباركم عن الإيمان..أأغنت عنكم حشودكم.. حاشيتكم..تغطرسكم عن سماع نداء الحق، وأوامر القرآن..لا..لا فـ﴿مَآ أَغۡنَىٰ عَنكُمۡ جَمۡعُكُمۡ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ ٤٨﴾(الأعراف)..

قال لهم أصحاب الأعراف: ﴿أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمۡتُمۡ لَا يَنَالُهُمُ ٱللَّهُ بِرَحۡمَةٍۚ﴾(الأعراف:49)..والتفت صاحب القلب المنيب ليرى إلى من يشير أصحاب الأعراف.. فرآهم يشيرون إلى المستضعفين والفقراء من المؤمنين الذين سبقوا الخلق بالتنعم في الجنان..

آه! كم كان المستكبرون يزعمون أن الله لو أرسل خيراً..لو كان الدين خيراً..لو كان الإيمان خيراً لما تسابق إليه الضعفاء.. تَذَكر ذلك فالدنيا أمامك: كم أقسم المستكبرون في الدنيا أن الله لا ينال هؤلاء الفقراء المستضعفين برحمة..ويقولون: لو كانت هناك رحمة من الله لكنا أحق بها لأننا أُعطينا وفُضلنا وأوتينا..﴿وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلۡكَذِبَ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ٧٥﴾(آل عمران).

يا للتوبيخ: أهل الأعراف يُذَكِّرون هؤلاء المستكبرين باستكبارهم وضحكهم وقهقهاتهم على الفقراء..أفأغنى عنهم ذلك من الحق شيئاً؟ أنفعهم ذلك في يوم الحقيقة؟ ورأيت أهل النار يوبَخون فيزدادون غماً وحسرة..

ثم يلتفت أصحاب الأعراف إلى أولئك الفقراء المستضعفين في الدنيا – أكان صاحب القلب المنيب معهم ليزداد فخراً وحبوراً– فيقولون لهم مباركةً وتهنئة: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾(الأعراف)..وهنا – وبعد مدةٍ يعلمها الله– يقال لأهل الأعراف الطامعين في دخول الجنة أيضاً: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ لَا خَوۡفٌ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٤٩﴾(الأعراف)[1]..

أيها المخبت الأواب: إني أراك تنظر إلى هذا المشهد، وترى ما رزقك الله من الشرف والكرامة..فلا تملك إلا الحمد ابتهالاً وشكراً وامتناناً..

أخي الحبيب: انظر ذلك بعين البصيرة ثم اهتف معي رغباً ورغباً: اللهم اعطني من الخير فوق ما أرجو، واصرف عني من السوء فوق ما أحذر.. اللهم علق قلبي برجائك، واقطع رجائي عمن سواك. إلهي ومولاي: اللهم إنك تعلم عيوبنا فاسترها، وتعلم حاجاتنا فاقضها.. كفى بك ولياً وكفى بك نصيراً يا رب العالمين.

1- جمعاً بين التفسيرين.

المشهد الثاني

على مشارف الجنة
التهيئة للدخول

التهيئة النفسية لدخول الجنة: على صراطٍ ثان.. جسرٍ آخر..لكن اطمئن:

ها هي ذي أعلام الجنة لاحت..فلتهيأ الأجساد والأرواح لها..فبعد أن يتجاوزوا الصراط..انطلق صاحب القلب المنيب يُيَمِّمُ وجهه قبل الجنة.. وفرحة الخلاص بتجاوز الصراط.. والفوز في اختبار الدنيا..لا تكاد توصف.. وهو الآن يجتاز طريق النجاح بسعادةٍ وفخرٍ وشوقٍ ولهفةٍ.. فإذا به مع صحبه من أهل الجنة يفاجأون بقنطرةٍ جديدة..إنه صراطٌ جديد.. ولكن ماذا يعني ذلك..هل يعني هذا أنه مطلوبون لحسابٍ جديد؟ ولربما بدأ يستعرض شريط حياته الدنيا من جديد لينظر في غدراته، وفجراته، وتقصيراته..لينظر في كل غدواته وروحاته.. عسى أن ألا يجد فيها ما يجعله معرَّضاً للزلل في هذا الصراط الجديد..ولكن مهلاً فهذا الصراط يختلف في شكله وهيئته عن الأول..فإن الأول أكثر إخافةً في دقته.. أكثر رعباً في حدته..واجتمع المؤمنون بعد أن خلصوا من النار عند هذا الصراط الجديد وحبسوا فيه.. ((حبسوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار))[1].. فلماذا؟

وأتاهم القول الحق..والنبأ اليقين، وبدأ الخوف يدب في أوصال بعضهم.. إذ هذا صراط القصاص من المظالم البينية ((مظالم المؤمنين بينهم))..ربما بكى بعضهم يا لهفتاه..كم ظلمنا بعضنا؟ كم تكلمنا غيبةً في بعضنا؟ كم اغتبنا وجرَحنا وجَرَّحنا واجترحنا؟ فهل معنى ذلك أننا سنهوي في هذه العقبة بعد إذ نجانا الله من أكبر منها؟..

1- حديث هذه القنطرة عند البخاري 2/ 861 وغيره.

لربما لاحت لهم صورةٌ مخيفةٌ شاهدوها عن بعض الناس في موقف الحشر، وتردى أصحابها في النار عند صراط جهنم: إذ جيء برجل عُرف بالمفلس، وقد جاء هذا الرجل بعملٍ صالحٍ كثيرٍ بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة، وكان من أمة محمد ﷺ .. وبينما هو يرى عمله الصالح مستبشراً تبددت حسناته فجأةً..لماذا؟ لأنه ((يأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا)) وهكذا كان جرمه في حق الناس..وكانت النتيجة الرهيبة أن هذا ((يعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار))[1]..

لربما ارتعد صاحب القلب المنيب: فهل الأمر في هذه العقبة كذلك القرار؟.. تابع المشهد وانظر حالتك في الدنيا، وسل الله الغفران:

يبدأون في هذه القنطرة ((فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا))..ولكن الله–جلَّ جلاله– يصلح بين المسلمين الذين قد اجتازوا المراحل السابقة الخطرة كرامةً لهم..

ومن نماذج الإصلاح لنفوسهم نموذجٌ صوره النبي ﷺ كأننا نحضره:

فلنحضرها الآن أمامنا عياناً فقد جاء ((رجلان من أمة النبي ﷺ جثيا بين يدي رب العزة فقال: أحدهما يا رب خذ لي مظلمتي من أخي. فقال الله تبارك وتعالى للطالب: فكيف تصنع بأخيك ولم يبق من حسناته شيء؟ قال: يا رب فليحمل من أوزاري)) لقد فاضت عينا رسول الل ﷺ بالبكاء حين حكى مثل هذا الموقف لما رأى إلى حاجة الناس لمن يحمل عنهم أوزارهم ثم قال: ((إن ذاك اليوم عظيمٌ يحتاج الناس أن يُحْمَلُ عنهم من أوزارهم)) فقال الله تعالى للطالب: ((ارفع بصرك فانظر في الجنان)) فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من ذهب، وقصوراً من ذهبٍ مكللةٍ باللؤلؤ)) ثم تلهف وتعجب ونادى متشوفاً: لأي نبي هذا؟ لأي صديقٍ هذا؟ لأي شهيدٍ هذا؟ فقال له ربه: ((هذا لمن أعطى الثمن)) قال: ((يا رب ومن يملك ذلك؟)) قال: أنت تملكه. قال: بماذا؟ قال: ((بعفوك عن أخيك)) قال: ((يا

1- مسلم 4/ 1997.

رب فإني قد عفوت عنه)) قال الله عز وجل: ((فخذ بيد أخيك فأدخله الجنة))[1]..وهكذا أصلح الله بين المسلمين، ونقَّاهم مما حدث بينهم من شوائب وأوزار..فليحذر الذين يتتبعون عورات المسلمين.. ويبغون إخوانهم ظلماً وعلواً وعدواناً...

ويظل القصاص بينهم حتى يدخلوا الجنة خالين من كل غلٍ.. مُنَزَهين من كل مظلمة.. مطهرين من كل وزرٍ..طابت أنفسهم وطُيِّبت..وعندها ينزع الله ما في قلوبهم من غلٍ..من حسدٍ وبغض..ومنادي الحق ينادي: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا﴾(الحجر: 47)..أجل: إخواناً كم يهفو المرء ليومٍ يسمع فيه هذه الكلمة صادقةً نقيةً..وبذلك تأهلوا لدخول الجنة نفسياً وروحياً..

يا خاطب الجنة: نعمة نزع الغل من أعظم النعم التي تُهدى لك في آخرتك:

إذ لكم طال عناؤك في معالجة نفسك في الدنيا عسى أن ينزع الله عنها الجانب المظلم الذي رُكِّبَ كغريزةٍ فيها للابتلاء..

لكم دعوت لنفسك حينها: ((اللهم آت نفسي تقواها، زَكِّها أنت خير من زكاها، أنت وليها ومولاها))[2]..

لكم كنت تدعو ((اللهم اسلل سخيمة قلبي))[3]..ولكن النوازع تظل لاصقةً بالإنسان في الدنيا ابتلاءً واختباراً لا تنفك عنه ليعلم الله أيتمكن الإنسان من ضبط نفسه أم لا..

أما الآن..أما الآن فمن أعظم النعم التي تتقلب فيها أن الله يسل سخيمة صدرك

1- لما خرجه ابن كثير في التفسير 2/ 286 قال عنه: "ولنذكر ها هنا حديثا أورده الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي رحمه الله في مسنده" ونحن ذكرناه تبعاً لذلك.
2- مسلم 4/ 2088.
3- الترمذي 5/ 554، وقال: حسن صحيح.

كاملةً.. وانظر إلى أهل الجنة وقد رُسمت هذه الصورة لهم..حينما تطل عليهم لتراهم وقد نزع الله ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ﴾(الأعراف: 43) فإن مما "ينعم الله به على أهل الجنة نزع الغل من صدورهم، والنزع الاستخراج، والغل الحقد الكامن في الصدر..-فقد- أذهبنا في الجنة ما كان في قلوبهم من الغل في الدنيا"[1]..

((حتى إذا نقوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة)).. وعندها تناديهم الملائكة ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ﴾(الزمر: 73)..طابوا..أجل..طابوا.. فإنهم ((إذا قطعوا جسر جهنم حبسوا على قنطرةٍ بين الجنة والنار.. فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا.. حتى إذا هذبوا وطيبوا قال لهم رضوان وأصحابه: سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين)) وهكذا تطيبوا وطُيِّبوا من أرجاس المظالم في الدنيا..وهم في الطريق إلى جنة ربهم يطيبون طيباً بعد طيب..فها هنا طُيِّبَتْ أرواحهم.. **وبعد قليلٍ ستطيب أجسادهم فنادهم في مكانهم:**

إليكم الأشواق أُشرِعَتْ..لمجلسكم الدموع تتابعت..لموكبكم النفوس تشوفت..لنوركم أنوار القلوب أُسْرِجَتْ..لحياتكم الأرواح هفت وتشوقت..أيا أهل الجنة..فمتى لقاء الصدق؟ متى؟.

هاهي الجنة قد أُزلفت غير بعيدٍ..أتستطيع أن تُفصِح عن مشاعرك؟

أيها الأبرار..أيها المتقون: لقد وقاكم الله شر يوم التلاقي.. جاء يوم الصدق الذي تعبس فيه الوجوه حتى يسيل منها عرقٌ كالقطران[2]..يومئذٍ ليس لأحدٍ من الله من واقٍ..زادكم في ذلك اليوم فلقاكم ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ۝١١﴾(الإنسان)..فانظر لإشراقٍ بعد إشراقٍ.

وهناك أيا عاشق الجنة: هل تستطيع أن تملك زمام الفرح في صدرك وعلى وجهك..

1- تفسير القرطبي 7/ 208.
2- كما يقول ابن عباس. انظر: تفسير القرطبي 19/ 135.

لقَّاكم الله نضرة وسروراً.. ألا تنظرون..ألا تنظرون إلى أنفسكم حين لقيتم ربكم فقد آتاكم وأعطاكم نضرةً وحسناً وسروراً وبشراً وحبوراً..

ولكن أهو مجرد بهاءٍ ونضرةٍ في الوجه لا يعكس ما داخل الصدر؟ كلا! بل أعطاك سروراً حقيقياً في قلبك، وحبوراً طيباً في صدرك[1]..

ها هي ذي أبواب الجنة لكأنك تنظر إليها وقد كُتِبَ عليها ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾﴾ (الإنسان)..

انطلقت نحوها لكأنك تهتف بهتاف جعفر الطيار:

يا حبذا الجنة واقترابها طيبةٌ وباردٌ شرابها

كأنك انطلقت نحو أبوابها..تهتف دامعاً..ولكن دمعة الفرح:

خذني إلى بيتي..أرِحْ خدي على عتباته

وأُقبِّل مقبض بابهِ

خذني إلى وطنٍ أموتُ مشرداً

إن لم أُكحلْ ناظري بترابه[2]

هناك انبعثت الذكريات، واغرورقت الوجنات، بالدموع السافحات..

أيها المنيب: كم صبرت على المصائب..حتى أحببت لعظيم الأجر الشدائد والنوائب.. فإليك الجزاء العظيم على تلك المناقب.. فجزاك بما صبرت جنة وحريراً..وحماية لك من الآلام وأجراً كبيراً.

1- قاله الحسن ومجاهد، وابن زيد وغيرهم على تفصيل. انظر: تفسير القرطبي 19/ 136.
2- انظر: صلاح الأمة 5/ 683.

أيها المنيب: كم حبست نفسك عن لبس الحرير..استجابةً لأمر العلي الكبير..كم صبرت على سخرية أهل الدنيا منك رغبةً فيما عند العزيز الغفور..فجزاك على ذلك جنة وحريراً..وحفظاً لك في يوم الأهوال وحباً كبيراً.

وفد الرحمن المظفر ينطلق نحو الجنة لا حائل إلا مسافة الطريق فكيف اللقاء:

وسار الموكب المبارك يُيَمِّم وجهه تلقاء الجنة، وصاحب القلب المنيب يسير معهم مُكَرَّماً مرفوع الهامة استبشاراً بالفوز والفلاح، مطاطئ الرأس تواضعاً لله، وشكراً على نعمه..نعم ساروا..

فيا أيها الكون أخبت في محراب مجد المتقين فقد ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًا﴾ (الزمر: 73)..

انظر إليهم يتحركون معاً.. يساق الذين اتقوا ربهم من الأنبياء والصديقين والشهداء والصالحين.. وممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته..فيا فوز الطائعين...

يساقون وقد اكتسبوا صفة السعداء المؤمنين.. يساقون على النجائب وفداً إلى الجنة جماعةً بعد جماعة: جماعات المقربين السابقين ثم جماعات الأبرار من أصحاب اليمين..كل طائفةٍ مع من يناسبهم: الأنبياء مع الأنبياء، والصديقون مع أشكالهم، والشهداء مع أضرابهم، والعلماء مع أقرانهم، وكل صنفٍ مع صنفه..كل زمرةٍ تناسب بعضها بعضاً..فانظر إليهم بعين الابتهاج والسرور؛ إذ أنت ترجو أن تشاركهم في مسيرة السلام المتجهة إلى دار السلام، وموكب الفوز المتجه إلى دار الرضوان[1]..

وفرقٌ بين سَوْقٍ وسَوْقٍ في ذلك اليوم العظيم: فإن سَوْقَ أهل النار يتم بطردهم إليها

1- انظر: تفسير ابن كثير 4/ 66.

بالخزي والهوان، واللوم والتقريع والتبكيت والخذلان.. كما يفعل بالأسارى.. إذا سيقوا إلى حبسٍ أو قتلٍ، أو تبكيتٍ فيه كل الهوان..

أما سوق أهل الجنان فهو سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان..لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يُشَرَّفُ ويُكَرَّم من الوافدين على بعض الملوك فشتان ما بين السوقين..نعم يحشر الله المتقين إليه وهو الرحمن..يحشرهم إليه وفداً مكرمين..حتى قال علي – رضي الله عنه – في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾(مريم): (أما والله ما يحشر الوفد على أرجلهم.. ولا يساقون سوقاً.. ولكن يؤتون بنوقٍ لم تر الخلائق مثلها.. عليها رحال الذهب، وأزمتها الزبرجد.. فيركبون عليها حتى يضربوا (يقرعوا) أبواب الجنة)[1]..إنها المراكب الفخمة..وإنما قال نوق تقريباً للمعنى..وفرقٌ بين نوقٍ ونوقٍ.

فانظر إليهم: وركائبهم تسرع بهم إسراعاً إلى دار الكرامة كما يفعل في العادة بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك.

تصور صاحب القلب المنيب..المخبت السابق القريب: وقد استوى على مركبته المزهرة.. وهي تنقله إلى دار النعيم..ثم تأمل ذلك والملائكة تحيط به من كل جانبٍ تكريماً وتشريفاً وصيانةً وعزاً..بتواضعه في الدنيا رُفِعَ في الآخرة، ومن رام الاستكبار والعلو في الدنيا وُضِعَ في الآخرة..لا يجتمعان في قلبٍ مخبتٍ للرحمن.

على مشارف أبواب الجنة:

والموكب يقترب من الجنة..اتضحت فإذا لها أبوابٌ متعددة تبلغ ثمانية أبواب[1] ..ولربما تساءلت: من أي بابٍ سيدخل المقدمون؟ وسمعتَ نداء التكريم: أين أنتم أيها

1- الطبري في تفسيره 16/ 127.
2- وقيل أكثر من ذلك. انظر تفسير القرطبي 15/ 286.

السابقون..ويُنادى أصحاب العبادات..كل عبادةٍ من بابها المخصص..فأين المحبون..أين المتيمون..ألا يبادرون إلى الأعمال..عساهم يحاولون الوصل فيصلون..

ويُدْعَى المرء من الباب الذي يكون فيه أكثر اجتهاداً في عبادته: فـ((من أنفق زوجين من ماله في سبيل الله تعالى دُعِيَ من أبواب الجنة)).. ((وللجنة أبوابٌ: فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة، ومن كان من أهل الجهاد دُعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان))[1]..

وقد يدعى المتنافسون في الخيرات من هذه الأبواب جميعاً، وأبو بكرٍ منهم وأنعم..
وقد يدعى الإنسان ليدخل من أي بابٍ منها شاء..ومن هذا الصنف ((من أسبغ الوضوء..وقال عند فراغه من وضوئه: أشهد أن لا إلا الله، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله. اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين))[2]، ولأجل ذاك فتحت له الأبواب الثمانية..والمنادي ينادي: ادخل من أيها شئت..

ها هنا السباق..فهل يترك الفرصة أي راغبٍ هائمٍ مشتاق؟.

وترى سعة بابٍ من أبوابها..فترى شيئاً عظيماً..عندها احلف كما حلف النبي ﷺ ..قل وأنت ترى المشهد العظيم للباب..احلف وقل: ((والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير أو كما بين مكة وبصرى))[3] وهذا بابٌ صغير من أبوابها..وكما أن الجنان درجاتٌ بعضها فوق بعضٍ فأبوابها كذلك.. فباب الجنة العالية فوق باب الجنة التي تحتها.. وكلما علت الجنة اتسعت فبابها أوسع مما دونه، وسعة الباب بحسب وسع الجنة[4]..

1- البخاري 2/ 671، ابن خزيمة 4/ 114.
2- الترمذي 1/ 77 ، النسائي1/ 92، وصححه الألباني.
3- البخاري 4/ 1746، مسلم 1/ 185.
4- انظر: فيض القدير 5/ 434.

نعم.. ما بين مكة وبصرى الشام..مجرد بابٍ صغير..يا شوقاه! مجرد بابٍ من أبواب الجنة..انظر إليه بعين البصيرة قبل عين البصر ثم اهتف..كم هي الدنيا غرَّارة؟.

أما إذا أردت أن تعرف سعة الباب الرئيس..أيا حبيباه..تعرف سعة الباب الرئيس.. مجرد معرفة لأن بصرك لا يمكن له أن يستوعبه فقد ((ذكر لنا أن ما بين مصراعين من مصاريع الجنة مسيرة أربعين سنة.. وليأتين عليه يوم وهو كظيظٌ من الزحام))[1] فهذا أوسع الأبواب، وهو الباب الأعظم، وهو الباب الرئيس المتوسط لسائر الأبواب، **وهو الذي ترى فيه نبيك ﷺ يوم القيامة يمسك بحلقته فيقعقعها** حتى يفتح لأمته والأمم من بعدها..وإذا كان ما بين عضادتيه أربعين عاماً..أفتراه يمكن الإحاطة به..أو إدراك سعته على الحقيقة..؟ تنعم بالنظر..وانتظر الفوز الأعظم.

وهناك ترى من سعة باب من أبواب الجنة سبعين ألفاً أو سبعمائة ألف..تراهم جميعاً متماسكين.. متماسكين آخذٌ بعضهم ببعض حتى يدخل أولهم وآخرهم الجنة.. ووجوههم على ضوء القمر ليلة البدر[2].

هذا هو الباب الأعظم..فماذا ستقول إلا أن تدمع العين، ويحن الفؤاد، ويخفق القلب، وتهتف بلسانك بلهجةٍ مضطربةٍ آملةٍ: اللهم إنا نسألك الجنة..رب أسألك الجنة..رب فبرحمتك وبكل اسمٍ هو لك أسألك الفردوس الأعلى..

يا صاحب القلب المنيب وأنت تقف على مشارف الأبواب: إنها دار السلام:

على مشارف الأبواب لربما تراءى له هناك على الباب الذي يتجه موكبه نحوه..لربما تراءى له شارة على الباب قد كتب عليها: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥﴾(يونس) وتتابعت على صاحب القلب المنيب الذكريات تترى..تجيء سراعاً

1- مسلم 4/ 2278.
2- البخاري 5/ 2396.

متتابعةً..وتلبث في الذهن ملياً متنازعة متصارعةً..كل موقفٍ منها يفرض نفسه من عظم البِشر والبشرى والبشائر..

أيا حبيباه.. في دنياك: كم دعوت ربك العظيم: اهدنا الصراط المستقيم.. فها هو ذا جزاؤك..جزاء كريم..تُهدى به بإيمانك إلى جنات النعيم.

أيا حبيباه: كم رجوت العليَّ العلام.. ليوصلك إلى دار السلام.. حباً وشوقاً بصلاةٍ وصيام..هاهي دار السلام.. تفتح أبوابها للبررة الكرام، وكنت أيها الهمام..كنتَ..يا لدموع الفرح المسفوحة..من الذين سيقوا إليها تزفهم الملائكة بسلام.

أيا حبيباه: هاهي دار السلام..وأنتم إليها تنظرون..دار السلامة من كل بليةٍ وآفة ومكروه.. هذه هي التي كنتم إياها تنشدون.. إنها دار الله واسمه سبحانه وتعالى السلام..سلمها وسلم أهلها من كل ما يحذرون..تحيتكم فيها سلام أيها المتقون..

الملائكةُ.. يدخلون عليكم فيها من كل بابٍ سلام عليكم بما صبرتم..يا من بالجنة كنتم متيمون..

العلي العظيم يهديكم من لدنة سلاماً..إنه ﴿سَلَٰمٌ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ﴾(يس: 58).. يرتفع هنالك الفائزون..﴿لَهُمۡ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمۡۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٢٧﴾ (الأنعام).

إنها الجنة: "فواعجباً لها كيف نام طالبها؟ وكيف لم يسمح بمهرها خاطبها؟ وكيف طاب العيش في هذه الدار بعد سماع أخبارها؟ وكيف قرَّ للمشتاق القرار دون معانقة أبكارها وحورها؟ وكيف قرت دونها أعين المشتاقين؟ وكيف صبرت عنها أنفس الموقنين؟ وكيف صدفت عنها قلوب أكثر العالمين؟ وبأي شيءٍ تعوضت عنها نفوس المعرضين"[1]..

1- حادي الأرواح ص 5.

أيهـا الخاطـب المؤمّـل فانظر وصفَ عُرسٍ إلى النعيم المقيمِ
لكأن القلوب تصغي ببشْرٍ لسلامٍ من قول ربٍ رحيمِ[1]

اشفع لنا يا رسول الله لندخل الجنة..كم جعل الله لك من كرامةٍ على البشر في الدنيا والأخرى يا سيدي يا رسول الله:

وعند أبواب الجنة ترى الله –عزَّ جاره – يُكَرِّمُ نبيه ﷺ تكريماً بعد تكريم..فقد جعلهم يحتاجونه لفصل القضاء..هاهم يحتاجونه ليُدْخِلَهم الجنة..ويستفتحها لهم..كأنهم يبقون خارجها لم يؤذن لهم بدخولها..ورؤي الحبيب المخبت صاحب القلب المنيب ضمن أمة النبي ﷺ العظيمة يوم القيامة في عرصاتها، فكانت أعظم الأمم، ونبيها أعظم الأنبياء أتباعاً مصداقاً لقول رسولها: ((أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعاً، «وأنا أول من يقرع باب الجنة»))[2].

ثم يشفع لهم النبي ﷺ في دخول الجنة فينساب المصطفون الأخيار من عباد الله الموحدين إلى طريق جنة ربهم..يتقدمهم في المشهد البهيج النبي ﷺ حيث يأخذ بحلقة باب الجنة فيقعقعها..عندها تنادي الخزنة: من هذا؟.. فيجيب:

– محمد..بتواضعٍ يقول ذلك نفسي له الفداء ﷺ .

فيهللون له مرحبين، ويقومون له مكرمين، ويبينون كرامته على الملأ أجمعين فيقولون:

– مرحباً بمحمد.. بك أمرتُ.. ألا أفتح لأحدٍ قبلك، (ولا أقوم لأحدٍ بعدك)..

((فيفتحون للنبي ﷺ ويرحبون فيقولون: مرحباً))[3].

1- لشاعرنا المبدع: عبد الرحمن العديني.
2- مسلم 1/ 188.
3- الترمذي 5/ 308.

وهكذا فُتِّحَتْ أبوابها..ولكننا سنترك تفاصيل هذا العرض الرائع الذي صار حلم الأخيار، ورؤيا الأبرار..لِننساب مع صاحبنا في كراماته ونعيمه.

يا حبيب الجنة: الجنة تطالب بك..وتشتاق إليك:

كم مرةٍ كنت تطلب الجنة في يومك فتهفو الجنة إليك وتشتاق.. وتقول: رب إن عبدك فلانا يسألك إياي..اللهم فأدخله إياي..وتقول ملحةً في الطلب: اللهم أدخله الجنة..اللهم أسكنه إياي[1]..إنها الجنة لكأنها تناديك مشتاقةً، وترغب فيك محبةً متيمةً فقالت: يا رب قد طابت ثماري، واطردت أنهاري، واشتقت إلى أوليائي.. فعجل إليَّ بأهلي..تطلبك وتطالب بك..تجذبك إليها جذباً وترجوك حباً، وتذكرك شوقاً وهياماً وتيماً..فقط حَقِّقْ الشرط لتكون لها ولياً محباً..

إنها الجنة:

تسأل ربها أهلها وتطلبهم وتحبهم.. وأنتم أيا أهلها تسألونه إياها..وترغبون فيها..

والملائكة تسألها للمصطفين الأخيار من عباده..تسألها لكم..والرسل يسألون الجليل المتعال إياها لهم ولأتباعهم.. إنها الجنة اجتمعت خير الخليقة على طلبها..أكرم بها وأنعم.

انظر هناك: إنها أبواب الجنة المفتوحة:

..انطلق الموكب المبارك ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾(الزمر: 73) سعدوا.. وطابوا وسُرُّوا وفرحوا بقدر كل ما يكون لهم فيها من النعيم.. وإذا كان النعيم لا يوصف.. فسرورهم لا يمكن أن يُقَدَّر..قد كانوا يرونها وهم في موقف العرض..والبيان القرآني يصف حالهم وحالها وصفاً دقيقاً حينها فيقول ربي – عزَّ جاره- ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٖ ٣١﴾(ق)..فالآن قد جاءوها فماذا سيعتريهم من البِشْرِ والسرور والسعادة..الجواب معروفٌ، ولذا حُذِف الجواب

1- انظر: الترمذي 4/ 699، ابن حبان 3/ 293.

من الآية..أي فلا تسل عن مقدار سعادتهم وأنسهم وبشرهم..لا تسل عن غبطتهم..لا تسل عن سرورهم..

هناك جاءوا والأبواب قد فتحت لهم استقبالاً وحفاوةً..فتحت قبل أن يصلوا لكرامتهم على الله تعالى..فتحت أبوابها لهم كما تفتح الخدم باب المنزل للضيف عند قدومه، وتقف له منتظرة حضوره..فرحاً واستبشاراً لقدومه..

أيها القوم المشتاقون: ها هنا..ها هنا تصلون ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ (ص)

وعندها تسمعون منادي الحق ينادي في زمركم وجمعكم: ﴿تِلۡكُمُ ٱلۡجَنَّةُ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣﴾ (الأعراف) يقال لكم ذلك قبل الدخول حيث عاينتموها عن بعد[1]..فيزيدكم هذا النداء سروراً وابتهاجاً.

أيُّ بِشْرٍ وقد أتوها فقامتْ باشتياقٍ تُفَتِّحُ الأبوابا
"بين جنبيَّ للوصول حنينٌ فهلمُّوا فقد أطلتُ ارتقابا"[2]

أيها المفلحون: آن أوان تكملة التهيئة الجسدية لدخول الجنة:

وقف موكب المتقين عند بابٍ من أبواب الجنة.. هناك رأوا منظراً لا يقوم له بصرٌ في حسنه ورونقه..وصاحب القلب المنيب يترقبه الآن وينظر إليه..

لقد رأى ((عنده شجرةً تخرج من تحت ساقها عينان تجريان))[3]..إن صفاء الماء وعذوبته يجذب الناظر إليه جذباً..أُلْقِيَ في فؤاد صاحب القلب المنيب مع أصحابه أن

1- تفسير القرطبي 7/ 208.
2- لشاعرنا المبدع: عبد الرحمن العديني.
3- حديث الشجرة وتلقي الولدان إلى آخره خرجه الضياء في الأحاديث المختارة 2/ 161، كما أخرجه ابن أبي شيبة 7/ 34، وابن الجعد في مسنده ص374، وجود ابن حجر إسناده في المطالب العالية 4/ 400، وهو مبثوثٌ هنا في عدة مقاطع.

يشرب من العين الأولى..هداه الله لذلك دون أن يؤمر بأمرٍ مباشرٍ.. صفاء الماء وعذوبته وشدة نقائه يدعو بنفسه إلى الشرب منه دون حاجةٍ إلى ترجمان..عندها انطلق الركب المظفر نحو العين الأولى..واشهد المنظر الآن معي:

((فشربوا منها فأذهبت ما في بطونهم من أذىً وقذىً وبأس))..وهكذا طهروا أجسادهم من داخلها..من الأوضار المادية والمعنوية..فها هنا تنعموا إذ شربوا.. ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ (الإنسان: 21) طهوراً "طهرهم من الأوضار التي في صدورهم"[1]، وسل بها سخيمة قلوبهم..فعادت بيضاء نقيةً لا حسد فيها ولا تباغض.

تالله! ما أشد شوق المحبين لذلك.. قبل قليلٍ..لربما كنتَ تعاني الخوف من النار وسمومها، والصراط وتغيظ جهنم تحته..وعطشاً طويلاً..فها أنت ذا تجد لذة الماء بين جوانحك وفي جسدك..**تذكر ذلك واهتف خاشعاً منيباً: اللهم فاجعلني في الأسبقين..يا أرحم الراحمين.**

ثم هُدُوا إلى أن يغتسلوا من العين الثانية.. وهكذا ((عمدوا إلى الأخرى فتطهروا منها.. فجرت عليهم نضرة النعيم.. فلن تغير أبشارهم أبداً، ولن تشعث رؤوسهم أبداً، كأنما دهنوا بالدهان))..

أي نعيمٍ عظيمٍ يحدث لك يا صاحب القلب المنيب وأنت لم تدخل الجنة بعد:

عند القنطرة تُنَقَّى روحك، تُطَهَرُ نَفْسُك..فلا يعود الغل يداخلها.. وهنا تُطَهَرُ أعضاء جسدك الداخلية، ثم يُطَهَرُ جسدك من الخارج..فتجري عليك نضرة النعيم..ها هم أولاء البررة الآن ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾(المطففين)

1- تفسير القرطبي 7/ 208

والآن قد تهيأوا لأن يدخلوا الجنة.. فأجسادهم وأرواحهم قد وصلت إلى المستوى الذي يمكنهم من التنعم بنعيمها..

يا شجرة الجنة! طالما سبيتِ قلوب المحبين..ها قد اجتمع الشمل بعد عناء الفراق..ها قد أغدقت علينا مغتسلاً بارداً وشراباً طهوراً..يا دوحة الجنة الباسقة: قصةُ الحبِّ لستِ عنها بمنأى..كيف يسلو عن الغرامِ الحبيبُ..

ورأوا منظراً من الحُسْنِ أبهى ... ملأ العينَ والقلوب حبورا
دوحةٌ تحت ساقها فاض ماءٌ ... في نقاءٍ يَشِعُّ طهراً ونوراً
جذب الماء خطوهم وسباهم ... فانثنوا يشربون عذباً نميراً
أذهب الماءُ كل وضرٍ وبأسٍ ... وأذىً كان في الحشا مستوراً
فاستقاموا وللصدور بهاءٌ ... وسُقُوا عندها شراباً طهوراً
ثم راحوا إلى النزول بعينٍ ... غمسوا جسمهم فعادوا بدوراً
وجرتْ نضرة النعيم عليهم ... ليس للشعث أن يحل الدهورا
ومنادي السماء نادى بلطفٍ ... "أبشروا كان سعيكم مشكوراً"[1]

1- لشاعرنا المبدع عبد الرحمن العديني.

المشهد الثالث

عند أبواب دار السعادة:
الاستقبال الحافل والمفاجآت الممتعة

تحية خزنة الجنة عند الدخول: لقد طبتم ظاهراً وباطناً..الآن تستطيعون الدخول: ثم يواصل الموكب المهيب تقدمه إلى هذا الباب من أبواب الجنة فـ ((تلقتهم الملائكة على أبواب الجنة)).. **إنه التلقي هل تفهم منه شيئاً غير السلام والعناق**..كقادمٍ من السفر البعيد المضني لا بد من العناق حتى يكون التلاق.. حبٌ فاق، هذا لقاء الأشواق..وتأملهم وقد تلقتهم الملائكة مهنئين حتى ((انتهوا إلى خزنة الجنة)) فأعاد عليهم خزنة الجنة التحية السابقة التي قدموها لهم عند قنطرة المظالم البينية..أعادوها عليهم حباً وإجلالاً وإشادةً ووداً..فقالوا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾(الزمر).

وبمجرد أنهم وصلوا عتبة باب الجنة ترفع لهم خزنة الجنة شعارات الاستقبال الفخمة المطمئنة، وتسمعهم ما هو أجمل من الأهازيج المطربة، فتقول لهم: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ﴾ (الزمر: 73)..

أيها المتقون: سلامٌ عليكم "أمنةٌ من الله لكم أن ينالكم بعد مكروْه أو أذى"[1].. فاطمئنوا لن تروا كرباً بعد الآن..قرُّوا عيناً بذلك..ذهبت أهوال القيامة، وعرصاتها..سلامٌ عليكم الآن.. مستقرٌ لكم، ثابتٌ في حياتكم المستقبلة.. فاطمئنوا فلن تؤاخذوا بشيءٍ من تفريطٍ أو تقصيرٍ أو عصيانٍ.. ولو حدث منكم في سالف الزمان...

1- تفسير الطبري 24/ 35.

يا أهل الجنة: طبتم في الدنيا بطاعة الله..وتأهلتم بطيبكم لتدخلوا جنة الله.. فهي طيبةٌ لا يدخلها إلا الطيبون، وإن ربها طيب لا يقبل إلا طيباً.

يا أهل الجنة: طابت أعمالكم وأقوالكم، وطاب سعيكم فطاب الآن جزاؤكم ومثواكم[1].

تكمل الملائكة تحيتها فتقول: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾(الزمر) تنعموا فيها، واطمئنوا، فإنكم ماكثون فيها أبداً لا تبغون عنها حولا، ولا ينبغى لكم أن تتحولوا عنها.

ونشيد الملاكِ فيها سلامٌ طبتمو فادخلوا وطابت مآبا

وكأنك يا صاحب القلب المنيب تنادي:

"يا هناء الدخول أسعدتَ روحي راقَ عيشي بقرب ربي وطابا"[2]

ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون:

ثم تتابعت مبشرات نداء الحق تصطفي العبد المنيب وأصحابه بأجمل بشارةٍ يسمعها مذ عرف الوجود، ودان للمعبود: ﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾(الزخرف)..

أيها القانت: ادخل الجنة.. ولأنها بشرى فقد رأيتَ على نفسك تغير لون بشرتك بما داخلك من السرور والحبور[3]، واضطراب جسدك حتى يكاد يرقص طرباً وفرحاً.

وربما تساءلت بلهفةٍ وقد أَفقت من فرحة البشرى تساؤل الوفاء:..فزوجي..أين هي؟ وماذا بشأنها؟ إنها قرينتي في الدنيا فما حالها؟ فيسعفك الجواب، وتتلذذ وأنت ترى الله قد أجابك على الفور: ﴿أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠﴾(الزخرف).. لست وحدك بل مع زوجك المسلمة البتول الودود

1- تفسير الطبري 24/ 35.
2- لشاعرنا المبدع عبد الرحمن العديني.
3- انظر: تفسير القرطبي 1/ 238.

التي كانت لك نعم العون على دينك ودنياك..أنت وهي تكرمون في جنات النعيم..

وربما تساءلت عندها بلهفةٍ ووفاءٍ: فقريني من المؤمنين، وحبيبي من الصحب المخبتين، وصديقي من الملأ القانتين؟ أين هو؟ وكيف التلذذ بالعيش دونه؟ فسمعتَ ما أثلج صدر المحب: ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾(الزخرف) تكرمون أنتم وأزواجكم من نسائكم وأصدقائكم من المؤمنين[1].

أنتم وأزواجكم وقرناؤكم في جنةٍ عرضها السموات والأرضين تحبرون..

تحبرون فتكرمون في المنزلة، والمنزلة هي الجاه، وتحبرون فتفرحون وتغتبطون..والفرح في القلب، وتحبرون فتتنعمون..والنعيم في البدن، وتحبرون فتسرون..والسرور في العين، وتحبرون فتعجبون.. عندما ترون ما يستطرف.. مما لبديع صنعه لا يوصف.

وتحبرون فتتلذذون بسماع أصوات كالهديل.. وعذب الكلام والغناء الجميل[2].

ومنادي الحق ينادي عليكم معاشر المتنعمين، يزف إليكم بشرى الديمومة في ديار الخالدين: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾(الأعراف).

فماذا تريد بعد اجتماع النعيم من بين يديك ومن خلفك.. فعجباً للجنة كيف ينام طالبها..كيف يهيم بغيرها صاحبها..

لمثل هذا يهيم القلب ويشتاق..وبه تتفتح للمؤمن في الطاعة الآفاق.

1- أزواجكم فيها تفسيران: نساؤكم، وقرناؤكم فجمعنا بين التفسيرين.
2- انظر: تفسير القرطبي 16/ 111.

أول زمرةٍ وثاني زمرةٍ يدخلون الجنة منكم..كيف هؤلاء الأمراء المحظوظون؟:

تأملهم الآن.. عاينهم بقلبك وفؤادك، وارقبهم بطرفك للتعرف عليهم..عسى أن تظفر بالدخول معهم.. فإن((أول زمرةٍ يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر.. والذين يلونهم على ضوء أشد كوكبٍ دريٍّ في السماء إضاءةً.. لا يبولون، ولا يتغوطون، ولايتفلون، ولا يتمخطون))[1].

هذا كان وصف أجسادهم، وقوة جمالهم، وغناهم عن اللجوء إلى أوضار الدنيا..لقد أغراك هذا وجذبك..فاسمع إلى النبي ﷺ وهو يصف أدوات جمالهم يقول: ((أمشاطهم الذهب، ورشحهم المسك، ومجامرهم الألوة))..أما شدَّك هذا وجذبك..فاسمع إليه وهو يصف أزواجهم..يقول: ((وأزواجهم الحور العين))..وقد بلغ هذا منك مبلغاً في الشوق..فاسمع إليه وهو يصف أخلاقهم فيقول: ((أخلاقهم على خلق رجلٍ واحد على صورة أبيهم آدم ستون ذراعا في السماء))، وقد رأيتَ ثلةً من السابقين..وأنت ترى المشهد مجدداً لتقارن بينهم وبين الثلة التي تليهم..**وعلى الرغم من نعيم كلٍ إلا أنك ستهتف معي حقاً: اللهم برحمتك فاجعلني من السابقين، اللهم برحمتك فاجعلني من المقربين، اللهم برحمتك فاجعلني من الأولين.**

أمام أبواب الجنة نداء رخيٌ لك أيا صاحب القلب المنيب:

وهناك يتكرر لك – أيا صاحب القلب المنيب–النداء الرخي مجدداً لكن بلذته الغامرة، وصوته العذب الجميل الذي لا يمكن فيه التشبيه ولا التمثيل: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ (الفجر)..

في عطفٍ وقربٍ: يا أيتها النفس المطمئنة..

1- البخاري 3/ 1185، والزيادة عند مسلم 4/ 2179.

في روحانيةٍ وتكريمٍ: يا أيتها النفس المطمئنة..

في ثناءٍ وتطمينٍ: يا أيتها النفس المطمئنة..

يا صاحب القلب المنيب!يا صاحب النفس المطمئنة! المطمئنة إلى ربها..المطمئنة إلى طريقها..المطمئنة إلى قدر الله..المطمئنة في السراء والضراء، وفي البسط والقبض، وفي المنع والعطاء..المطمئنة فلا ترتاب.. والمطمئنة فلا تنحرف..والمطمئنة فلا تتلجلج في الطريق..والمطمئنة فلا ترتاع في يوم الهول الرعيب..

﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾(الفجر: 28) ارجعي إلى مصدرك بعد غربة الأرض وفرقة المهد.. ﴿ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ (الفجر: 28) بما بينك وبينه من صلةٍ ومعرفةٍ ونسبةٍ..﴿ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ (الفجر)..بهذه النداوة التي تفيض على الجو كله بالتعاطف والرضا.. ﴿فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩﴾ (الفجر) المقربين المختارين لينالوا هذه القربى.. ﴿وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ (الفجر) .. في كنفي ورحمتي..

أيتها لنفس المطمئنة: انظري..ألا إنها الجنة بأنفاسها الرضية الندية[1].

مفاجأةٌ ممتعةٌ: استقبالٌ حافلٌ من الولدان المخلدين:

أيها المخبت المتقي: وعند أبواب الجنة كان ينتظرك ولدانٌ صغار ﴿إِذَا رَأَيۡتَهُمۡ حَسِبۡتَهُمۡ﴾ (الإنسان: 19) من جمالهم، وحسنهم، وبهائهم، ونظافتهم، وحسن ملابسهم ﴿لُؤۡلُؤٗا مَّنثُورٗا ١٩﴾ (الإنسان).. أو كأنهم لرقتهم، وصفائهم، وحسن أجسادهم، ونضارة وجوههم ﴿لُؤۡلُؤٞ مَّكۡنُونٞ ٢٤﴾ (الطور) مستورٌ من الشمس فيزداد حلاوةً وجمالاً..

وإذا كان الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم؟ **انظر في ذلك ثم قل معي: اللهم إني أسالك الفردوس الأعلى.**

1- انظر: الظلال ص3907.

كان هؤلاء اللآلئ المتناثرة ينتظرونك..وما إن رأوك حتى انطلقوا إليك..هاهم يتسابقون..يتلقونك والمخبتين الأبرار..نعم ((تتلقاهم الولدان يطيفون بهم كما يطيف ولدان أهل الدنيا بالحميم يقدم من غيبته)) للهفتهم بكم، وتشوقهم إليكم..**يطوفون بك يسلمون عليك..يقبلونك..يدورون حواليك..يهتفون بعبارات الترحاب**..كما يفعل الولدان الصغار بأعز أصحابهم من الرجال الذين يحملون معهم الهدايا لهم في كل مرةٍ يعودون من أسفارهم..أَجِّجْ شوقك أكثر، وتأمل في مشهد الفرحة العجيب الذي أنت نجمه..

وهم يطوفون بك، وتتكلم أفواههم بكل عبارة خيرٍ، وتحية بِشْرٍ..يبادرونك بالتبشير ف ((يقولون: أبشر! بما أعد الله من الكرامة لك.. «أَبْشِرْ! قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا.. قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا»)) **يا حبيب: يعددون لك**..يفتحون شهيتك بأفواههم العذبة الصغيرة..وانظر إلى البشرى كيف تترى..**أي حبيباه خذ ذلك هنيئاً مريئاً**..

حركةٌ مفاجئةٌ: ولدٌ ذكيٌ من الولدان يسبقك ليخبر أهلك:

وفي غمرة الفرحة ينطلق غلامٌ ذكيٌ منهم..ينسل من بينهم إلى ملكك الكبير ليبشر أهل مملكتك، ويفوز ببشارة وصولك من أهلك الذين ينتظرونك..ويخص نساءك بالإخبار..نعم تأمل المشهد وادع لنفسك بكل خيرٍ: ((ينطلق غلامٌ من أهل أولئك الولدان إلى بعض أزواجه من الحور العين)) يدخل عليها وهو يتحاذق، والبِشْرُ يظهر على محياه..فيقول – بلهجتنا: "يبدو والله أعلم أنه عندي خبرٌ سار لكم معاشر أهل البيت"، ويتحاذق ويُسَرِّبُ الخبر بأسلوبه الفرح، وابتسامته العذبة..تصور جوهرةً أمامك تبتسم ثم تقول: ((قد جاء فلانٌ. باسمه الذي كان يدعى به في الدنيا)) لكأنك تراه وهو يهمهم متحاذقاً..كأنه يقول: احم..احم..هل تعرفن من جاء..فتأخذ منهن البشرى كل مأخذٍ قبل أن ينطق..فهن ينتظرن مذ خلقن شخصاً واحداً..ولا تكون البشرى إلا به..فهل تتأمل عيني الغلام عندها وحركته متحاذقاً، وعيني أهلك وهن لا يدرين ماذا يقلن فرحاً واستبشاراً..وباسمك الذي كنت تسمى به في الدنيا يكشف عن مفاجأته لزوجك من الحور العين..عندها –ومن

شدة فرحها- تقول له - كأن قولها جاء دون وعيٍ لشدة الفرح-: ((أنت رأيته؟)) أمعقولٌ؟..بعد كل هذا الانتظار للراحة الأبدية..جاء..بمَ تتغنى زوجك من الحور العين عندها..بم تترنم..كم انتظرتك وأنت في الدنيا حتى أنها كانت تدافع عنك إذا آذتك زوجك من نساء الدنيا: ((فتقول: لم تؤذينه؟ قاتلك الله! يوشك أن يفارقك ويأتي إلينا))..تدعو على زوجك من نساء الدنيا حباً لك، وغيرةً عليك أن تُغضَب أو تُؤذَى..وهي الآن تسمع بشرى وصولك..ومن تلهفها عليك..تسأل سؤال فرحٍ وتعليلٍ للنفس لا سؤال تأكدٍ واستيقانٍ.. فإن ولدان أهل الجنة لا يكذبون..تسأله متلهفةً: ((أنت رأيته؟ فيقول: أنا رأيته هو ذا بأثري))..والسؤال للتعليل فقط:

نحن أدرى وقد وصلنا لنجدٍ أقصيرٌ طريقنا أم طويلُ
وكثيرٌ من السؤال اشتياقٌ وكثيرٌ من رده تعليلُ

إنه سؤال اشتياق القلب، سؤال فرحٍ للفؤاد..لسماع جوابٍ يعلل النفس، ويُطْرِبُ الروح..

وقد كان.. فقد اهتزت روحها، وخفق قلبها..لدرجة أنه ((يستخف إحداهن الفرح حتى تقوم على أسكفة بابها)) تخرج فرحةً.. مرحةً.. طربةً.. ولعةً..حتى تقف على أسكفة الباب..وهنا المفارقة المفرحة..لا تستطيع الخروج أكثر لأنها وصاحباتها ﴿حُورٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي ٱلْخِيَامِ ۝٧٢﴾(الرحمن: 72)..مقصورات ليس عندهن حبٌ لأن يطلعن أبعد من بيوتهن..فمن فرحها خرجت، ومن نقائها وقفت..لم تتعد عتبة الباب بانتظارك..أيها الضيف القادم من أعماق الدنيا وكدحها إلى روحٍ وريحان، وجنات ورضوان..

انظر الآن إلى هيئتك وأنت تدخل الجنة:

وبعد الاستقبال الحافل من الخزنة..ثم من الولدان المخلدين لموكبك الرحيب..تبدأ وصحبك الأخيار كلٌ في موكبه..فتدخلون..ولكن شاهد هيئتك..منظرك..مقدار حسنك ربما على المرايا المبثوثة هنا أو هناك..أو على صفحة وجوه أصحابك.. انظروا إلى بعضكم

بعد أن جرت عليكم نضرة النعيم فإنكم تدخلون ((الجنة جرداً مرداً بيضاً جعاداً مكحلين.. أبناءَ ثلاثٍ وثلاثين.. وهم على خلق آدم: ستون ذراعاً في عرض سبعة أذرع))[1].. جرداً من شعر الجسد..مُرْداً من شعر الوجه..بيضاً في غير برص..جعاداً في شعور رأسكم فتكون بين الاسترسال الشديد والجعودة الشديدة..مكحلين..تظهر من عيونكم نور السواد الشديد الذي يكسبها لوناً طالما تمناه المتمنون..

وإذا نظر كلٌ منكم لصاحبه..أو نظر لنفسه في صفحة صاحبه..فكم سيبقى نظره يستطيل في النظر لصاحبه..كم؟ هل يعجب من الحسن الذي لا يمكن أن يوصف..أم من شدة الصفاء الذي يُذهل العقل..أم من التناسب بين الطول والعرض..اللهم بلغنا تلك المنازل على خير طاعةٍ تحب، واجعل ختامنا خير ختامٍ يا أرحم الراحمين..

نداء الله الجليل المتعال لك وللركب المفلحين وأنتم تدخلون الجنة:

وهناك بعيد الدخول أو قبيله يحييكم الكبير المتعال جلَّ عن الشبيه والمثال: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾(الحجر)..

يا أيها المفلحون..وقد ساروا نحو مراتع الرضوان: ادخلوا جنتي بسلامةٍ من كل داءٍ وآفةٍ، مَسَلَّمٌ عليكم مني ومن ملائكتي بخير تحيةٍ لا سأم ولا مخافة..ادخلوها آمنين من الموت والعذاب والعزل والزوال..آمنين من كل خوف وفزعٍ أو أدنى اختلال...

ويُكَرَّرُ النداء: كتكرير أهازيج الأفراح، وزغاريد الأعراس، وتباشير الجنود..يكرر وأنتم تساقون إلى الرحمن وإلى جنته وفداً.. ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٖۖ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾(ق).

تابِعْ مسير الموكب..إنه موكب الزفاف الحق..موكب زفافك حيث كعبة الحسن ومهجة الروح:

1- الضياء في المختارة 7/ 266، الترمذي 4/ 682، وقال: حسن غريب.

يا من يطوف بكعبة الحسن التي خفت بذاك الحجر والأركان
فيظل بالجمرات يرمي قلبه هذي مناسكه بكل زمان

لا تحتاج إلى من يدلك على مملكتك فأنت تعرف طريقك إليها:

ها نحن نتابع موكب زمرةٍ من زمر أهل الجنة وقد اجتازت عتبات الباب..تنفصل مواكب أهل الجنة الداخلين في هذه الزمرة بعضها عن بعض..إذ يتقدم كل واحدٍ مع موكبه الخاص من الملائكة والخدم نحو مملكته من قصور وبساتين وأنهار..وعندما يتقدمون داخلين ﴿يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَانِهِمْ﴾ (يونس:9)؛ إذ يقذف الله في قلوبهم مكان مملكة كل واحدٍ في الجنة بالتحديد..نعم! يهديهم الله إلى مساكنهم بإيمانهم.. فالله -عزَّ جاره- كما يقول أبو عبيدة: بينها لهم حتى عرفوها من غير استدلالٍ....فانظر إليهم ينطلق كل واحدٍ في هذه الجنان الرحيبة نحو مملكتيه في موكبه المهيب..

أيها المخبت المنيب: انظر انطلاق كل واحدٍ منهم.. واحلف عند ذلك بما حلف به النبي ﷺ : ((فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم بمسكنه في الجنة أدل منه بمسكنه كان في الدنيا))..أجل أو ليس ربي يقول عن المؤمنين: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ۝٦﴾(محمد: 5، 6)..

عَرَّفَ لهم مواضعها وأماكنها حتى قال مجاهد: يهتدي أهلها إلى بيوتهم ومساكنهم لا يخطئون كأنهم ساكنوها منذ خلقوا لا يستدلون عليها أحداً..

ووقفتَ أخيراً على باب مملكتك الرحيبة..فرأيتَ بابها البهي العظيم ينفتح..وكانت المفاجأة:

1- البخاري 6/ 2700، مسلم 3/ 1501.

أبواب الجنة التي تغلق وتفتح تلقائياً:

والآن وقد أصبحت في دار المقامة، في جنات عدنٍ..وأردت أن تدلف إلى قصورك ستراها لأهلها ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾(ص)..تصور هذا إنما قال: مفتحةً.. ولم يقل مفتوحة لأنها تفتح لهم بالأمر أو بمجرد التقدم لا بالمس..حتى قال الحسن: تُكَلَّم: انفتحي فتنفتح، انغلقي فتنغلق.. فأبوابها تفتح لهم بغير فتح سكانها إياها بمعاناةٍ بيدٍ ولا جارحةٍ.. ولكن بمجرد الأمر أو نحوه..[1] هكذا كانت مسألة الفتح الآلي للأبواب معلناً عنها في القرآن الكريم قبل أن تصل إليها البشرية..ولكن مع الفارق العظيم..إذ ما نراه من الفتح الآلي اليوم مجرد إشارةٍ ولا يمثل كامل الحقيقة إلى ما سيكون عليه الحال في ذلك اليوم القادم.

ورأيتَ من النعيم الذي تتلذذون به أنكم إذا دخلتم الجنة فإنها لا تغلق أبوابها عليكم بل تبقى مفتحةً إشارةً إلى تصرفكم وذهابكم وإيابكم، ودخول الملائكة عليكم من كل بابٍ بالتحف والألطاف والتحايا من ربهم.. وهي دار الأمن والسلام فلا تحتاجون فيها إلى غلق الأبواب كما كنتم في الدنيا إلا إن الفتح والإغلاق للتلذذ والتنعم.

أيا خاطب الجنة: ها هنا راحة الأجساد تجنيها بلذة العبادة..ها هنا تجد سعادة السيادة.. هتف بك الحكماء: لا تكفَّ دمعك حتى ترى في المعاد ربعك.. ناداك العقلاء: لا تُكَحِّلْ عينك بنوم.. حتى ترى حالك بعد اليوم.. قرر لك الخبراء: لا تبت وأنت مسرور.. حتى تعلم عاقبة الأمور.

1- انظر: تفسير الطبري 23/ 173.

المشهد الرابع

أخيراً.. اتكاءة الراحة الأبدية

أول نظرةٍ على قصرٍ من قصور مملكتك الرحيبة:

وأخيراً وصلتَ إلى مملكتك.. دخلتها فبادرتَ إلى الاطمئنان على أساسات قصور هذه المملكة، وكيف بُنِيَتْ..أول نظرةٍ منك كانت إلى القصور..الله! كما كان يفعل أهل الدنيا في الدنيا..يطمئنون أول ما يطمئنون على أساس البناء..ويصف النبي ﷺ هذه اللحظات المثيرة فيقول: ((فإذا انتهى إلى منزله نظر إلى أساس بنائه فإذا جندل اللؤلؤ.. فوقه صرحٌ أخضر، وأصفر، وأحمر، ومن كل لونٍ)).. الأساس مكون من الحجارة الصلدة القوية (الجنادل)، ولكنها حجارةٌ لا ككل الحجارة فهي حجارةٌ من جندل اللؤلؤ مع زخرفةٍ بديعةٍ متناسقةٍ منتظمةٍ من الألوان الخضراء، والصفراء، والحمراء ومن كل الألوان..أقرب ما كان يقرب إليك هذا الجمال البديع الذي لا يوصف منظر طيف الألوان وقد كسا السماء في تداخل بين السحب بعد يومٍ ماطر..مجرد تقريب، وإلا فالجمال الذي اجتمع مع القوة في أساس البناء لا يوصف في الدنيا حتى تراه بعينك في الآخرة..

وهكذا اطمأنَّ على أساس بناءٍ من بناءاته..

وبعد الاطمئنان على الأساس يرتفع نظره ليطمئن إلى السقف فهو واجهة القصر ومنبع زينته، ومكمن جماله..((ثم رفع رأسه فنظر إلى سقفه فإذا مثل البرق)) يتميز بلونٍ شديد اللمعان.. من جمال السقف وبريق لونه، وشدة صفائه كأنه البرق..وبلغ من لمعانه وشدة بريقه وجماله أن الله يحفظ عين الإنسان منه ((فلولا أن الله قدره له لأَلَمَّ أن يذهب ببصره))..وهو ما تحاول أن تصل إليه الأبراج في الدنيا..

في قصور الخلد طابت نظـرةٌ فـي أسـاسٍ للبنـاء الأرفـعِ
جنـدل اللؤلؤ شيـدت فوقـه أصـرحٌ من كـل لـونٍ أروعِ
رُفِـعَ الطـرفُ إلـى سقـفٍ عـلا فـإذا السقـف كبـرقٍ ألمـعِ[1]

نظـرةٌ إلـى بعـض قصـورك، وترتيب الغـرف بداخلهـا:

وفي قصرٍ من قصورك البديعة رأيتَ عدة خيام..قفْ لا تظنها خيمةً كخيام الدنيا، فإنها تختلف عنها شكلاً ومضموناً فإن ((الخيمة درةٌ مجوفةٌ طولها في السماء ستون ميلاً))..وتطوف عليها لتجد ((في كل زاويةٍ منها..أهلٌ لا يراهم الآخرون))[2]..

فهي خيمةٌ "عظيمةٌ مجوفةٌ.. واسعة الجوف.. عرضها وطولها كل واحدٍ منهما ستون ميلاً .. في كل زاويةٍ من الزوايا الأربع من تلك الخيمة أهلٌ يطوف عليهم"[3].

والغرف مبنية بناء حقيقاً على أجمل نسق..فإن ربي عزَّ جاره يقول: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾(الزمر: 20) فأخبر أنها غرفٌ فوق غرفٍ.. وأنها مبنيةٌ بناءً حقيقياً لئلا تتوهم النفوس أن ذلك تمثيل.. وأنه ليس هناك بناءٌ.. بل تتصور النفوس غرفاً مبنيةً كالعلالي بعضها فوق بعض حتى كأنها يُنْظر إليها عيانا..وتظهر الغرف كأنها مستقلة وليست بناء لأدوار يرى مجموعها ولا ترى أفرادها..وكأن لهم منازل مرتفعة.. وفوقها منازل أرفع منها..وفي هذا إشعارٌ بسعةٍ عظيمةٍ من المساحة التي للقصور...

أيها المشتاق الولهان: إنها غرف الجنان: ((يرى ظهورها من بطونها)) ويرى ((بطونها من ظهورها))..وارقب نموذجاً مصغراً لها في البيوت الزجاجية التي يتنافس عليها أهل الدنيا..ذاك في الدنيا فكيف بما هيأ الله لعباده المصطفين في العقبى؟.

1- لحادينا على طريق الجنة: العديني.
2- انظر: البخاري 3/ 118.
3- انظر: تحفة الأحوذي 7/ 198.

التفت صاحب القلب المنيب لينظر في الجنة وأرضها مما هي، والبناء وحجارته كيف تكون..فراعه الأمر إعجاباً؛ إذ الجنة وقصورها: ((لبنة ذهب ولبنة فضة، ومِلاطها المسك الأذفر-ملاطها: طينها الذي بين لبناتها المسك الذي اشتدت رائحته-، وحصباؤها اللؤلؤ والياقوت-حصاها الصغير اللؤلؤ والياقوت-، وترابهما الزعفران))[1] .. وإنما كان ترابها من زعفران باعتبار اللون، وهو من مسكٍ باعتبار الرائحة..وأرضها تشبه الدرمك وهو الخبز الصافي الذي يضرب لونه إلى صفرة مع لينها ونعومتها.. وهذا من أحسن شيءٍ في التناسق..فالبهجة والإشراق لون الزعفران.. والرائحة رائحة المسك[2] .

ولنتابعه إلى الداخل..فما إن متَّع نظره بالخارج حتى دلف إلى الداخل.. ليشهد الأثاث الجاهز وليتمتع برؤية أهل الدار، وليستلذ بالنظر إلى أزواجه.. فلما دخل((طأطأ رأسه فنظر إلى أزواجه)) يا قرة العين، ويا لذة النفس..ولشوق النفوس بهنَّ، وأنس الأرواح بدلهنَّ وجمالهنَّ، وهيجان القلوب بالسكنى معهنَّ دوره في الوصف...فلنتركه الآن..فذاك حديث لا يُمَر عليه مراً..

لقد بسملت ليلى غداة لقيتها فيا حبذا ذاك الحبيب المبسمل

ثم نظر إلى أثاث الدار فرأى الجمال والدلال..والأثاث البديع المثال ﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾(الغاشية) اشهد المنظر البديع: نمارق هي وسائد مصفوفة في أمكنتها اللائقة..وعلى الأرض توجد الزرابي وهي البسط المبثوثة المنتشرة في أرجاء البيت بجمالها، ونعومتها، وقوتها، ورقة ملمسها..

وفي أمكنتها اللائقة توجد الأكواب الموضوعة..

راقك ذلك، وشدك..وجذبك أيما جذبٍ..هناك انهالت عليك الذكريات..انهالت الذكريات..

1- الترمذي 4/ 672 ، ابن حبان 16/ 396، وصححه الألباني والأرناؤوط، والمِلاط: الطِّين الذي يُجْعلُ بين سافَيِ البِناء يُمْلطُ به الحائطُ أي يُخْلَط.
2- انظر: حادي الأرواح ص94.

يا صاحب القلب المنيب: للجنة تسكب العبرات.. وعند الاطمئنان بدخولها تنهال الذكريات..ذكريات المسارعة إلى الخيرات:

وأنت أمام الجنة المفتحة الأبواب..أو وأنت داخلها قد تخطيت الحجاب.. لربما انثالت هناك الذكريات، وانسكبت العبرات..لكنها عبرات الفرح..وتذكرت النداء العلوي: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣﴾ (آل عمران) وسارعوا..بادروا وسابقوا إلى مغفرةٍ من ربكم تستر عليكم ذنوبكم من رحمته، وتغطي عليكم سيئاتكم من عفوه..وتؤهلكم إلى جنةٍ عرضها السموات والأرضين..بجوار رب العالمين..والملأ الأعلى والذين أنعم الله عليهم من النبيين..لعلك هناك يا صاحب القلب المنيب: تذكرت ذلك النداء.. والآن:

هاهي الجنة تفتح لك أبوابها، وتحتضنك بحنانها وجمالها، وتغمسك في نعيمها..

هاهي الجنة التي كنتَ تبادر لها في الدنيا مسارِعاً.. إلى مغفرةٍ تؤدي إليها مبادراً وراتعاً..

كم سارعتَ وسابقتَ من أجل تأدية صلاةٍ في جماعةٍ ابتغاء المغفرة والجنة..وركعت مستكثراً من النافلة والسنَّة..تسألهما ربَّ المنة.. فالآن قد أُعطيتَ المغفرة ورتعت في الجنة..

كم سارعتَ وسابقتَ إلى تكبيرة الإحرام، والخشوع في القيام، ومكابدة الهواجر بالصيام.. ابتغاء المغفرة وجنة المقام.

كم سارعتَ وسابقتَ لأجل إكمال وردك القرآني.. الذي لا يتخلف يوماً واتجهت إليه بقلبٍ رباني..وأمام ناظريك المغفرة والجنة وجزاءٌ من خيراتٍ وعطايا دواني.

كم سارعت وسابقتَ لأجل حماية الثغور، والعفو عن زللٍ صدر من الناس في حقك أو عما تراه من بعضهم من تقصير، وإعطاء الكثير في سبيل مغفرة العفو الغفور، وجنة الودود الشكور.

كم سارعت وسابقتَ خلف قُبْلةِ حبٍّ في جباه الآباء، أو خلف مبادرةٍ تفرحهما.. تجعلهما بها من السعداء..أو خفضت لهما جناح الذل من الرحمة فقبَّلت ركبهما الشماء..ونلت بذلك تاج الدعاء: ((رضي الله عنك يا ولدي وجعلك من الأصفياء))..كل ذلك ابتغاء مغفرة رب السماء، وجنة الخلد ذات البهاء.

كم سارعتَ وسابقتَ إلى الصفح عن الآخرين، واحتمال الأذى من المؤمنين، والصلح بين المتباغضين، وكظم غيظ عن المخطئين..ابتغاء مغفرة القوي المتين، وجنةٍ عرضها السموات والأرضين.

كم سارعتَ وسابقتَ إلى العفو عمن ظلمك، وسارعتَ إلى إعطاء من حرمك، وسارعتَ إلى صلة من قطعك..ابتغاء مغفرةٍ تضع عنك وزرك، وجنةٍ ترفع لك ذكرك.

أيها المخبت المنيب: ما شأن الحب المنسكب الرحيب.. الذي صببته على هذا المكان من الجنة..حتى سعيتَ..سعيتَ إلى أن تضع قدمك فيه بعملٍ بلالي بركعتين تركعهما بعد كل وضوءٍ تتابع فيه بلال بن رباح الذي سمع النبي ﷺ خشخشة نعليه في الجنة..فسأله عن سبب هذا التقدم الذي أحرزه في الجنة فقال بلال: يا رسول الله ما أذنت قط إلا وصليت ركعتين وما أصابني حدث قط إلا توضأت عندها ورأيت أن لله عليَّ ركعتين..فصارت ركعتا بلال وطهوره ديدنك حباً لله ورغبةً في إحراز التقدم في جنته[1].

لقد سارعتَ..وسارعتَ..وسارعتَ حتى وصلتَ.. فها هي ذي الجنة وها أنت ذا، ومنادي الحق ينادي عليك وعلى الأبرار المتقين: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ (يونس: 26) للذين أحسنوا العمل في الدنيا الحسنى، ولا حسنى أعظم من الجنة وهي الآن لهم ينغمسون فيها.. فيا حبذا ذاك المقام.

1- مسلم 4/ 1908.

أخيراً: إتكاءة الراحة الأبدية في جنة المأوى:

وبعد أن اطمأن على بساتينه ومملكته، وأثاث بيته، ولمس عياناً حوره ودوره وقصوره.. ورأى أن قد خلص من عذاب الله ومقته إلى رحمته وفضله، وقد كتبت له الجنة حقاً لا أمنيةً ووهماً.. قلَّب نظره في تلك النعم، وأعاد النظر إلى تلك المنن ((ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين)) مراتٍ ومراتٍ لما يرى من حسنٍ فائق، ودررٍ مصونةٍ ((فنظر إلى تلك النعمة)).. ((عندها يتكئ على أريكةٍ من أرائكه)) يتكئ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ﴾(الطور: 20).. يتكئ..يا لذة تلك الاتكاءة..يتكئ وهو يقول: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾(فاطر)..

ولما اكتملت اتكاءته وأخذ النفس العميق، والتنهد الطويل بالوصول إلى ما وصل إليه من نعمةٍ...شعر بأن مأواه قد تمَّ بعد طول عناءٍ وضنىً صبراً على دين الله وثباتاً على الحق المستقيم، وعملاً للصالحات في دار الابتلاء والتقويم..ومنادي الحق ينادي: ﴿أَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلْمَأْوَىٰ نُزُلًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾(السجدة).

أخيراً كانت جلسة الراحة..أخيراً.. أخيراً يا جلسة السعادة..أخيراً جلسة الفرح الدائم والبشر..والتفت يستذكر دنياه، وكيف نجاه الله وعافاه..

ثم أعلن ترتيله العذب الخالد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾ (الأعراف: 43).

اذكروا أيها المتقون: أعمالكم هي رحمةٌ من الله لكم، وتفضلٌ منه عليكم..

ألم يعدكم ربكم بذلك في الدنيا فقال لكم: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱعْتَصَمُوا۟ بِهِۦ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِى رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿١٧٥﴾﴾(النساء)..فها هو ذا سبحانه قد أدخلهم في رحمته، وزادهم من فضله..وهداهم إليه صراطاً مستقيماً.. نعم! ﴿ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾(النساء)..**اقرأ ذلك ثم اهتف أي أنيس الفؤاد: اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك.**

وعندما تزداد تأملاً في رحمة الرؤوف الرحيم تزداد حبا ًله: خلقك ثم رزقك، ثم هداك ثم وفقك للعمل الصالح، ثم كافأك بالجنة..كم يزداد حب الله في نفسك وأنت تفكر في ذلك..**ارفع رأسك وكرر: اللهم اجعل حبك أحب إلي من الماء البارد على الظمأ.**

كـرر علـيَّ الذكر مـن أسمائـه واجْـلُ القلـوب بنـوره وضيائـه
اسـمٌ بـه الكون استفـاد ضياءه فـي أرضـــه وفضائـــه وسمائـه
لا يحصر الوصَّافُ بعض صفاتـه كـــلا ولا يـدرون كنـــه ثنائـه

ضيافة الرحمن الفورية:

فور أن يدخل الجنة جمع الفائزين يكرمهم الرحمن بألذ أكلٍ يُشتهى في الدنيا هو ((زيادة كبد النون))،وهو الحوت..ثم يكون ((غذاؤهم على أثرها..أن ينحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها))، وأما ((شرابهم عليه فمن عين فيها تسمى سلسبيلا))[1]..

وعندها ((ينادي منادٍ: تحيون فلا تموتون أبداً، وتقيمون فلا تظعنون أبداً، وتصحون فلا تمرضون أبداً)).

لكم منازلكم وترثون منازل الكفار..وتنادونهم: هل وجدتم ما أخبرناكم؟:

فإذا دخلتم الجنة رفعت الجنة لأهل النار فنظروا إلى منازلهم فيها فقيل لهم: هذه منازلكم لو عملتم بطاعة الله..يا خيبة المتحسرين.. ثم يقال لكم معاشر أهل الجنة: فلترثوهم بما كنتم تعملون، فتقسم بين أهل الجنة منازلهم، ويهتف النداء الحق في أرجاء الجنة طمأنةً وزيادةً في التنعيم: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢﴾(الزخرف) هذه الجنة التي ورثتم منازلها بعملكم الذي استحققتم به فضل الله ورحمته..

1- مسلم 1/ 252.

أيها الفائز المتقي: هَنِّئ نفسك فقد دخلتَ في رحمة الله وفضله..وتنعم فقد نلتَ الشرف الأسمى والمجد الأعلى..

لكم – أهلَ الجنة الفائزين– ميراثٌ آخر.. فإنه ((لا يموت رجلٌ مسلمٌ إلا أدخل الله مكانه في النار يهوديا أو نصرانيا))[1]..سبحانه ربي وتعالى: تَعَّمَ بفضله من شاء، وعذب بعدله من شاء.

وعندها رأيت أصحاب الجنة ينادي كل واحدٍ منهم من كان يعرف من أصحاب النار ممن سخروا منهم، واستهزأوا بهم، أو حاربوهم ونكلوا بهم محادةً لله ولرسوله..ورأيتَ نفسك وأنت تنادي بعضاً من الطغام المعادين لحقائق الإسلام.. تناديهم بأسمائهم وأسماء آبائهم:
يا فلان بن فلان ويا فلان بن فلان.. ها أنت ذا بندائك تملأ قلوبهم توبيخاً وتصغيراً ونقمةً وحسرةً وندماً.. ثم تسألهم سؤال توبيخٍ وتقريعٍ وتعييرٍ: أيسركم أنكم أطعتم الله ورسوله؟ فإنا ﴿قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾(الأعراف: 44)[2].

عند ذاك أعلن المخبت المنيب: أعلن ترتيله الصادق بصوته الندي، وقلبه الشجي: ﴿لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ﴾ (الأعراف: 43).

الملائكة يدخلون من كل بابٍ دخول الخدمة والمحبة:
ولما استقر به المقام، وطاب له المثوى، وعالج ما جرى له من لذةٍ ونشوة..رأى الملائكة تدخل عليه من كل باب بالتحية الخالدة: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾(الرعد)..

ولما رأى ما أعد الله له في الجنة وما أعطاه قال مبتهجاً: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ (الصافات)..وقد يسمع من حواليه من خدمه، أو من ضيوفه، وهم يرون ما أصبحوا فيه من

1- مسلم 4/ 2119.
2- البخاري 4/ 1461.

نعيم..يسمعهم يهتفون فرحين خاشعين: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ﴿٦١﴾﴾(الصافات).

عندها كم يجدون من اللذة حين يذكرون الله الذي منَّ عليهم..بل كم يستلذون أن يقولوا: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ (الزمر: 74).

خدمك من الولدان..من أعظم النعيم في الجنان:

ولا تدري بأي نعيمٍ تلتذ، وأي صورٍ من صوره يصرف نظرك: أهي الكؤوس، أم ما فيها من شرابٍ يُمْتِعُ النفوس، أم من يقدمها من الخدم..فإن الذي يطوف عليكم بها هم أولاء ﴿وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴿١٩﴾﴾(الإنسان).. ولدانٌ مخلدون باقون على ما هم عليه من الشباب، والغضاضة، والحسنِ.. لا يهرمون، ولا يتغيرون ويكونون على سنٍّ واحدةٍ على مر الأزمنة.. على حالةٍ واحدةٍ مخلدون عليها لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن.. وتتأمل في لباسهم فتراهم مُسَوَّرِين مُقَرَّطين، ثم ترفع طرفك إلى وجوههم..فتحسبهم لأول وهلة ﴿لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴿١٩﴾﴾(الإنسان) من حسنهم وكثرتهم وصفاء ألوانهم ..وتتبعهم بصرك فتراهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم، وثيابهم، وحليهم..تحسبهم لؤلؤاً منثورا.. تظنهم لؤلؤاً مفرقاً في ساحات المجلس، واللؤلؤ إذا نثر على بساطٍ كان أحسن منه منظوماً، كما ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا ﴿١٩﴾﴾ (الإنسان).. إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم، وثيابهم وحليهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً.. ولا يكون التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن[1].

في جلسةٍ خلويةٍ مع النفس: تفكر ماذا ستطلب في الجنة؟

وفي جلسةٍ على الأرائك بين النمارق المصفوفة والأكواب الموضوعة..وأحياناً وأنت تتنزه في بساتينك بين الرياض النضرة..وأحياناً وأنت مع أصحابك..تفكر بنعيمٍ جديدٍ

1- انظر: تفسير ابن كثير 4/ 457.

تشتهيه وتطلبه ومع توالي المشتهيات..وتوفر سائر الملذات..فكرتَ فماذا يوجد في الجنة غير ذلك؟..يأتيك الجواب يطرحه خاطرك..أو يذكره لك خدمك: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا﴾(ق: 35) فمهما اخترتم وجدتم.. من أي أصناف الملاذ طلبتم نلتم.. وأُحْضِرَ لكم.. حتى إن "من المزيد أن تمر السحابة بأهل الجنة فتقول: ماذا تريدون فأمطره لكم فلا يدعون بشيءٍ إلا أمطرتهم"..تمتع بعض رواة هذا الحديث بذلك واستلذ حتى قال: لئن أشهدني الله تعالى ذلك لأقولن أمطرينا جواري مُزَينات..[1].

أيا حبيباه: وأنت ماذا تشتهي؟ أعدَّ لذلك.. وعدد مذ الآن..وسأخبرك فلا تمسح معي دمعة فرحٍ تسيل..

أتتمنى لحم طير؟ إنك لتشتهي الطير في الجنة فيخر بين يديك مشوياً إذا اشتهيته كذلك[2].

ماذا تتمنى؟ تتمنى الولد بدون آلام الحمل، وتعب الولادة، والإرضاع؟ فاسمع ((إذا اشتهى المؤمن الولد في الجنة كان حمله، ووضعه، وسنه، في ساعةٍ واحدةٍ كما يشتهي))[3]..

وفي هذه الأثناء ربما رأيت آخر من أهل الجنة ((استأذن ربه في الزرع، فقال له: ألستَ فيما شئتَ؟ قال: بلى، ولكن أحب أن أزرع فأبذر)) كان هذا من الشهوات المشتهيات التي أحب أن يتمتع بها..فكان له ما أراد..((فبذر، فبادر الطرفَ نباتُه واستواؤه واستحصاده فكان كأمثال الجبال)) بادر الطرفَ..سبق العينَ ظهور نبات البذر، واستواؤه واستحصاده..((فيقول الله: دونك يا ابن آدم فإنه لا يشبعك شيء))[4].

1- تفسير ابن كثير 4/ 229.

2- المعتمد في هذا عموم قوله تعالى ((ولهم فيها ما تشتهي الأنفس..)) ونحوها من الآيات.. وليس الحديث الخاص بذلك الذي فيه ذلك بخصوصه والذي رواه البزار 5/ 401، وذكر الهيثمي في مجمع الزوائد 10/ 414 أن فيه ضعيفاً، ولذا لم نضعه بين قوسي حديث.

3- ابن حبان 16/ 417، الترمذي 4/ 695 ، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني.

4- البخاري 2/ 826.

كل ما تشتهيه يتحقق لك..ولم لا؟ إنه وعد الله خالق البشر لا وعد البشر..فاستمع لنداء الحق: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ۝٣١ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ۝٣٢﴾ (فصلت)..

إنه النعيم..وها أنت ذا أيها البار بنفسك ودينك وأهلك..ها أنت ذا من الأبرار..أما سمعت وصف الرحيم الغفار: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾(الانفطار: 13)

فما أشرف من أكرمه المولى العظيم، وما أسعد من خصه بالتشريف والتعظيم، وما أقرب من أهله للفوز والتقديم، وما أجل من أثنى عليه العزيز الرحيم! ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (الانفطار: 13)..

نُعِّموا في الدنيا بالإخلاص في الطاعة، وفازوا يوم القيامة بالربح في البضاعة، وتنزهوا عن التقصير والغفلة والإضاعة، ولبسوا ثياب التقى وارتدوا بالقناعة، وداموا في الدنيا على السهر والمجاعة، فيا فخرهم إذا قامت الساعة، وقد قربت إليهم مطايا التكريم! ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾ (الانفطار: 13).

طال ما تعبت أجسامهم من الجوع والسهر، وكفت جوارحهم عن اللهو والأشر، وحبسوا أعراضهم عن الكلام والنظر، وانتهوا عما نهاهم وامتثلوا ما أمر، وتقبلوا مفروضاته بالسمع والبصر، وتغنوا بكلامه والقلب قد حضر، واستعدوا من الزاد ما يصلح للسفر، فالخوف يقلقهم فيمنعهم قضاء الوطر، والعبرة تجري والقلب قد اعتبر، فيا حسنهم في جوف الليل ووقت السحر، السر صافٍ والحال مستقيم ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ۝١٣﴾(الانفطار).

جَنَّ الظلام فزمت مطاياهم، وجاء السحر فتوفرت عطاياهم، وكثر الاستغفار فحطت خطاياهم، وكلما طلبوا من فضل سيدهم أعطاهم، فسبحان من اختارهم من الكل واصطفاهم، وخلصهم بالإخلاص من شوائب الكدر وصفاهم، فليس المقصود من الخلق

بالمحبة سواهم، أزعجتهم عواصف المخافة فتداركهم من الرجاء نسيم! ﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣﴾ (الانفطار)[1].

مهلاً! أيا خاطب الجنة: ماذا نسيت مما تشتهي..هل تتذكر أو تريد من يذكرك؟:

وفي الجنة..هناك رأيتَ رجلاً يطلب خيلاً فإذا الخيول قد ملأت عليه جنانه تزين الجنات والجنات تزينها..فاشتهيت الخيل فإذا هي أمامك تطلب حنان يدك..لربما دمعت عينُك فرحاً وأنت تذكر أن رجلاً قال للمصطفى المختار ﷺ : يا رسول الله! إني أحب الخيل فهل في الجنة خيل؟ فقال: ((إن يدخلك الجنة إن شاء فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتةٍ حمراء تطير بك في أي الجنة شئت إلا فعلت)) فقال أعرابي: يا رسول الله إني أحب الإبل! فهل في الجنة إبل؟ فقال: ((يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة إن شاء الله ففيها ما اشتهت نفسك ولذت عيناك))[2]..أتشك في صدق الحديث أو صحته؟ فحسبك أن تعلم أن لكم في الجنة ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدعون..حسبك أيها المشتاق أن تذكر نداء الحق: ﴿وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ٧١﴾ (الزخرف:71).

والآن أيا عاشق الجنة: مهلاً! أيا خاطب الجنة: ماذا نسيت مما تشتهي..تَذَكَّرْ.. أو تريد من يذكرك؟..

نعم! أنهم أهل الجنة ﴿مَا ٱشۡتَهَتۡ أَنفُسُهُمۡ خَٰلِدُونَ ١٠٢﴾(الأنبياء)..مهما اشتهيتَ لُبِيَ لك حتى إنك لتشتهي "الطائر وهو يطير فيقع لك ولأوليائك نضيجاً في كفك، فتأكل منه حتى تنتهي نفسه ثم يطير..فهو وأنت من الخالدين..لكن شتان هو لك أما أنت فمُسَبِّحٌ مُتَنَعِّم، وإنك لتشتهي الشراب فيقع الإبريق في يدك، وتشرب منه ما تريد ثم يرجع إلى مكانه[3]..

..إنها الجنة..أَجْرِ دمعاً مغزاراً في طلبها، واستعن على ذلك يا طالب الفلاح..استعن

1- التبصرة ص 227.
2- الترمذي 4/ 681، أحمد 5/ 352، أبو داود الطيالسي ص 108
3- انظر: تفسير الطبري 25/ 97.

على ذلك بشيءٍ من الدلجة والغدو والرواح..وأكثر من سؤال ربنا الكريم فالق الإصباح:

أشكو إليك أموراً أنت تعلمها فتور عزمي وما فرطت في عمري
وفرط ميلي إلى الدنيا وقد حسرت عن ساعد الغدر في الآصال والبكرِ

فرحةٌ جديدةٌ..ها هم أولاء أخلاؤك وأقرباؤك..إنه اجتماع الشمل:

أيا صاحب القلب المنيب! ثم تحدث لك فرحةٌ كبرى..إذ إنك تدخل جنات عدن ويُشار لك بالأصابع من الملائكة والمقربين ويقال عنك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٢ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ (الرعد)..ولكنك لا تدخلها وحدك بل يدخلها معك الصالحون من أقاربك وأحبابك..آه لكم أخافتك أهوال يوم القيامة، وعظائمها..كم زلزل قلبَك الميزانُ..ووزنُه..وتطايرُ الكتب عن الأيمان والشمائل..كم أرعبك الصراط وهولُه..كم أخافك ذلك الهول فانشغلتَ وطار قلبُك عن كل خليلٍ لك من أبٍ وأمٍ وبنين وأقرباء..

فالآن..الآن أيا أيها البار قد منَّ الله عليك فوصلتَ دار السلام..الآن قد ارتحت واتكأت اتكاءة السعادة الدائمة..وقرَّتْ عينُك وأنت ترى كل لذةٍ تشتهيها..وفوقها أضعافاً..فتساءلت عن أخلائك وأحبِّ الناس إليك..

تساءلتَ: أينَ أمي الحبيبة الغالية..ما أحلى صلاتها في الدنيا، وقيامها بين يدي ربها خاشعةً..ما أجمل دمعتها من خشية الله، وحبها للطواف حول البيت، وقضاء المناسك خاضعة..كم كانت تشتاق لبيت الله الحرام بقلبٍ متلهفٍ، وعينٍ دامعة..

تساءلتَ: أين أبي الحبيب..لَكَمْ أسرني تخلقه بأروع أخلاق الصالحين..لَكَمْ شدني تواضعه وظهوره بمظهر المخبتين..لَكَمْ رفع عزيمتي سَهَرُه..سهره ولكن مصلياً قانتاً مع القائمين..

تساءلت: رباه أين زوجتي فلانة.. يا لِحُسْنِ إخباتها حين كنا نهتف باسم الله في صباحنا ومسائنا..ورضانا وغضبنا..

تساءلتَ: أين بَنِي..أين أبنائي: ثمرة قلبي، ومهجة فؤادي، وبهجة روحي..كم حاولتُ تربيتهم على ذكر الله..وحب الله..وولاية الله..

تساءلتَ: أين إخواني..كم كنا نتذاكر اليوم الآخر فيُقرون بذنوبهم للرحيم الغفور.. وتجري أعينهم لهفى يبغون التوفيق في صراط الدنيا..والوصول إلى الفوز في الأخرى.. يرفعون أيديهم يطلبون المغفرة على التقصير..

لربما تساءلتَ: أين أخي فلان..لكم أعانني على النوائب..وثبتني على صراط الله العظيم على الرغم من تتالي المصائب..

عندها جاءتك فرحةٌ ليس لها مثيلٌ..لقد أدخلك الله جنات عدن..نعم..أدخلكم جنات عدن ﴿وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ﴾(الرعد: 23).. يصف ربي – عزَّ جاره– ذلك تبشيراً للمفلحين من عباده فيقول: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ﴾(الطور: 21) فساوينا بين الكل في المنزلة لتقر أعينهم، وما نقصنا العالي حتى يساوي الداني بل رفعنا ناقص العمل فساويناه بكثير العمل تفضلاً منا ومنة.. اسمع لوصف ذلك من سعيد بن جبير: (إن المؤمن إذا دخل الجنة سأل عن أبيه وابنه وأخيه أين هم فيقال: إنهم لم يبلغوا طبقتك في العمل.. فيقول: إني إنما عملتُ لي ولهم فيُلحقون به في الدرجة)[1].

في هذه الجنات ائتلف شملكم مع الصالحين من آبائكم وأزواجكم وذرياتكم.. دخلوا الجنة بصلاحهم واستحقاقهم..ولكنهم يكرمون بتجمع شتاتهم، وتلاقي أحبابهم، وهي لذةٌ أخرى تضاعف لذة الشعور بالجنان.

1- تفسير ابن كثير 4/ 73.

لحظةٌ للمقارنة:

وتفكرت أيا حبيباه فيما تراه من نعيم الجنة وبهجتها..ولكن أتقارن ما يوجد في الدنيا من لذةٍ بها؟ لا! فقد وعيتَ الآن معنى القاعدة العامة: ((ليس في الجنة شيء مما في الدنيا إلا الأسماء))[1]..فارجع طرفك للدنيا وقل لصاحبها ممن اغتر بها:

لا يُلْهِـينَّك منـزلٌ لعبـتْ بـه ... أيـدي البِـلَا من سالف الأزمان
فلقد ترحـلَ عنـه كـل مسرةٍ ... وتبـدلـتْ بالهـمِّ والأحـزان
سجنٌ يضيـق بصـاحب الإيمـان ... لكن جنـة المأوى لـذي الكفران
سُكانُهـا أهـل البطالة والسفاهة ... والجهـالـة أنجـسُ السكـان
وألذهـم عيشـاً فـأجهلهـم ... بحـقِّ اللـه ثـم حقائـق القـرآن
عَمُرَتْ بهم هذي الديار وأقفرت ... منهـم ربـوع العـلم والإيمـان
قـد آثـروا الدنيـا ولـذة عيشـها ... الفـاني على الجنـات والرضـوان

يا أهل الجنة تلذذوا..تمنوا..تنعموا..ولكم بعد ذلك ما هو أكثر فاسمعوا معه نداء الحق الدائم حواليكم: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾(ق) مما لا يخطر لكم على بال..ولا تستطيعون تصوره لتتمنوه، أو تشتهوه.. نعم لكم الجنة وزيادة..وَضَعْ كل ما يخطر على بالك من معاني الزيادة هنا؟ إن لكم ذلك أيها المتقون..أو لم تكونوا من المحسنين في عملكم وإنفاقكم وحبكم لأنفسكم وللآخرين..فالآن خذوا شارة السعادة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(يونس: 26).

..ولربما لهجت عندها مجدداً ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾(فاطر)

سبحانك ربي: غفرت لنا الكثير من السيئات وشكرت لنا اليسير من الحسنات..فلك

1- الضياء في المختارة 10/ 16موقوفاً على ابن عباس، وقال في الترغيب والترهيب 4/ 316: رواه البيهقي موقوفاً بإسنادٍ جيد، وصححه الألباني في الصحيحة 2188، وصحيح الجامع الصغير 5410.

الحمد..فقل لمتعجبٍ يرى شدة حبك لتلك الربوع..يرى تساقط الذهب يبرقُ في الدموع:

أنكرتَ ذلي فـــأيُ شـيءٍ أحســـنُ مـــن ذِلة المحـبِ

أليس شوقي وفيــض دمعي وضعـف جسمي شهود حبي[1]

1- أنشدها إبراهيم بن إسحاق الحربي..وشهوده المذكورة في هذا الموطن شهودٌ ثقات.انظر: تاريخ بغداد 6/ 27.

الفصل الرابع

إنـــها.... الجـــنَّـة
تقلب هناك..لترى نعيماً
وملكاً كـبيرا

فلله ما في حشوهـا مـن مسـرةٍ وأصـنـافِ لـذاتٍ بها يُتَنـعـَمُ
وللـه بـرد العيـش بيـن خيـامهـا وروضاتها، والثغر في الروض يَبْسُمُ
بذيالك الـوادي يهيـمُ صبابـةً محبٌّ، يـرى أن الصبـابة مَـغْنَمُ

المشهد الأول

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ (الإنسان)

نظرةٌ عامةٌ عليهم وهم في ملكهم..أظننت أنك تستطيع التعبير عما ترى؟:

أَنْعَمَ صاحبُ القلبِ المنيبِ النظرَ في عيشه الذي اشتاق له العاشقون، وهام به المحبون، ورجاه المتيمون..ونظر في مملكته ثم نظر..وكرر النظر فكان أبلغ وصفٍ قول الله – عزَّ جاره: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾(الإنسان)..ملكاً كبيراً..

أيا عاشق الجنة: ملكُكَ الكبير في الجنة.. هل يبلغ كنهه ومداه إدراك؟ هل يقدر فكر التصور أن ينصب لتصويره الشباك؟.. والجنة هي الجنة..ليست كأي جنةٍ بل هي ﴿جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾﴾ (الحاقة: 22) عظيمةٌ في النفوس..

يا صاحب القلب المنيب: إنها الجنة:

رفيعةٌ قصورها..حسانٌ حورها..نعيمةٌ دورها..دائمٌ حبورها..وهي عاليةٌ.. تراها..فإذا هي عبارة عن ((مائة درجة ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض))[1]..

يا مقيم الصلاة: إنها الجنة:

ذات الدرجات العاليات، والغرف الآمنات، والمساكن الطيبات، والأوانس الناعمات...

وانظر إلى نفسك وأنت تُقَلِّبُ الطرف في الجنة: أتجد كلماتٍ يمكنها أن تعبر عنها حق التعبير، أو تصفها حق الوصف..وحتى ترى مقدار عجزك عن تصوير ما في الجنة من نعيمٍ ..يكفي أن تردد قول الله ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾

1- البخاري 6/ 2700، مسلم 3/ 1501.

(السجدة)..لا تستطيع أي نفسٍ أن تتصور، أو تدرك ما أخفاه الله لها من النعيم الذي تَقَرُّ به عينها، وتلذ به نفسها..

أي حبيباه: أنى لنفسٍ مهما أوتيت من ذكاءٍ وتصورٍ وإدراك..أن تعلم بما أخفاه الله لها من قرة أعين.. وأنت تنظر في الجنة فترى أن ((قاب قوسٍ في الجنة خيرٌ مما تطلع عليه الشمس وتغرب))[1]..قدر موضع القوس في الجنة خيرٌ من الدنيا وما فيها مما طلعت عليه الشمس وغربت..بأشجارها وأنهارها ونسائها وخيراتها وأموالها.. فأنى لنفسٍ أن تعلم بما أخفاه الله لها من قرة أعين...؟

أي أُنسَ النفس: أنى لنفسٍ مهما أوتيت من ذكاء أن تعلم بما أخفاه الله لها من قرة أعين..وأنت تنظر فترى أن ((موضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها))[2].. فأنى لنفسٍ أن تعلم بما أخفاه الله لها من قرة أعين...؟

أي نبضَ الفؤاد: أنى لنفسٍ مهما أوتيت من ذكاء وتصور وإدراك..أن تعلم بما أخفاه الله لها من قرة أعين..وأنت ترى ((أن ما يُقِلُّ الظفرُ مما في الجنة)) لو أنه ((بدا لتزخرفت له ما بين خوافق السموات والأرض))، ((ولو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم))[3].. فأنى لنفسٍ أن تعلم بما أخفاه الله لها من قرة أعين...؟

ولا خيال...فأنت الآن تعاين حقيقة الحال، وإن عجزت عن تصوير ذلك بالمقال..اقرأ – أيا رفيق الروح–اقرأ الآن قول ربك مخبتاً خاشعاً خاضعاً باكياً ﴿فَلَا تَعۡلَمُ نَفۡسٞ مَّآ أُخۡفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعۡيُنٖ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٧﴾(السجدة)..اقرأها مرتلاً خاشعاً متلهفاً عازماً على تقديم

1- البخاري 3/ 1029.
2- البخاري 3/ 1059.
3- الترمذي 4/ 678، وصححه الألباني.

المهر، **ثم ادع بإخباتٍ: اللهم إني أسألك الفردوس.. برحمتك.. برحمتك يا أرحم الراحمين.**

رأيتَ نعيماً..رأيت ملكاً كبيراً:

ارم ببصرك حيث شئت من مملكتك..فإنك إذا ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ (الإنسان) إذا رأيت ببصرك في أرجاء مملكتك أو في أرجاء الجنة رأيت نعيماً وملكاً عريضاً كبيراً عظيماً حتى إنك -أيها المخبت المنيب- ترى الرسول يأتي من عند الله بكرامةٍ من الكسوة والطعام والشراب والتحف إليك وأنت في منزلك، فيستأذن عليك وأنت فيما أنت من اللذة والسرور..فتجده قد أرسله رب العالمين بكتابٍ وهديةٍ وتحفةٍ منه لم ترها من قبل في الجنة قط..[1].

إنه المقام الطيب الأمين: وتنقلتَ في أرجاء ملكك، ومكان إقامتك الجديدة..فوجدته حقاً المكان الطيب الأمين..وإنما يكون المقام طيباً بأمرين:

الأول: أن يكون الساكن فيه آمناً من جميع ما يخافه ويحذر منه..وهو هنا كذلك؛ إذ ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾ (الدخان) هنا..

والثاني: أن يكون فيه أسباب النزهة والسعة من الجنات والعيون..وأنتم أيها الفائزون هنا ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾﴾(الدخان)..

ويكفي أن تعلم سعة مملكتك بعلمك أن أدنى ((أهل الجنة منزلةً لينظر في ملكه ألفي سنةٍ.. يرى أقصاه كما يرى أدناه..ينظر في أزواجه وخدمه))[2] نعم! نعم! فمتع نفسك وعينك يا ذا السعي المشكور: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾(الإنسان). إنها اختصارٌ لوصف الأشواق، وإجمالٌ لمن أراد السباق: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾ (الإنسان).

1- تفسير القرطبي 19/ 144.
2- أحمد 2/ 13.

وهذه مجرد مناعِمَ يمكن أن نتصورها وندركها ؛ ووراءنا مناعمُ أخرى نعرفها هنالك يوم نتهيأ لإدراكها مما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلب بشرٍ!.

عند ذاك لربما تذكرتَ لماذا نهى النبي ﷺ أن يُسأل بوجه الله إلا الجنة..إن الله هو العظيم وهو الخالق..ولا يسأل بوجهه إلا عظيمٌ من مخلوقاته وهو الجنة..

أنت بشرٌ! بدأت تحاول إحصاء ملكك وسعة مملكتك..أتستطيع؟:

وتساءلتَ باندهاشٍ وفضولٍ وتطلعٍ وطموحٍ: إذا كانت هذه مساحة مملكةٍ لواحدٍ من أهل الجنة فكم هي مساحة الجنة..؟ كم سعتها؟ والذكرى تأتيك بالجواب..إذ تذكر دون ارتياب قول الله –جل وعز– ﴿عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾(آل عمران: 133)..الآن ترى ذلك عياناً..وتجد ما قال ربك حقاً فإذا قَرَنْتَ السموات والأرض وجَمَعْتَ بعضها إلى بعض ثم بسطتها كما تبسط الثياب.. ووصلتَ بعضها ببعضٍ فكم سيبلغ مدى طولها يا ترى؟ لا يحتمل ذلك عقل الإنسان..ولكن مهما بلغ مداها فذلك سيكون عرض الجنة..هذا العرض فقط فكيف الطول حتى نعلم المساحة..؟ إذا كان ذلك العرض فإنه لا يستطاع وصف طولها؛ إذ لا يعلم طولها إلا الله[1]..فكيف ستكون الجنة اتساعاً وانفساحاً.. بل وأنت تسمع هذا الكلام الإلهي في تحديد عرضها فإنما يدلك ربك على أوسع شيءٍ رأيت طرفاً منه..فالأمر أعظم إذن..وعندها تمنيتَ الطيران لترى ما يظهر لك من سقف الجنة فأُعطيت ذلك..وما إن وصلتَ إلى مكانٍ يمكنك من رؤية سقفها نظرتَ فلم تستطع الإحاطة بكنهه اتساعاً، وعلواً، وجمالاً..وأُخبرتَ هناك أنه عرش الرحمن[2]..وإذا كانت المخلوقات كلها بالنسبة إليه كالحلقة فمن ذا الذي يقدر قدره، ويعلم طوله وعرضه ويدرك أمره إلا الله خالقه الذي لا نهاية لقدرته..ولا غاية لسعة مملكته –جلَّ جلاله–[3].

بعد أن تستقر في نعيمك في الجنة، وتطمئن على أن الله قد أحلَّ عليك رضوانه..

1- انظر: تفسير القرطبي 4/ 204.
2- انظر: البخاري 1028.
3- انظر: تفسير القرطبي 4/ 205.

وبعد أن تشفعوا لأصحابكم ممَّن دخل النار..وبعد أن تطمئنوا بمقام الحق، ونعيم الصدق تسمعون هواتف الحق تنادي: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَنَهَرٖ ۝٥٤ فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۢ ۝٥٥﴾ (القمر)..ولربما عادت الذكريات تنثال:

أهذا هو مقام الصدق..ما أشد ما أضنينا من أجله النفوس..وأتعبنا في فكره الرؤوس ..فإذا هو فوق ما تشوفنا..وأعظم مما طلبنا..لولا رحمةٌ من ربنا لما كانت أعمالنا تساوي ذرةً مما به نتمتع..

أتريد أن تعرف التفاوت بين المؤمنين في الدرجات؟ قم بجولةٍ لترى معه وجهك الصافي الذاهل:

لعل فضولك المعرفي ولذتك لإدراك ما حواليك حَدَتْ بك إلى إرادة التعرف على تفاوت درجات المؤمنين في الجنة، وطاب لك أن تأخذ معلوماتٍ كافيةً عن درجات الجنة مع اطمئنانك بأن الذي أوتيته لم يؤته أحدٌ من العالمين، فلا غل ولا حسد ولا تباغض..وهنا تحركتَ لتقوم بجولةٍ..فرأيتَ..وما أدرى القلب الولهان المشتاق للجنان بما سيرى؟ رأيتَ ما تنسكب عنده الدموع..رأيتَ وسمعتَ ما يثير القلب الولوع؛ فإنك ترى فقط درجاتٍ لأحد أصناف المؤمنين، ويهولك الفارق العظيم بين هذه الدرجات فـ: ((في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض))[1]..فقط إن ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض..مجرد ما بين السماء والأرض.. أتراها مسافةً قصيرةً؟ انظر.. وأعلن للملأ من أهل النار خلفك: يا ليتكم كنتم تعقلون..ليتكم كنتم توقنون.

لعلك تذكر هنا مقالة قيس بن هبيرة وهو يصيح بالناس مشتاقاً.. يذكرهم هذا النعيم االباسق حين أحجم بعضهم عن المبادرة إلى الطاعات مفراقاً: ((وتزعمون أن قتيلنا يدخل الجنة، ويصيب نعيماً لا يشاكله نعيم! فأين تَدَعون الجنة وتهربون منها وتزهدون فيها، وتأتون قَرَحاً والحِجْر! لا صحب الله من سار إليها ولا حفظه)) فأين إلى أين تَدَعون الجنة...

1- البخاري 3/ 1028.

فالآن الآن يا قوم ظهر الصباح، واستبان زيف المصباح..فهل من مشتاقٍ يستعين بالدلجة والغدو والرواح..؟.

درجاتٌ رفيعةٌ، بعضها فوق بعض..هل تطمح لها؟:

ثم اتضحت لك أقسام الجنة فإذا هي منازل ودرجاتٌ عاليةٌ عظيمةٌ بعضها فوق بعضٍ..فأهل الغرف أعلى من سائر أهل الجنة..إذ طرق سمعك منادي الحق وهو يردد وعد الصدق: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلۡجَنَّةِ غُرَفٗا تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ نِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ ٥٨﴾(العنكبوت)..وتأمَّلتَ في حالهم.. فرأيتَ أن الله قد بوأهم مبوأ صدق فأنزلهم غرفاً..نعم أصدق وصفٍ﴿غُرَفٗا﴾ (العنكبوت: 58) والغرفة هي العلية المشرفة، وغرفهم عالية مشرفة على أهل الجنة..فهي القصور الشاهقة ﴿لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ﴾(الزمر : 20) فهي طباق فوق طباق مبنياتٍ.. محكماتٍ.. مزخرفاتٍ.. عاليات..ويكتمل المشهد الرائع بجناتٍ تجري من تحتها الأنهار..

وترى علوها الباسق الذي لا يطيقه إدراكٌ بشري..حتى ((إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب لتفاضل ما بينهم))[1]..

والغرف يا للغرف! أَبْشِرْ..أَبْشِرْ؛ فإنها ليست خاصةً بالأنبياء..بل رأيتَ هناك المجد والسناء قد لحق بقومٍ سكنوها..يا طيبَ المسكن، وهم يعيشون فيها يا لذة العيش..إنهم ﴿رِجَالٞ صَدَقُواْ مَا عَٰهَدُواْ ٱللَّهَ عَلَيۡهِ﴾(الأحزاب:23)..لقد آمنوا بالله وصدقوا المرسلين..أَكْرِمْ وأَنْعِمْ ..إنها الأعمال الصالحات..كم رفعت برحمة الله أناساً إلى أعلى الدرجات..وجعلتهم ينعمون بالغرف وهي أنعم الجنات..اهتف راجياً محسناً الظن بالغفور الرؤوف الرحيم ﴿هُمۡ دَرَجَٰتٌ عِندَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا يَعۡمَلُونَ ١٦٣﴾(آل عمران)..

1- انظر: البخاري 3/ 1188.

كرر مشهد التفاضل في الدرجات فيما بين أهل الجنات العاليات..ثم اهتف بلسان الرجاء:

يا من امتدتْ لمسألته أكف السائلين..

يا من خرتْ لعبادته وجوه الساجدين..

يا من عَجَّتْ بالرغبة إليه أصوات المحتاجين..

يا من طَمَحَتْ لعظيم رحمته أعين الآملين..إن كان صَغُرَ في جنب عطائك عملي..فقد كبر في حسن رجائك أملي..وأنت أرحم الراحمين.

ولربما سألتَ بعض سكانها: أي شيءٍ أوصلكم إلى هذه المرتبة العلية، والمكانة السامقة السنية؟ فأجابك والصفاء يملأ وجهه، والهناء يحيط نفسه..أجابك بنفسٍ متلهفةٍ متحمسةٍ:

لقد أطبتُ الكلام..أي أخاه: لقد أطعمتُ الطعام..-وتابع-: لقد أدمتُ الصيام..

أي خليلاه: لقد صليتُ لله بالليل والناس نيام[1]..

فيا حسرتاه من متكأ غَفْلَةٍ يحيا فيه غَفَلَةُ الأنام..

والآن أيا حبيباه: أتبكي على التفريط في الأيام الخاليات؟..

فسرْ في الطريق المستقيم إلى العلا على الصدق والإخلاص والبر والتقى
وإياك والدنيا الغرور فإنها متاعٌ قليلٌ مالها أبداً بقا
وتلهيك عن جناتِ خلدٍ..نعيمها يدوم ويصفو..حبذا لك ملتقى

فئة المحبة الصادقة..ارتقت مكاناً علياً بنفسٍ واثقة..وصارت مناراً للأنفس الوامقة:

ورأيتَ هناك من الدرجات المتميزة التي كنتَ - أنت يا للشرف- في إحداها..رأيت غرفاً

1- انظر: تفسير القرطبي 13/ 359.

ضمت فئة الحب الحقيقي في الله بغير ادعاءٍ..فما أكثر المدعين..وهُيئَتْ لمن آخى في الله حق االإخاء..فيا ضيعة المنافقين..

انظر إلى نفسك وإليهم: إنكم فئة المتحابين في الله..لكم المنزل الكريم..والجاه العظيم..ارتقيتم مكاناً علياً بنفسٍ واثقة برحمة ربكم بكم..فإن ((المتحابين ترى غرفهم في الجنة كالكوكب الطالع الشرقي أو الغربي))[1].. ويتساءل أهل الجنة وهم يرون هذه المنزلة الرفيعة تطل عليهم من أمكنتهم..يتساءلون: ((فيقال: من هؤلاء؟)) كيف استحقوا هذه المرتبة العلية..ويأتي الجواب..باقتضابٍ.. محببٍ لأولي المشاعر الصادقة التي يحوزها أولو الألباب: ((فيقال: هؤلاء المتحابون في الله عز وجل))..إنه الحب الصادق في الله..

أيا خليلاه: إنه الحب الذي كان لكم في الدنيا هو "الحياة التي من حُرِمَها فهو من جملة الأموات، والنور الذي من فقده فهو في بحار الظلمات، والشفاء الذي من عَدِمَه حلت بقلبه جميع الأسقام، واللذة التي من لم يظفر بها فعيشه كله همومٌ وآلام"[2].

تقدم فهناك ما هو أعلى منه، وقابل هناك أعمدة الإسلام..الراشدين الكرام:

ومن أعلى درجات الجنات مكانٌ تراءى لك ترائياً، وعلمت أنه الذي يسمى بالفردوس وهو – يا للعظمة–((أوسط الجنة وأعلى الجنة)) تراه هناك أو يتراءى لك، و((فوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة))[3].. وهناك نظرتَ إلى هذا التفاوت العظيم في درجات الجنة وحاولت إحصاءه فلم تستطع..وكيف تستطيع وقد علمتَ أن ((أهل عليين يراهم من هو أسفل منهم كما ترون الكوكب الغابر في أفق السماء))[4]..وبدا لك أناسٌ من أهل عليين طالما شدك الشوق إليهم..طالما تمنيتَ رؤيتهم: منهم أبو بكرٍ وعمر وعثمان وعلي..أوتاد

1- أحمد 3/ 87.
2- انظر: مدارج الساكين 3/ 7.
3- البخاري 3/ 1028.
4- أحمد 3/ 50.

الإسلام، وأركان الحق العظام، وخير من صلى وصام.. بعد الأنبياء الكرام.. وغيرهم من الأفذاذ الذين تهفو لهم القلوب، وتراهم من وراء حجب الغيوب..وعندما يبدو..عندما يظهر أحدهم، ويشرف على أهل الجنة يحدث للجنة وهجٌ أخَّاذٌ..فـ((إن الرجل من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة فتضيء الجنة لوجهه كأنها كوكبٌ دري))[1].

يا حسن تلك الوجوه..لطالما كنتَ تناجي الواحد منهم عسى أن تصحبه، أو تراه..ولو رؤيا منامٍ..طالما رددتَ له منشداً.. وناجيته مسعَداً:

لا أعرفُ من أي الطرقاتِ أسير إليك

وأنت الفاتحُ للطرقاتِ

لا أعرفُ من أي الهالاتِ أطلُّ عليك

وأنت المشرق بالهالاتِ

هاهو الواحد منهم ((من أهل عليين ليشرف على أهل الجنة.. فتضيء الجنة لوجهه كأنها كوكب دري))[2]..**أضاءوا الأرض بنشر الحق في عامة الخلق، وإقامة القسط في أزمنة القحط..فأضاءوا الجنة بسناهم**..هذا مقامهم.. فكيف يكون مقام أعظمهم وأجلهم..سيدنا محمد ذي المقام الأحمد، والمكان الرفيع الأسعد ﷺ ؟.

ومنادي الحق ينادي: ﴿وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾﴾(الإسراء)..

وهناك رأيتَ أقواماً من غير المجاهدين قد ارتقوا مرتقى عظيماً، ورُفِع بعضهم إلى الفردوس، وبعضهم دنا منها، وعلمت أن ذلك كان بسبب اجتهادهم في الدعاء بالوصول إلى منتهى الأمل وغاية الرجاء..وقرع سمعك ما كان النبي ﷺ يقوله في الدنيا: ((فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس))[3].

1- أبو داود 4/ 34.
2- أبو داود 4/ 34.
3- البخاري 3/ 1028.

لا تحزنْ أيا صاحب القرآن! لا تحزن..فإن مجرد كسب الجنة هو الفوز العظيم..ولكن لا تقف عند ذلك بل ألهب فؤاد العزم وسل الله الفردوس، وابذر لها بذور الطاعات لترقى بك إلى أعلى الغايات..حيث الفردوس الأعلى، ولربما تنعمتَ بما تشتهيه من رحلةٍ لترى ذلك الجمال، وتسمع دوي تسبيح الملائكة عن قربٍ..**فترى الجمال والجلال..يا حبذا تلك الرحال..أيها القلب استقم وقل متى إلى تلك الديار تشد الرحال..اللهم اجعل ذاك حقيقة الحال لا مجرد خبرٍ عابرٍ يعتريه الزوال.**

زيارةٌ خاصةٌ لأعظم الأحبة.. حبيبٌ طالما تمنيت رؤيته..ولكنه من الأرفعين أعمالاً.. إنه من السابقين:

لربما لاحت في ذهنك صورة السابقين الأولين من آل البيت الأطهار، ومن المهاجرين والأنصار..وتذكرتَ أعلام الهدى من الربع المقدمين الأخيار..وما أكثر ما اشتقت إلى رؤيتهم مناماً في دنياك..وها أنت ذا في عالم الحقائق أفلا تزورهم وقد أمضَّ الشوق فؤادك لرؤيتهم؟ فمن تريد أن تؤم؟: أأبو بكرٍ الصديق ناصر الإسلام، ومثبت دعائم الدين العظام في زمنٍ وهى فيه الناس حتى الأعلام، أم الفاروق الصداح بالحق.. القائم بالصدق، الذي بسط الله به للأمة زهرتها، وأعلى به دينها.. وصار بذلك على سائر الأمم فخرها..أم عثمان وعليٌ والسابقون معهم ممن ذاب القلب شوقاً إليهم..وناح الفؤاد رغبةً في اللحاق بهم من﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾(النساء)..يا حسن رفقتهم، ويا عز صحبتهم، ويا جمال أخوتهم..

لربما طمح بصرك في الذهاب إليهم..ولن تستطيع وصف ما اجتاحك من نعيمٍ عند اللقاء بهم، أو غمرك من سعادةٍ عند رؤيتهم ومحادثتهم..ذاك هم فكيف بالحبيب المصطفى والشفيع المرتجى، والخليل المجتبى ﷺ ..وإذا كان الكلمات تعيا عن الحديث عن ذلك فقد انساق الوصف إلى ما رأيته في ممالكهم من نعيمٍ، وما أبصرته من فوزٍ عظيم..إنهم السابقون..السابقون ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ١١﴾(الواقعة)..

أعياك ما رأيت فلا تستطيع وصفه..فكيف ستصنع؟

لقد أعياك ما رأيت من نعيمٍ، وما أبصرت من ملك عظيم..فاكتفيتَ بأن تعطينا صورةً سريعةً معترفاً بعجز الكلمات عن الإحاطة، وقصورها عن ذكر الأمر على سبيل الحقيقة..

صورةٌ سريعةٌ..كيف يمكن لسمعك وبصرك التقاطها، وهي كالضوء سرعة:

تراهم هناك متكئين ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾﴾(الواقعة) منسوجة بالذهب واللؤلؤ.. مشبكة بالدر والياقوت ﴿مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾﴾(الواقعة).. إنها وجوهٌ بعضها إلى بعضٍ ليس أحد وراء أحد..من حبهم ولهفتهم وشوقهم إلى أصحابهم..فهذا مع أصحابهم..فكيف يكون الأمر مع أهاليهم؟ يتكئون متقابلين في راحةٍ وخلو بالٍ من الهموم والأشغال.. يتسامرون تسامر اللذة والجمال.

وهم في اتكاءتهم ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾﴾(الواقعة) على صفةٍ واحدةٍ لا يكبرون عنها.. ولا يشيبون..ولا يتغيرون..يطوفون عليهم لهم ولكم أيا ضيوفهم..يطوفون عليكم في مجلس المقربين ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾(الواقعة) من أنواع الشراب، وعلى رأسه ألذ الرحيق..إنه الخمر..خمر من عينٍ جاريةٍ فإذا هي ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾(الواقعة) لا تصيبك بالصداع كخمر الدنيا، ولا تنزف العقل وتستنزفها بل هي ثابتةٌ مع الشدة المطربة، واللذة الرائعة، والنشوة الذائعة..ثم دارت عليكم بعد ذلك جميل الثمار ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾(الواقعة)..وترى ((الرجل إذا نزع ثمرةً من الجنة عادت مكانها الأخرى))[1]..ثم قدمت المائدة بأطايب الطعام وألوانها مما لم يعهد وكان من أبرز ذلك ما اشتهيتَ من لحم ضأنٍ، وقد تقول معها ما وصفه الله –عزَّ جاره– ﴿ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾(الواقعة)، وتعجبتَ منها فإن النبﷺ يصفها فيقول: ((إن طير الجنة كأمثال البخت يرعى في شجر الجنة))..وقد أدهشك ما رأيتَ من نعومة هذه الطير حتى أن أبا بكرٍ الصديق لما سمع وصفها أعلن دهشته وقال: يا رسول الله إن هذه لطيرٌ ناعمةٌ!..فأجابه النبيﷺ بما يُبَشِّرُك ويسرك

1- انظر: مجمع الزوائد 10/ 414.

ويشوقك ويمتعك: ((فإن آكلها أنعم منها..فإن آكلها أنعم منها..فإن آكلها أنعم منها.. وأني لأرجو أن تكون ممن يأكل منها يا أبا بكر))[1]..هكذا يُكَرِّرُ النبي ﷺ وصفه لمدى نعومة آكلها..

وتابعتَ بعض هذه الطيور وهي ترفرف وتشد الأبصار بجمالها،وتنوع ألوانها، وطيرانها فإذا هي تحط على نهر الكوثر..النهر الذي تراه أمامك ((أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل)) ولكن بصرك ينشد مع الطير فإذا ((أعناقها كأعناق الجزر)) الإبل العظام..فيا لنعومتها..فكيف تكون نعومة من يأكل منها؟.

وكما أن قطوف الثمار دانية فكذلك هذه الطير التي تراها فتَودُّ من جمالها ونعومتها أن تأكلها فوراً..مهلاً.. مهلاً..لقد تمنيتَ أكلها فهاهي تجري لتقع بين يديك..فكلوه هنيئاً مريئاً..فـ"إنك لتنظر إلى الطير في الجنة فتشتهيه فيخر بين يديك مشوياً"[2]..ماذا تنتظر..كل ولا تستغرب..هذا النعيم لا كَبَدَ الدنيا ولا كدها..ما مدى ما برَّح بك الشوق الآن إلى ذلك المكان؟.

ألا تريد رؤية أعلى درجات الجنة..تقدم حيث الجلال النبوي، والمقام المحمود المصطفوي:

وتقدمت لترى أعلى درجة في الجنة..ولا يُدرى أتشاهد ذلك أم تُنْقَل إليك صوره.. فإنها دون كل وصفٍ..تحيط بها الهالات من كل مكان..

فلئن كانت الجنة مئة درجة بين كل درجة ودرجة كما بين السماء والأرض..
ولئن كان أهل الجنة يتراءون أهل الغرف كالكوكب الدري الغابر في الأفق،

1- أحمد3 /221، ورواه الضياء في المختارة 5/ 13، وإسناده صحيح..والبخت: إبلٌ طوال الأعناق.
2- انظر: تفسير ابن كثير 2/ 518.

ولئن كان أهل عليين والدرجات العلى يراهم من هو دونهم كالكوكب الغابر في الأفق، فكيف هي أعلى درجة في الجنة..كيف ستكون؟ وكيف سُترى هالاتها..إن المقام لا يمكن أن يوصف..ولما أردتَ وصف ما ترى إن قُدِّرتْ لك رؤيته..أعياك العجز..وتذكرت حينها أن موسى –عليه السلام– لما رام أن يشهدها، وطلب من ربه تعالى أن يصف له منزلة أعلى أهل الجنة قال الله له: ((أولئك الذين أردتُ..غرست كرامتهم بيدي، وختمت عليها.. فلم تر عين، ولم تسمع أذن، ولم يخطر على قلب بشر..))[1].

فإن لقيتَ أحد أصحاب هذه المنزلة، فسألته عن هذه المنزلة حيث تذوب الأحداق، أو وُفِّقتْ في السباق..فكنتَ ممن تطاول لهذا النعيم فذاً في الآفاق..فلا تدري أي شيءٍ هو الأنعم فيها؟ **أهو قول ربك – عز جاره– ((أولئك الذين أردتُ)) أردتُ..كلمةٌ تهتز لها الأعين فتجري دموعها شوقاً..وتسيل مآقيها تعظيماً وحُبّاً..أم النعيم هو في قوله – تعالت عظمته–: ((غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها))**.. ..هذه هي مرتبة أعلاكم منزلة..فكيف تكون مرتبة أعلى الأعلى منزلة..إن منادي الحق يقطع كل قائل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾(السجدة).

ولربما سألت عن هذه الدرجة الرفيعة العالية..فقيل لك: إنها الوسيلة درجة النبي ﷺ ، ومرتبته التي لا يتطلع لها أحدٌ غيره ﷺ ، إذ هي أقرب الدرجات إلى عرش الرحمن، وهي أقرب الدرجات إلى الله ولأنها كذلك فقد كانت أفضل الجنة، وأشرفها، وأعظمها نوراً..تستمد نورها من عرش الرحمن..الذي تستمد الجنات كلها نورها منه..فالأقرب إليه أعظم نوراً وبركة..ولا غرو.. ذاكم رسول الله ﷺ سيد الخلق وحبيب الحق ﷺ .

وهنا تذكرتَ أنك كنت تسأل الله أن يهبها له..وقمتَ تردد ما كنتَ عليه في الدنيا مما تردده خلف المؤذن..قمتَ تردد عسى أن تحظى بزيارة النبي المصطفى، والسيد المجتبى، والحبيب المرتجى ﷺ ..رددتَ حباً ولهفةً بلا شعور: اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى

1- مسلم 1/ 176.

آله وصحبه..اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة والفضيلة..

نعم! الوسيلة..إنها المنزلة العظيمة.. إنها ((منزلةٌ في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله))[1]، وقد رجت أمة النبي ﷺ أن يكون هو عليه وعلى آله الصلاة والسلام.

أبشر! فقد شُرِّفت بالقرب من منزلته ﷺ ..أتدري ما السبب؟:

أيها المخبت المنيب: لقد أُعلنتْ درجتك، وقُرِّر أن تكون منزلتك في محلةٍ قريبة من النبي ﷺ ..فكم ستبلغ هذه البشرى منك؟ وكيف ستأخذ بلبك؟ وتساءلتَ في نفسك: لم أكن أستحق هذا القرب، ولا أظنُّ عملي يبلغ هذه المنزلة الرفيعة العالية السامية فما الخبر..؟ كيف تداركتني رحمة ربي..فمنحني الله هذا التشريف السامي العظيم..فلعله فضله المنتظر؟..عندها سمعتَ من كانوا في منزلتك يتحادثون:

فقائلٌ يقول: نلتُ هذا الفضل العظيم قُرباً من النبي الكريم ﷺ بحسن الخلق فقد قال ﷺ -فيما رواه ابن عساكر-: ((إن أقربكم مني منزلا يوم القيامة: أحاسنكم أخلاقا في الدنيا)).

وآخر يقول: لقد بلغت هذا المنزل بكثرة صلاتي على المصطفى المختار..شفيع الأبرار..وهادي الناس بخير منار ﷺ ..

وثالثٌ قال: إنما كان لي هذا المكان السامي بكفالتي للأيتام، وتفقدي لفقراء الأنام.. فها أنا من المكرمين فوق البرية بسلام..فلله الحمد على جليل المقام.

وقائلٌ فاح الشذا من كلامه فقال: لو رأيتم بساطتي في حياتي الدنيا، وقيامي

1- مسلم 1/ 288.

بالفرائض وشيءٍ من النوافل لا أزيد..لزهدتم فيَّ.. أن أكون معكم في هذا المقام السامي، أو أقرب مجرد قربٍ من هذا المكان الرفيع.. غير أني لا أذكر لي شيئاً يبلغني ما بلغتُ.. إلا أني كنتُ أحب النبي ﷺ أشد الحب حتى لتمر عليَّ الساعات.. فأذكر كيف تَعِبَ وكابد، وأوذي وطُرِد، وقام حتى أقعده المرض..كلُّ ذلك ليوصل الدعوة لي ولأمثالي.. أذكرُ ذلك فأبكي حباً له، وشوقاً إليه.. فوالله لقد باتَ النبي ﷺ أحبَّ إليَّ من نفسي، وهو أحب إلي من أهلي، وهو أحب إلي من ولدي..وإني لأكون في البيت فأذكره فما أصبر – أحياناً–حتى أبكي..أشتاق إلى النظر إليه في أيام الصبر الداكنة..ومَرَّ عليَّ وقتٌ خشيت إن دخلت الجنة ألا أراه..**نفسي له الفداء، ووجهي لوجهه الوقاء..فتجيش نفسي بكاءً عليه** ﷺ .. وعندما أتت ساعة الحقيقة..في يومٍ شخصت فيه الأبصار نودي: المرء مع من أحب..فهتفتُ من كل قلبي..كل شيءٍ أنكره من نفسي إلا حبي للنبي المحمود المحمد أحمد ﷺ .. فصار أمري إلى ما رأيتم..

ومنادي الحق ينادي في جموع المحبين: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾(النساء)...عندها عُدتَ – أيا خاطب الجنة– تُجيل فكرك مشتاقاً ملتاعاً ..فمتى تُطْوى الكلمات لتصير حقيقة..وهل في أعمالي الصالحات ما يبلغني إلى تلك المنازل على خير طريقة:

أتبلـغُ نفسي فـي الجنـان مُنـاهـا سقـى الله آتـي عهدهـا وسقاهـا

فهل أبتغي عن عهدِها بدلاً..وهل تَمَلَّـكَ قلبـي المستهـامَ سـواهـا

نأت عن عيوني دارها فمتى.. متى أرى بعيـونـي دارهـا وأراهـا؟

المشهد الثاني

جولةٌ في جنان الجنة..

ما هو النعيم الأعلى: الجمال والإبداع الخارجي، أم السكينة الداخلية:

وألقيتَ نظرةً بل نظراتٍ على حدائق قصرك الغناء.. فوجدتها في غاية الحسن، وأفخم الزينة، وأبهى الجمال الذي يأخذ الألباب، ويسلب العقول..وعندها تَذَكَّرْتَ أن الله الجليل قد زين للناس الحياة الدنيا..وبين هذه الحقيقة فقال – عزَّ جاره–: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ ...﴾(آل عمران : 14) ولكنه جل جلاله قد جعل زينة الدنيا لا تُذْكَرُ أمام زينة الجنة في الآخرة..واستمعت إلى منادي الحق ينادي: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَٰلِكُمْ ۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ (آل عمران: 15)

فقمتَ تتجول في هذه الجنات..ومما يسلب بصرك فيها انتباهك فيها أنها تستحق تسمية ﴿جَنَّٰتٌ﴾(آل عمران: 15) لأنها بساتين كثيفة الأشجار.. كثيرة النباتات.. تُجِنُّ من فيها فتستره بشجرها، وتضمه بنباتاتها..ورأيت الأنهار تجري من تحت الأشجار، تعلو على كل ذلك الأطيار، وتغدو عليك فيه للمتعة والتسلية حسناوات الأبكار..فكان مشهداً يصور لك جزءاً من نعيمٍ اختاره لك الغفار..

انظر المشهد بعين الوَلَه..وسل من له الملك وحده لا شريك له..وإذ رأيت الأطيار قد أسرتك بجمالها في الدنيا..فاذكر بدمعة الشوق منك مآلك في العقبى:

إذا هتف الحمام على غصون جرت عبرات دمعي بانسكاب[1]

1- أنشدها حارثة بن صخر العذري..انظر: الإصابة في تمييز الصحابة 1/ 501.

فرجِّع الطرف في الأرض التي لك حيث الجنان الوفيرة، والأنهار الغزيرة، والجداول العليلة المثيرة..هناك ترى أهل الجنة ﴿رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾(الروم)..نعم تكون في روضةٍ وأهلك تحبرون فيها..وأعجبتك الروضة فإن: أحسن ما تكون الروضة إذا كانت في موضعٍ مرتفعٍ غليظٍ، ولا يقال لها روضة إلا إذا كان فيها نبتٌ وحولها تجري الغدران، ولا شك أن الأقوال فيها تتقاصر فقمتَ تترنم[1]..

ما روضةٌ من رياض الرَبعِ معشبةٌ خضراء جاد عليها مسبلٌ هَطِلُ
يضاحك الشمس منها كوكبٌ شَرِقٌ مُؤَزَّرٌ بعميم النبت مُكْتَهِلُ
يوماً بأطيب منها نشرُ رائحةٍ ولا بأحسن منها إذ دنا الأُصُل

فهذه رياضك، ولكن هذا الوصف مجرد تقريبٍ لواقع الحال فكيف تكون الحقائق؟ لا يمكن أن يعبر عنها شيءٌ إلا ما يملأ عينيك..فاملأ عينيك الآن.

وأنت تتحرك في مملكتك لترى ما أُعد لكم رأيت أخيراً الجنات العظيمة ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ (التوبة: 72) وهي سرة الجنة ووسطها، وسائر الجنات محدقةٌ بها، والواحد منكم يعطى جناتٍ لا جنة واحدة لسعتها..والجنات لا تكون جناتٍ دون أن ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(آل عمران: 15)..

ومنادي الحق ينادي: ﴿تِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَن كَانَ تَقِيًّا ﴿٦٣﴾﴾(مريم).

وراقك منظر الماء حيث الأنهار حيث تجري تحت الغرف والأشجار..ترى الأنهار تجري من تحت أشجار الجنة وغرفها..وهذه هي الأنهار الصغيرة التي تتخلل جنانك في مملكتك الخاصة..ناهيك عن الأنهار الكبرى كنهر الكوثر وأنهار الماء والعسل واللبن والخمر..ثم أشرفت على أعظم أنهر الجنة (الكوثر) فإذا هو يتخلل جنانك..تصور! ولا خيال فإنها جنة الخلد..طينتها المسك الأذفر، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر..**ومضيتَ في استمتاعك ثم رفعت يديك خاشعاً تقول: اللهم إني أسألك من فضلك إنك أنت البر الرحيم.**

1- انظر: تفسير القرطبي 14/ 13.

تذكر يا محب الحجاز ما كنت تراه في الحجاز وقارن:

ونظرت في الأشجار فإذا هي تختلف من جنةٍ إلى جنةٍ، ومن مملكةٍ إلى مملكةٍ بحسب الأعمال..ودخلت جنةً من الجنان التي لبعض أصحابك فإذا هي مُترعَةٌ مترفة..إذ وجدت نفسك وسط بستانٍ عظيمٍ تنمو نباتاته، وتسير طيوره ﴿فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ۝٢٨﴾ (الواقعة) مُوقَرٍ بالثمر.. قد أثقل أصله من كثرته، وتراه لا شوك فيه..ولربما حانت منك هاهنا ابتسامة فرحٍ وغبطةٍ؛ إذ تتذكر سدر الدنيا فتذكر أنه كثير الشوك، قليل الثمر..ضعيف الشجر.. تؤذي صاحبها..أما هذه التي أمامك فإنك تلمسها بيدك فإذا هي سدرٌ مخضود قد ((خضد الله شوكه فجعل مكان كل شوكة ثمرة.. فإنها لتنبت ثمراً فتفتق الثمرة منها عن اثنين وسبعين لوناً من طعامٍ ما فيها لونٌ يشبه الآخر))[1]..

ورأيت من الشجر هناك مما يشبه شجر الدنيا اسماً ولا يشبهها رسماً شجر الطلح..يصفه ربي–عزَّ جاره– فيقول: ﴿وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ۝٢٩﴾(الواقعة)..تأملت فيها فإذا هي شجرٌ عظامٌ كنتم ترونها بأرض الحجاز كثيرة الشوك..ولكنها الآن منضودة متراكمة الثمر مصفوفة..ثمره أحلى من العسل..ولربما سألك صاحبٌ لك: لم تركز على هاتين الشجرتين؟ فكانت إجابتك المصحوبة بابتسامةٍ **وردية: إنها تشبه شجر جزيرة العرب في زماننا في الدنيا..لكن في الدنيا.. كان ما أكثر أذاها، وأقل جناها..وهي هنا ما أعظمها جنى، وأجملها ندىً..وأطيب ثمرها، وأكثر درها...**

ثم تمتعت بالسير في تلك الحدائق الغناء فإذا بك تمشي بين شجرٍ عظيم الأفنان، جميل الأغصان، ذي ورقٍ ريان..وثمر منضود..تحت ظلٍ ظليلٍ، ونسيمٍ عليل..و ﴿وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ۝٣٠﴾(الواقعة: 30)..ورأيت هناك شجرةً مميزةً في ثمرها وهيئتها وظلها..إنها شجرة باسقةٌ عظيمةٌ..نعم فـ ((إن في الجنة شجرةً يسير الراكب الجوادَ المضمَّر السريع في ظلها مئة عام لا يقطعها))[2].. ومنادي الحق ينادي ((وظل ممدود))..

1- انظر: الترغيب والترهيب 4/ 293 وقال: رواه ابن أبي الدنيا بإسنادٍ حسن.
2- البخاري 3/ 1187.

والتفت أخرى فرأيت شجرة أخرى..إنها شجرة طوبى ((وهي شجرةٌ في الجنة.. مسيرة مائة عام، ثياب أهل الجنة تخرج من أكمامها))[1]... و((ما في الجنة شجرةٌ إلا وساقها من ذهب))[2]...

وهناك رأيت من الأشجار البهية الأشكال..العالية الطوال..ما أخبر عنه النبي ﷺ .. اسمع إليه وهو يقص ذلك بتفصيل يشوق الأسماع..

فقد قام أعرابي إلى رسول الله ﷺ فسأله عن الجنة فقال: فيها عنبٌ يا رسول الله؟.. هل اشتهى صاحبنا العنب فقلق عليه..ولذا سأل!؟.

قال ﷺ : نعم!.

قال: ما عظم العنقود منها؟.

قال ﷺ : مسيرة شهرٍ للغراب الأبقع لا ينثنى ولا يفتر.

قال: ما عظم الحبة منه؟..وحتى يبين النبي ﷺ حجم الحبة الواحدة ضرب له مثالاً..

فقال ﷺ : ذبح أبوك تيساً من غنمه قط عظيماً؟.

قال: نعم!

قال ﷺ : فسلخ إهابه فأعطاه أمك، وقال: ادبغى لنا هذا ثم افري لنا منه دلواً نروى به ماشيتنا؟..

قال: نعم..ثم إن الأعرابي قال: فإن تلك الحبة تشبعنى وأهل بيتي؟.

قال ﷺ : نعم وعامة عشيرتك[3].

هذه مجرد حبة عنبٍ..كيف ستكون الشجرة.. هذه هي الجنة..وهذه بعض أشجارها.

1- أحمد 3/ 71.

2- الترمذي 4/ 671، وقال: حسن غريب، وصححه الألباني.

3- أحمد 4/ 183، ورواه ابن حبان 16/ 432، وصححه الأرناؤوط لغيره.

روعة الاتكاء والمجالسة تحت الأفنان:

وترى ابن عباس يحكي مشهدكم -أهلَ الجنة- وقد خرجتم من قصوركم ((إليها أهلُ الجنة أهلُ الغرف وغيرهم)) فتتحدثون في ظلها..فيشتهي بعضكم، ويذكر لهو الدنيا، فيرسل الله ريحاً من الجنوب.. فتحرك تلك الشجرة بكل لهوٍ في الدنيا[1]..

وزين ذلك كله ما ترى من ﴿وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١﴾(الواقعة) يجري في غير أخدود يتخلل الأشجار والقصور..ثم بدأت أنواع الفواكه تدور عليكم..فماذا ينقصكم من الابتهاج وأنتم..أنتم في ﴿سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣﴾(الواقعة)، والفواكه الكثيرة المتنوعة في الألوان مما لا عينٌ رأت، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشرٍ تأتيكم من كل جانب.. وتناولت منها عنقوداً واحداً حتى تعلم مقدار طعمها، وبركة حجمها..وعجبت من تجدده، وتكاثره مع لذيذ طعمه، وجميل ذوقه..ولو أكل منه أهل الدنيا..لو أكل منه من بين السماء والأرض لا ينقصونه[2]...

..ربما خطرت ببالك الدنيا وتنغيصها..فاطمئن فإن هذه الفاكهة لا تنقطع شتاءاً ولا صيفاً بل أكلها دائمٌ مستمرٌ أبداً مهما طلبتم وجدتم لا يمتنع عليكم بقدرة الله شيءٌ..وكما يقول قتادة: لا يمنعكم من تناولها عودٌ ولا شوكٌ ولا بعدٌ..

وهناك بينما أنت مع أهلك تارة، أو مع صحبك أخرى..بينما أنتم﴿ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢﴾(المرسلات) تسمعون منادي الحق ينادي زيادةً في النعيم والثناء ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٤٣﴾(المرسلات)...

وتتردد في مسامعك أصداء النداء الرخيم الشجي ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٤٤﴾ (المرسلات).

1- أخرجه ابن كثير في تفسيره 4/ 291 عن ابن أبي حاتم وقال: "وهذا أثر غريب، وإسناده جيدٌ قويٌ حسن".
2- الضياء في المختارة 3/ 396 ، أحمد 3/ 352.

أيها المتقون: أتحفناكم بكل ذلك جزاءً لكم على الإحسان..لقد نلتم ما تستحقونه على عبادة الملك الديان..أيها المتقون:لقد زدناكم من فضلنا مغفرةً وشرفناكم بالرضوان..

أيها المحسنون:هذا الوعد الذي وعدناكم فـ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ٦٠﴾(الرحمن).

فما العيش إلا ذاك لا عيش عزةٍ وسُعدى ولا ليلى ولا أُمَّ سالم

وذلك فضل الله يؤتيه من يشا ويُرجى لعبدٍ قارع الباب لازمِ

وبعد: أيا خاطب الجنة ((ألا هل مشمر إلى الجنة؟ فإن الجنة لا خطر لها: هي ورب الكعبة نورٌ كلها يتلألأ.. وريحانةٌ تهتز.. وقصرٌ مشيد.. ونهرٌ مطرد.. وثمرةٌ نضيجةٌ.. وزوجةٌ حسناء جميلة.. وحللٌ كثيرةٌ.. في مقام أبداً في حبرة ونضرة في دور عالية سليمة بهية))[1].. ألا هل من مشمرٍ إلى الجنة؟.

أيها المتقون: انظروا إلى أنهار الجنة الكبرى..هل رأيتم منظراً أشهى وأحلى؟:

وقمت لتنظر في أصول الأنهار الجارية في حدائق ملكك..فأنت ترى جنانك في مملكتك تشقها أنهار من ماء، وأنهار من خمر، وأنهار من لبن، وأنهار من عسل..أردت أن تنظر في أصولها، ومن أين تأتي..تتبعت ذلك لترى أنهار الجنة الكبرى التي تشق الجنة، وتتفرع عنها أنهار منها تجري من تحت غرفها وقصورها، وتعبر أماكنها العامة، وتتفرع منها كل الأنهار الصغيرة التي تدخل في كل مملكة من ممالك الواحد منكم..فرأيت..ماذا رأيت؟

لقد رأيت أنهاراً ﴿مِّن مَّآءٍ غَيۡرِ ءَاسِنٖ﴾(محمد: 15) غير متغير الرائحة..تصور أنهاراً من ماءٍ غير آسن..أنهاراً وليست صحافاً أو أكواباً..وانظر كيف تسير في انسياب، وينجذب لها المرء غاية الانجذاب..ولا تجد إلا اللذة والصفاء وأنت تتناولها فلا أذىً ولا قذىً.

1- ابن ماجة 2/ 1448، ابن حبان 16/ 389.

ثم نظرتَ في جهة أخرى فإذا هي ﴿وَأَنْهَارٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ﴾(محمد: 15) فلم يحمض بطول المقام كما تتغير ألبان الدنيا إلى الحموضة..ولا تعود النفس بعد شربه متأذيةً مريضة..

ونظرتَ بعدها فإذا هي ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾(محمد: 15) لم تدنسها الأرجل، ولم تعبث بها الأيدي كخمر الدنيا فهي لذيذة الطعم، طيبٌ مذاقها، لا يتكرهها الشاربون ولا يملونها..وهي أنهار وليست نهراً واحداً..

ونظرتَ أخيراً: فإذا أنت ترى أنهاراً ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾(محمد: 15) فالعسل ما يسيل من لعاب النحل، ويحتاج إلى تصفيةٍ من الشمع والقذى..أما هنا في الجنة فقد خلقه الله كذلك لم يطبخ على نارٍ ولا قاربه النحل؛ لأنه لم يخرج من بطون النحل..

إنها أبحرٌ لا أنهر..تلتذون بها وفيها: هذا شربكم..وذا منبع استمتاعكم..ألا تردون:

وأنت في تأملك وانبهارك لحظت مقدار سعتها حتى لكأنها أبحر وليست أنهاراً..التفت لبعض صحبك فقلت: انظروا: إنها لأبحرٌ من سعتها، وكثرة تدفقها..إنها لأبحر..ويحق لنا أن نقول ما قاله النبي ﷺ : ((إن في الجنة بحر الماء، وبحر العسل، وبحر اللبن، وبحر الخمر ثم تشقق الأنهار – التي تجري في جنان كل واحدٍ منكم– بعد))[1]..

رَدَّ آخر: إنها لأبحر في عظمتها وسعتها، أنهر في عذوبتها وجريانها وتدفقها..

وتوافق قولكم على ذلك مسبحين حامدين..

وتأملتم في هذه الأنهار، فإذا هي "أفضل أشربة النوع الإنساني"[2]..

فالماء لريكم، واستمتاعكم، وسباحتكم، وتلذذكم بطلب صيده أو اللعب مع موجه..

خذ من ذلك وقل: رب زدني من بركاتك وفضلك.

1- الترمذي 4/ 699، وقال: حسنٌ صحيحٌ، وصححه الألباني.
2- انظر: فيض القدير 2/ 466.

والعسل كان في الدنيا لشفائكم ونفعكم..وهل ثم مرضٌ في الجنة حتى يكون شفاء؟ كلا..إنما هي العافية الدائمة..بل العسل لتلذذكم، ولتفاخركم بنفاسته..انظر هناك – أيها البار الأواب– كيف تنافس في تقديمه، والالتذاذ بأنواعه.

وأما اللبن فللقوت والغذاء كان في الدنيا، وهو هنا للشرب والهناء..

وأما الخمر فللذة والسرور، والتمازح والحبور..ونعمةٌ يهفو إليها الكثير..هديةٌ من الرب الغفور، لمن حرم لذتها في دنيا الغرور..فخذها يا قائماً في السحور تناجي الإله الشكور.

وحاولت تتبع أصول الأنهار التي تجري في الجنة تلذذاً بطلب المعرفة، واستمتاعاً بالتجوال..فعلمتَ وربما رأيتَ أن أعلى درجات الجنة وأوسطها وأعدلها وهو الفردوس الذي ترى فوقه عرش الرحمن...هو منبع هذه الأنهار حيث تفجر منه أنهار الجنة..وهناك يسكن المشمرون لله من المصطفين الأخيار..

أيها الثابتون على الدين..الزاهدون فيما يلعب به الناس من الناكصين: هذا هو الكوثر:

ولقد رأيتَ هناك شيئاً مما أعطى الله لنبيه ﷺ ، فقد أعطى الله لنبيه ﷺ الكوثر وهو الخير الكثير الذي أعطاه الله إياه، وكان من ذلك الخير الكثير نهر الكوثر، وتفقدته فإذا هو نهرٌ في الجنة[1].، عليه قصرٌ من لؤلؤٍ وزبرجد، وعليه خيام اللؤلؤ والياقوت والزبرجد وعليه طيرٌ خضر((أعناقها كأعناق الجزر)) أنعم طير رأيت فهي كالإبل العظام سمان مترفة.. حتى قال عمر]: إن هذه لناعمةٌ، فقال رسول الله ﷺ : ((أكَلَتُها أحسن منها))[2]..**يا لها من كلمةٍ مشوقة للنعيم..المقيم.. أبشر فأنت من أكلتها وستكون أِنعم منها..**

وتعجبتَ من صفاء لونه وبياضه فإنه ((أشد بياضاً من اللبن))..ناولك النبي ﷺ

1- انظر: البخاري 4/ 1900.

2- الترمذي 4/ 680، وقال: حسنٌ غريب، وصححه الألباني، وقد ورد أن السائل أبو بكر..فيحمل على التعدد.

مباشرةً بيده، أو بواسطة أعوانه كوباً عظيماً..فطعمتَ منه..فإذا هو ((أحلى من العسل))..

وحاولت أن تتلمسه فضربتَ بيدك عليه ثم شممتَه فإذا هو مسكٌ أذفر..وتأملت حافتيه فإذا هما من ذهب، وعلى حافتيه (جانبيه) آنية الذهب والفضة من الأباريق قد عُلِّقَتْ بطريقةٍ لا عهد لك بها في الجمال والرونق.. وأما أشكالها وهيئاتها وجمالها فـ((كأن الأباريق فيه النجوم)) لشدة وضاءتها وصفائها..**وأما عددها فكعدد النجوم فحاول أن تحسب العدد إن رغبت؟**..

ونظرت ما بين طرفيه فلم تستطع الوصول إلى الطرف الآخر إلا بإعانةٍ من الله فـ((إن بعد ما بين طرفيه كما بين صنعاء وأيلة-القدس-)) أو ((من عدن إلى عمَّان البلقاء..))..((وزواياه سواء))..فهو مربعٌ..فاحسب مساحته التي تستغرق عدة دولٍ كبيرةٍ في عصرنا..

وعلى شاطئيه ((حافتيه قباب اللؤلؤ المجوف)) حيث رأيتَ دُرراً مجوفة كالقباب العظيمة..لا يخطر ببالك ما يوضع من استراحات على الشواطئ فلا مقارنة بين الاثنين...هاهنا درٌ من لؤلؤ مذهب..وليس مجرد بناءٍ من حجر أو خشب..

ثم نظرت في النهر فإذا هو يجري على رضراض[1]. من الياقوت والزمرد..تصور هذا ومتع ناظريك في الجمال المتألق: حصاه الصغار عبارة عن الدر الثمين من الياقوت الأحمر والزمرد الفاخر..ثم نظرت إلى مائه فإذا هو أشد بياضاً من اللبن..**أغراك جمال المنظر، وروعة صفاء الماء، وتلألؤ الدر والياقوت..أغراك ذلك كله لتشرب من هذا اللجين المتألق الصافي فطلبت الآنية فأتتك دون أن تبذل لها جهداً**..عندها أخذت من آنيته فاغترفت من ذلك الماء فشربت..وربما غَرفتْ لك بنفسها..فطعمته فكيف يمكن أن تصف الطعم باللغة القاصرة التي لا تماثل الحقيقة ولا تدانيها..تناولته فإذا طعمه أحلى من العسل..

1- الرضراض: الحصى الصغار..انظر النهاية 2/ 229.

لا تستطيع وصفه بأكثر من ذلك..لأنه لا يوجد ما هو أكثر من ذلك في عالم الألفاظ الحبيسة..ويا للفرق العظيم بين اللغة واللفظ وبين الحقيقة والمعنى، وبين الجنة وعبث الدنيا التعيسة..وازدان الطعم برائحةٍ أشد من رائحة من المسك[1]..

ذكرى المسك مع كوثر الملك:

ولك مع كوثر النبي ﷺ ذكرى عطرة تملأ عليك قلبك سعادة..إذ في مشهدٍ من مشاهد القيامة من قبل وقد أخذ منكم العطش مأخذه–معاشر المتقين–.. يسبق النبي ﷺ الجميع ليشرب من حوضه الأغر، ويملأ عينه مما أعطاه الله إياه من الكوثر، وليستقبل جموع القادمين يلتمسون شرب الماء بل الذهب الصافي والجوهر الرائق..وذلك لما يرون عليه الماء من صفاء وعذوبة..يذكر النبي ﷺ تقدمه فيقول: ((إني فرطكم على الحوض (حتى أنظر من يَرِدُ عليَّ منكم)))[2]...

وذلك أن الناس يشتد بهم العطش يوم القيامة فيكون أشد شيءٍ عليهم..ولكلٍ منهم حوضٌ خاصٌ بهم..فإن النبي ﷺ يقول: ((إن الأنبياء يتباهون أيهم أكثر أصحاباً من أمته، فأرجو أن أكون يومئذٍ أكثرهم كلهم واردةً..وإن كل رجلٍ منهم يومئذٍ قائمٌ على حوضٍ ملآن معه عصاً يدعو من عرف من أمته))[3]...

ثم ينادي منادٍ عليكم لتردوا حوض النب ﷺ فوردتموه فكنتم فيه فريقين:

فريقٌ استقبلهم النبي ﷺ ..فيا حفاوة ذاك الاستقبال..ثم جاءتهم الأواني ساعيةً ليغترفوا منها شربةً لا يظمأون بعدها أبداً.. والنب ﷺ يبشر بذلك قائلاً: ((من مر عليَّ شرب.. ومن شرب لم يظمأ أبداً))[4]...

1- انظر: الطبري 30/ 321، والحديث في البخاري 6/ 2731، وانظر: فتح الباري 7/ 214.
2- البخاري 5/ 2404، والزيادة عند مسلم 4/ 1794.
3- الترمذي 4/ 628، وصححه الألباني.
4- البخاري 5/ 2406.

ثم ليغترفوا ما شاءوا للالتذاذ لا للظمأ..

كان أوّلكم وروداً وشرباً..كالعادة أصحاب السبق العظيم، والمسارعة الكبيرة إلى الخيرات، الأوائل في اليقين بحقائق الدنيا: ((فقراء المهاجرين: الشعث رؤوساً، الدنس ثياباً، الذين لا ينكحون المنعمات، ولا تفتح لهم السدد، الذين يعطون الحق الذي عليهم، ولا يعطون الحق الذي لهم))[1]....

لا تذهل عن الحقائق..إنهم فريق الخير في هذه الحياة:

إنهم الشعث رؤوساً..الدنس ثياباً لا لأنهم لم يضربوا في الأرض يبتغون من فضل الله..فهم قد بذلوا الأسباب لتحصيل أرزاقهم غير أنهم كانوا يقنعون بالقليل مع قدرتهم على التوسع والاستمتاع بالكثير..رضوا به، واطمأنوا إلى العمل بالآخرة..فلم يُلههم الكثير عن العمل للآخرة مع أنه كان في أيديهم..إنهم الذين فقهوا قول ربهم: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ﴾(القصص: 77)..هدفهم وهمُّهم فيما يجمعونه تحصيل ما يقيمهم في الدنيا ثم الانشغال بما يرفعهم في العقبى..

إنهم الذين لا ينكحون المنعمات، ولا تفتح لهم السدد..لا لأنهم يعافون ذلك، أو يتظاهرون بالزهد المزعوم..ولكنهم بذلوا الأسباب لتحصيل رزقهم، وتمكين مكانتهم عند الناس..بيد أنهم آثروا ذوات الدين على ذوات اللهو المهين..

إنهم الصنف الإيجابي المتفاعل مع الحياة بيد أنهم ملكوها بأيديهم، ولم تدخل قلوبهم، ولم تملك نفوسهم، فهان عليهم أن ينفقوها مسارعةً إلى الله والدار الآخرة..يسبقهم النبي ﷺ الذي لو شاء لسارت له الجبال ذهباً وفضة، ولكنه آثر الآخرة، فكانت لا توقد في بيته نار ثلاثة أهلةٍ في شهرين..فإذا ما ضاق حالهم يوماً، وقد بذلوا ما معهم ابتغاء رضوان الله لم يتسخطوا، ولا جزعوا، ولا ندموا أن قدموا لأنفسهم شيئاً ينفعهم في غدٍ الحق..بل نادوا في

1- الترمذي 4/ 629، وابن ماجة 2/ 1438، وصححه الألباني.

ظلمات الضيق الذي ألمَّ بهم..**وصاحوا في أجواء الكرب الذي نزل عليهم: رب أسألك نفساً مطمئنة توقن بلقائك**، وترضى بقضائك، وتقنع بعطائك، وتخشاك حق خشيتك، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبي الله ونعم الوكيل..

هتفوا في الليالي الكالحات: ربِ قنعني بما آتيتني، ولا تفتني بما حرمتني..رب آوني وأيدني بنصرك، وارزقني من الطيبات واجعلني من الشاكرين..

يا صاحب القلب المنيب في فريق المكرمين بالشرب من الحوض المورود..أيها الرفيع الأمجد..كان نصيبك الأسعد قد أقدمك المقدم الأحمد..فكنت من هذا الفريق الممجد..فلندع مشاعر الذكرى السعيدة تغمرك..ولننتقل إلى الفريق الآخر..

رؤوف رحيم يقول لمن بدل وغير: سحقاً.. سحقاً..فلماذا؟

فبينما أنتم كذلك إذ رأيتم فريقاً من المصلين قد وردوا الحوض يريدون الاغتراف.. والنهل من نهر الألطاف..فردتهم الخَدَمَةُ من حوالي النهر..واختلجتهم بعيداً عنه.. فذهبوا بعيداً..ومنعوا شرباً يروي منهم عطشاً مزيداً..والنبي ﷺ ينازع الخَدَمَة عليهم ويحاول إعادتهم من شفقته ورفقه ﷺ ، ولكنه يُغْلَبُ عليهم آخر الأمر..فيظهر حزنه عليهم، وألمه لما حل بهم..ويدافع عنهم بما عرفه منهم..فيأتيه النداء..قد أمر بتوجيهه رب الأرض والسماء: ((إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك))..**اهتف معي صادقاً: اللهم إني أسألك العافية، اللهم يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك.**

وبعد: وفي لحظاتٍ تظهر اغتباطكم بما أعطاكم الله في الدنيا على الدين من ثبات.. تحمدون لأجلها رب الأرض والسماوات..لربما وصف النبي ﷺ لكم هذا المشهد المفرح لكم..المخزي لغيركم ممن رُدُّوا على أعقابهم فانقلبوا خاسرين..يصف النب ﷺ ذلك فيقول: ((ليردن عليَّ الحوض رجالٌ ممن صاحبني «أعرفهم ويعرفونني»، حتى إذا رأيتهم ورفعوا إلي «أهويت لأناولهم» اختُلِجوا دوني، «ولأنازعن أقواماً ثم لأغلبن عليهم» «ثم يحال بيني

وبينهم« فلأقولن: أي رب أصيحابي أصيحابي،«فأقول إنهم مني ومن أمتي»..ثم يقول ﷺ : فيم هذا؟ فليقالنَّ لي: «هل شعرت ما عملوا بعدك والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم».. إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك «هم ارتدوا على أدبارهم القهقرى»..«فأقول سحقاً سحقا لمن غير بعدي».. «فإياي لا يأتين أحدكم فيُذَبُ عني كما يذب البعير الضال»))[1]. سحقاً..سحقاً..**يا لها من كلمة خرجت من فم رؤوف رحيم.. هي سياط العذاب الأليم على من غَيَّرَ وبَدَّل** وارتضع من هواه فجره إلى الجحيم.. عندها يكون النبي ﷺ هو الذي يذودهم عن الحوض..يُخبر ﷺ عن ذلك فيقول: ((والذي نفسي بيده لأذودنَّ رجالاً عن حوضي كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض))[2]...**فردد الآن – أيا حبيباه–مع ابن أبي مليكة خاشعاً منيباً**: اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا أو نفتن عن ديننا..آمين.

انظر هناك: عيونٌ متفجرة ترتفع إلى أعلى..ألا تتمتع؟:

أيا حبيب الجنة: انفتحت عينك وأنت ترى هناك ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ (الإنسان) انظر إليها وتأمل كيف تشرب منها، وتروى منها..وتأمل جريانها بل تأمل نوافيرها وهي تنبع نبعاً، وتفجر تفجيراً، وتشققها شقاً كما يفجر الرجل النهر ها هنا وها هنا إلى حيث يريد..وتمتع بعلو نوافيرها فإذا هي ترتفع علواً عظيماً بتفاوتٍ في خطوطها ليتم الجمال والاستمتاع..

وللزنجبيل عينٌ تسيله يشرب بها المقربون صرفاً.. وتمزج لسائر أهل الجنة..

واذكر هناك ﴿عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾(الإنسان) إنه شراب السلسبيل..اسمها يدل على عظيم طيب طعمها، ولذيذ رائحتها..واسمها بذاته يدل على أنه سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه..وتعجب من هذه العين إذ تراها تسيل عليكم في الطرق، وفي منازلكم، وهي تنبع من أصل العرش من جنة عدن إلى أهل الجنة ثم تسير سلسةً ينقاد ماؤها حيث شئتم.

1- البخاري 5/ 2406، مسلم4/ 1800، والزيادات عندهما في مواضع متفرقة.
2- البخاري2/ 834.

وترى نفسك تمشي في بيوتاتك، وتصعد إلى قصورك وربما كان بيدك قضيبٌ تشير به إلى الماء، فيجري معك حيثما دُرْتَ في منازلك على مستوى الأرض في غير أخدودٍ، ويتبعك حيثما صعدت إلى أعلى قصورك..يا لجمالها..ويا للتمتع شُرباً وريّاً ونظراً وتلذذا[1]..

وتميزت لك عيون الجنة لأعيانها: فالتسنيم مثلاً للمقربين خاصة، ومثلها الكافور، ويمزج للأبرار من التسنيم شرابهم، ويمزج لسائر أهل الجنة من شراب الأبرار [2]..

أيها الأبرار..أيها المقربون: هذه العيون من حواليكم تتفجر فتناولوا منها ما شئتم نعيماً كبيراً، ولا تخافوا النقص فإنها وافرةٌ وفرةً عظيمةً.. ألا ترونها تتفجر من حولكم تفجيراً..

أيها الأبرار..أيها المقربون: كما أوفيتم بنذركم وفرضكم من صلاةٍ خاشعةٍ، وزكاة ذائعةٍ، وصوم أيامٍ متتابعة، وحجٍّ وعمرةٍ جامعة، وعيشةٍ طائعة..أوفينا لكم بعينٍ طالعة، ومننا عليكم بمحبةٍ ورحمةٍ واسعة.

ونظرت إلى نفسك: تتنعم بالعيون، ويجري حواليك الماء الهتون..شرباً واستمتاعاً..فيا للشجون! **أجل..وأَذَّن المجد هناك..ورددت أذانه أصداء الفخار:**

هؤلاء هم الأبرار فليتمتعوا فإنهم كانوا ﴿يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾ (الإنسان).. كانوا يقولون ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ۝٩﴾ (الإنسان) فقيل لهم ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ۝٢٢﴾(الإنسان)

1- تفسير القرطبي 19/ 125، وهذا جمعٌ بين تفسير مجاهدٍ وغيره.
2- انظر: تفسير القرطبي 19/ 127.

المشهد الثالث

إلى أبهى جمال، وأحلى دلال..

هل يمكن لهذا الجمال أن تتخيله دون أن تراه..إنهن الحور ينتظرنك:

هناك في القصور العالية، والفرش الرخية، والحجال[1].البهية تنتظرك الحور العين.. خذ ما تشاء فتمتع بوقتك ونفسك..فإنك تعرف زوجك فور دخولك الجنة..إذ يهديك الله بإيمانك إلى مكان ملكك الكبير، وزوجك وفراشك الوثير..

إنهن كما وصف ربي – عزَّ جاره– ﴿وَحُورٌ عِينٌ ۝٢٢ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ۝٢٣﴾ (الواقعة) كأنهن اللؤلؤ الرطب في بياضه وصفائه.

وفي مضجع الحب والود واللعب، والتفكه..مع زوجك الوفية.. لربما تذكرت صورتها وهي في الدنيا وكيف قد أخذت فيها الأيام، وعملت في صفائها الليالي..فإذا هي الآن قد أعيد تركيبها وبناؤها وخلقها، فأعادها الله في أبهى شبابها، وأروع جمالها﴿إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا ۝٣٧﴾(الواقعة).. بكراً كأن لم يطمثها من قبل إنس ولا جان.. سبحان ربنا الخلاق العظيم..لقد قُبِضَتْ في دار الدنيا وقد وهى عظمها، وذوت زينتها فجعلها الله عذراء (عَروباً) متعشقةً.. متحببةً.. محببةً.. متغنجةً.. ذات دلالٍ في أخلاقها، وسحرٍ في خلقتها..**ألا تشتاق..بلى فلطالما عانى العشاق..لِيَصِلُوا**..لسان حالهم في غابر عهدهم:

القلب محترقٌ، والدمع مستبقُ ... والكرب مجتمعٌ، والصبر مفترقُ

كيف القرارُ على من لا قرار له ... مما جناه الهوى والشوق والقلقُ

يا رب إن يك شيءٌ فيه لي فرجٌ ... فامنن عليَّ به ما دام بي رمقُ

1- الحجال: هي الأرائك والسرر.

بل رأيتَ أعظمَ من ذلك فهاهي ذي تقوم بين يديك **بحركاتٍ لم تعتد عليها في الدنيا من التودد والتغنج والتحبب والتقرب**..لله ما ألذ هذه الحياة، وما أشهى ذلك اللعب..نعم إنها عَروبٌ متحببةٌ إلى زوجها بالحلاوة والظرافة والملاحة..وهي عَروبٌ عاشقةٌ لك وأنت لها عاشق.. متملقةٌ لك.. متوددةٌ بأحسن الكلام بين يديك.. مع حسن تبعلٍ طالما تمنيت استمراره في الدنيا..تراها على الحجال – وهي الأرائك– فلا تجد لشدة جمالها وتغنجها أي نموذج أو مثال:

وعَـــــروبٌ حــوراء ذات دلالٍ في حجـالٍ تـذوب حبَّاً وشوقـاً
هي كاللـؤلـؤ الرطيـب بياضـــاً وصفــاءً يعــود بالدهــر أنقــى
لا تسلنـي عــن التغنــج فيهــا هشَّ قلبـي مـن الســرور ودقَّـا
يــا لعشــقٍ يزيـده الدهــر عشقــا هو أسمى من كل وصفٍ وأرقى[1].

أي خَلْقٍ يأسر النظر..ويدعو إلى حبٍّ مستقر..كأنه سحرٌ مستمر:

وقلبت الطرف فيها فأول شيءٍ بدأت بالنظر إليه: عيناها فإذا أنت ترى أمراً يأسرك في الحسن والملاحة.. إنها حوراء عيناء..فهي ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾﴾ (الواقعة)

ثم تأملت في قامتها ومد جسمها..فإذا هي ﴿كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ (الواقعة) صفاؤها صفاء الدر الذي في الأصداف..لم تمسه الأيدي، ولم تصبر.. فلمست ذلك الجلد فوجدت أمراً عظيماً..عظيماً في الملاحة.. كأنها ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ (الصافات) حقاً؛ فإن رقتها كرقة الجلد الذي رأيتَ في داخل البيضة مما يلي القشور، وهي تجمع بين رقة الجلد وشدة صفائه..ها هي ذي أمامك..تمتعْ..ألا تغريك للمس جلدها..ما الذي أسرك فيها: أعيونها، أم صفاؤها، أم..؟ فقلِّب طرفك فيها..كيف تراك تجدها؟

قَلِّبْ الطرف فالجمال تجلـى وتمتـعْ فكـل وصـفٍ عجيـبُ

1- لحادينا على طريق الجنة: عبد الرحمن العديني.

"يـا جمـال العيون تـأسـر قلبـي وأرى الأسر في هـواك يطيـبُ"
وتــرى اللؤلؤ الرطيــب فتهفـو لصفـاءٍ هـو الصفـاء الحبيــبُ
المـس الجلـدَ فالمـلاحـة فيــه رقَّ حتى يكاد حسناً يذوب[1].

مهلاً..مهلاً..أتريد أن تعرف مقدار صفائها..إنك من شدة صفائها ترى شيئاً عجيباً..فعلى الرغم من أن على كل زوجةٍ سبعين حلةً إلا أنه يرى مخ ساقها من ورائها.. يرى مخ ساقها من وراء اللحم..كما يُرى الشراب الأحمر في **الزجاجة البيضاء**.. فليس المراد أن يخاف المرء وهو يرى مخ الساق..بل المراد أنها ذات صفاء عالٍ، وبياضٍ عظيم..تزداد جمالاً وحسناً بصفائها كما يزداد الكأس جمالاً وأَلَقاً بصفائه حتى يكشف عما فيه من الشراب..وما زال جمالها، وصفاؤها، وطيب ريحها، وأَلَقُ ثيابها..يسلب عقلك، فتحبس عينك أن تنصرف عنها مجرد انصرافة..كيف لا ونبيك المصطفى ﷺ يقول: ((ولو أن امرأةً من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما ولملأته ريحاً..ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها))[2]...هذا النصيف قارنه بأجمل نساء الأرض..حاول أن تقارن..ثم أعلن اليأس عن التصوير عندما تنتقل من النصيف إلى الشعر..

يــا لجسـمٍ قـد جمَّلتـه ثيــابٌ زاهيــاتٌ فكـل ثوبٍ قشيــبُ
هـي سبعـون قـد تناهـت جمـالاً لـك.. فـانظرْ فكل لـونٍ قريبُ
وترى مخ ساقها من وراء اللحم قـلْ لي فكيف تُشْرَى العروبُ
لـو تــراها وقـد تبدت علينــا فاستنارتْ منها الدنا والدروبُ
ونصيـفٌ يُتَـوِّجُ الــرأس فيهــا هــو خيـرٌ ممـا يقـل الجبـوبُ[3]

وسباك أنهن من الكواعب فهن الفتيات الناهدات اللواتي استدار ثديهن وبرز وظهر **فأكسبن جاذبية وجمالاً لا يقاوم..**

1- لحادينا على طريق الجنة: عبد الرحمن العديني.
2- البخاري 3/ 1029.
3- لحادينا على طريق الجنة: عبد الرحمن العديني، والجبوب هي الأرض.

ما هذا الذي عندكم يا صاحب القلب المنيب؟ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ (ص) عندكم قاصرات الطرف على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم.. قصرت أطرافهن على أزواجهن فلا يردن غيرهم، ولا يمددن أعينهن إلى سواهم، وهن أتراب على سنٍّ واحدٍ، وميلاد امرأةٍ واحدةٍ.. وقد تساوين في الحسن والشباب.. بنات ثلاث وثلاثين سنة.. وهن أترابٌ أيضاً متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن[1].. ثم أعدتَ النظر في الوجه.. فإذا هي من الحسان..يا لحسن ذاك الوجه، وجمال ذاك القد.. وخشيتَ من أن تخالف أخلاقها خلقها..فوجدتها من الخيرات الأخلاق الرفيعات الأذواق..لا عجب أن تكون زوجك من ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ۝٧٠﴾(الرحمن) خيرات الأخلاق حسان الوجوه والأجساد..يسكنَّ الجنة لخيرين حسني الوجوه من أمثالك..

حسنُ وجهٍ يزين خلقاً رفيعاً إن عيشاً من دونها لجديبُ
قَصَرَتْ طرفها عليك فأنت الروح منها، وأنتَ..أنتَ الحبيبُ[2]

ثم وأنت تشرب هزَّك النظر في ثغر امرأتك وهي تتناول الكأس..إذ هو ثغرٌ حبيبٌ شهيٌ دفي.. يقترب من كأسٍ طيبٍ رخيٍ هني..**فأخذت بيد إحداهن وانطلقتم نحو الأرائك متمازحين..وناديت بالرحيل إلى سررك العالية لغيرها من الحور العين..**

لطالما مرتْ عليك أوقاتٌ في الدنيا تتذكر مثل هذا النعيم في العقبى فتهتف مناجياً راجياً:

يا من تشابه منه الخَلْقُ والخُلُقُ فما تسافر إلا نحوه الحدقُ
لم يبقَ لي رمقٌ أشكو هواك به وإنما يتشكى من به رمقُ[3]

مجلسٌ من مجالس الحب مع الأزواج المطهرة:

1- انظر: تفسير الطبري 23/ 1174.
2- لحادينا على طريق الجنة: عبد الرحمن العديني.
3- أنشدها عبد الواحد بن نصر الببغاء..انظر: تاريخ بغداد 11/ 11.

واستهللت مجلس الحب مع قاصرات الطرف..

فتعال لننظر حالكم وهيئات جلوسكم واستمتاعكم بأوقاتكم ﴿مُتَّكِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ﴾(الطور: 20) متكئين على سررٍ مصفوفةٍ.. تدعون في مجلس الأنس بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ..فمهما طلبتم وجدتم، وأُحضر لكم كما أردتم.. والشراب.. من أي أنواعه شئتم أتتكم به الخدام ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾﴾(الواقعة)..

ومنادي الحق ينادي ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾(ص) ما آتيناكم من قوةٍ، ونعيمٍ، واستمتاعٍ هو عطاؤنا كرامةً لكم ما له من انقطاعٍ أو زوالٍ أو أُفولٍ...فقروا عيناً وخذوا ما شئتم من النعيم. نعم هذا عطاؤنا نزجيه لكم ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾(هود) غير مقطوعٍ، ولكم فيها﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾(فصلت) غير مقطوع..وجناتكم، وأنهاركم، وبساتينكم ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾(الرعد: 35)..

إنها جنة الخلد لك فيها "راحة الاتكاء، ومتعة الطعام والشراب، ولك فيها كذلك متعة الحوريات الشواب"[1].

وقت التضاحك في المضجع، والتقلب في المخدع.. تراه كيف يكون ؟

إلى الأرائك للعب والتمتع:

وأقبلتَ على الأرائك..أقبلت على سررك تتكئ..وتتودد إليك العرب الأتراب.. فأقبلن يتكئن معك على الأرائك وقد نُزع ما فيهن من غل.. **وهناك تدانت السرر لتتدانى الأجساد..وتنعمتم بنوعٍ من اللهو قبل أن تُرووا الأكباد.. من شغلكم فاكهين**..نوعٌ من اللهو كالمسامرة، والضحك، والغمز، وتضاغط الأيدي..وأمثاله مما يحبذه العشاق بينهم..

1- انظر: الظلال ص 3023.

وأريكتكم هي الأريكة التي لا تضاهيها أرائك الدنيا ولا سررها.. نعم! هي كما في الدنيا بَيْتٌ كالقُبَّة يُسْتَر بالثّياب.. وتكون له أزْرَارٌ كبَارٌ, وستائر رخيةٌ.. بيد أن الأمر لمن في الدنيا للتقريب لا غير..وإلا فالحقيقة لا تدركها عينٌ.

وعندما يأخذك حب التقلب والتضاحك في المخدع والمضجع مع أهلك وسكنك،

وحبك..فإنكم تأوون إلى فرشٍ مرفوعةٍ.. عاليةٍ.. وطيئةٍ.. ناعمةٍ..تميل بكم متى شئتم وكان ألذَّ لكم، وتثبت متى أردتم، وكان أشهى لكم..

هذه هي السرر التي تلهو وأهلك تحت أغطية ستائرها فاكهين: تارةً تتشبثون بالسرير.. وأخرى تلهون بالستائر..وثالثةً تعاركون بعضكم عليها وفيها..معاركة الأحباب..الذين يستلذون بأطيب المضاربة أو المعاركة المستملحة.. وأنت تلتفت إلى السرر ترى الفرش الرخية عليها تدعوك بهيئتها ونعومتها إلى أن ترمي بجسدك عليها مترعاً منعماً..

عندها لم تملك نفسك..حتى مضيت في شغلك اللذيذ..ومنادي الحق ينادي: ﴿إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ٥٥﴾(يس).

ودنتْ متعة القلب والضمّ فملتم إلى الفراش الوثيرِ

هــو عــالٍ، ونــاعــمٌ، ووطــيءٌ أيــن منــه نعــومــةٍ مــن حــريــر؟
مــالَ إن شئتَ أن يميـل فلَذَّ الــ ــــميل منه وكــان مثــوى الحبور
ومتــى رمــتَ للفــراش ثبــاتــاً كان أشهى فماله مــن نظير[1]

1- لحادينا على طريق الجنة: عبد الرحمن العديني.

صورة الحسن تبدت..لكنها الآن منكَ:

ورأيتَ أهلك وولدانك المخلدين ينظرون إليك بانبهار..فتعجبتَ ولربما صَدَرَتْ منك حركات الاستغراب المستملحة..ثم زال عجبك وأنت تنظر إلى صورتك..إذ رأيت هيئةً قد بلغت الغاية في الحُسْن..إنها هيئتك ((على صورة القمر ليلة البدر أو على أشد كوكبٍ دريٍ في السماء إضاءةً))، ومضى الوقت فإذا أنت تأكل وتشرب وتنعم وتهنأ..ولكنك لا تبصق ولا تمتخط، ولا تتغوط، ولا يصيبك مسٌ من نصبٍ أو سقمٍ..فكيف يكون جمالك مع كل هذا التنعم فوق الجمال الذي توهبه ابتداءً حين يكون وجهك من الوجوه الناضرة البيضاء الضاحكة المستبشرة، ثم تجري عليكم قبل دخول الجنة نضرة النعيم...ولذا ترى حسنك وحسن أهلك يزداد حيناً بعد حين..وآنيتك تروح وتجيء دارةً رزقها عليك فإذا هي من الذهب.. وأما أمشاطك فهي من الذهب والفضة.. وأما مجامرك فهي الألوة الألنجوج عود الطيب.. وأما رشحك فهو المسك.. وهكذا فقتَ من حولك جمالاً وإضاءة..وأنت تتقلب بينهم لا تدري أنك أكثرهم جمالاً..أكثرهم فيما عدا حورك الحسان..

عرفنا ما حباك الله به من جمالٍ يُغطي الشمس..فما حال ملابسك؟

خرجت إلى حورك..فنظرن فيك: أتراهن يقلبن وجوههن دهشةً لما حباك الله به من جمالٍ يا صاحب الوجه الأبيض الناعم النضر الذي تعرف فيه نضرة النعيم..وقد رأينها..لكن ثيابك وزينتك زادتك إشراقاً كما زدتها إشراقاً..أترى مالك بن أسماء كان يصفك حينما قال:

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسيه أين مثلك أينا

وإذا الدر زان حُسْن وجوهٍ كان للدر حسن وجهك زينا

كيف حليتك أولاً؟ أتستطيع الوصف؟ :

انظر إلى جمال حليك..إلى جمال الحلي، وسبح بحمد العليم الغني..إنها ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ (الحج:23) فعلى كل واحدٍ منكم ثلاثة أنواعٍ من الأساور: فنوعٌ من ذهب، ونوع من

فضة، ونوع من لؤلؤ..أجل أنهم ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ (الحج: 23) ..ومعها ﴿وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ﴾(الإنسان: 21)..وانتبه..فإنك تحلى وتلبس بواسطة خدمك المتخصصين في اللباس..ولا تجهد نفسك لفعل ذلك بنفسك..فتارةً تلبسون الذهب، وتارةً تلبسون الفضة، وتارةً يجمع في يد أحدكم سواران من ذهبٍ، وسواران من فضة، وسواران من لؤلؤ ليجتمع لكم محاسن الجنة، ويجعل لكل قومٍ منكم ما تميل إليه نفوسهم[1]..والسوار هو الذي يلبس في الذراع من ذهبٍ، فإن كان من فضةٍ فهو قلب[2]..

وعندما خرجت لتلقى بقية المصطفين الأخيار من صحبك الأبرار..نظرتم إلى بعضكم فإذا بينكم تفاوتٌ في مقدار الحلية..عندها لربما تذكرت وأنى لك الذكرى..تذكرت أن سبب هذا التفاوت بينكم في الحلية يرجع إلى إتقان الوضوء، إذ ((تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء))[3]..فيا ليت قومي من أهل الدنيا يعلمون..اهتف معي مقبلاً على ربك: اللهم أعني على شكرك وذكرك وحسن عبادتك..

فلما كانت الملوك تلبس في الدنيا الأساور والتيجان جعل الله تعالى ذلك لأهل الجنة..وتصور مقدار الجمال والبريق اللذان يصدران عن الأساور فإنه ((لو أن رجلاً من أهل الجنة اطلع فبدا أساوره لطمس ضوء الشمس كما تطمس الشمس ضوء النجوم))[4]، ومنادي الحق ينادي: ﴿وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ ﴿٧٦﴾﴾(طه).

إنه منظرٌ تسيل له الأدمع المشتاقة، وتهفو له نفسٌ مكابدةٌ تواقة..

سفكت عليه أدمعي فسقيته كما هو من كأس الشجون سقاني

وقفتُ به حيران وقفة هائمٍ أعالج قلباً دائم الخفقانِ

1- انظر: تفسير القرطبي 19/ 147.
2- انظر: تفسير القرطبي 10/ 396.
3- مسلم 1/ 396.
4- انظر: الترمذي 4/ 678.

أيها المزكي لنفسه، أيها المطهر لقلبه: استمع لوصف بريق أساورك في الجنة..انظر أيها المشتاق لعظم تلك الزينة والمنة..ثم قل لي: هذه حليتك فكيف ستكون أنت؟..ولا تنس عندها أن ترفع يديك سائلاً ربك الرحيم جنة النعيم.

والآن خذ صورةً مبسطةً لهيئةٍ من هيئاتكم:

تتأمل فيكم فإذا أنتم ((مسورون بالذهب والفضة مكللة بالدر، وعليكم أكاليل من درٍ وياقوت متواصلة، ويزينكم من أعلى تاجٌ يقرب منه تاج الملوك، وأنتم شبابٌ جردٌ مردٌ مكحلون))[1].

هذه هي الأساور؟ فكيف ستكون الثياب؟

وأنت أمام نسائك يقلبن النظر فيك بعد أن أخذهن بريق أساورك، عدن يرجعن النظر في ثيابك فإذا أنت قد لبست ثياب الحرير من﴿سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ﴾(الإنسان: 21) فمرةً يرينك وقد لبست ثوباً أخضر من السندس الحريري الرقيق النحيف..ولأنك تتمتع بتبديل ثيابك كل برهةٍ من زمانٍ، فإنك تظهر أحياناً أخرى وقد لبست ثياباً خضراً من الإستبرق مما ثخن من الحرير، والإستبرق هو الديباج المنسوج بالذهب.. وتارةً تجمع بين النوعين.. فتلبس السندس وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي الأبدان، وتارة تلبس الإستبرق بين الناس..بما فيه من بريقٍ ولمعانٍ.. وهو مما يلي الظاهر كما هو المعهود في اللباس..تتقلب بين حرير رقيق.. أو سميك مبطن أنيق.

ولكن أيا حبيب الجنة: لا تقلق! ربما تحب لوناً غير الأخضر..حسناً فإنك تلبس الألوان المختلفة خضراء أو بيضاء أو سوداء أو غيرها..وإنما ذكر الله اللون الأخضر في لباسك لأنه الموافق للبصر..المنسجم مع خضرة الجنة.. فالبياض يبدد النظر ويؤلم، والسواد يذم، والخضرة بين البياض والسواد وذلك يجمع الشعاع[2].

1- انظر: تفسير ابن كثير 3/ 558.
2- انظر: تفسير القرطبي 10/ 397.

إنه لباس أهل الجنة..تراهم ﴿عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾(الإنسان)..عاليهم.."تأمل ما دلت عليه لفظة عاليهم من كون ذلك اللباس ظاهراً بارزاً يحمل ظواهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن.. بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال"[1].

ونداء من الملأ الأعلى ينادي عليكم بالتهنئة والتكريم، والبشرى بالنعيم : ﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾﴾(الإنسان).. جازاكم الله تعالى على العمل اليسير بالأجر الكثير، وهذا النداء لكم يعدل هذه المناعم كلها، ويمنحها قيمة أخرى فوق قيمتها.

الله! الله! ما مقدار الحب الذي تكنه في صدرك لربك الغفور الودود..ألا تراه – كما يقول قتادة– غفر لكم الذنب، وشكر لكم الحسنى...

وأنتم في هذه الزينة وهذا المتاع ، تتلقونه كله من ربكم فهو عطاءٌ كريمٌ من معطٍ كريم.
يا خاطب الجنة، وصاحبها الحميم: إنه النعيم المقيم..انظر فيه إلى ما أسبغ الله عليك به من الفضل العميم.

ومنادي السمـاء نـادى بلطـفٍ "أبشروا كـان سعيكم مشكوراً"[2]

مجلس أُنسٍ يضم زوجتك أو زوجاتك من أهل الدنيا ونساءك من الحور العين..قارن!

وفي مجلس أنس فريدٍ من نوعه..اجتمع فيه زوجتك أو زوجاتك من أهل الدنيا مع نسائك من الحور العين..لا غيرة بينهن ولا تباغض..فقد نزع الله الغل من قلوب المؤمنين وسقاهم ربهم شراباً طهوراً أذهب ما في صدورهم من فحش الدنيا وضغائنها.. اجتمعن معاً في مجلسٍ واحدٍ.. وصرت جالساً بين أيديهن..ونظرت إليهن نظرة حبٍ في أثناء تضاحككم

1- حادي الأرواح ص 136.
2- لشاعرنا المبدع عبد الرحمن العديني.

ولعبكم.. فإذا هن أترابٌ في الأخلاق متواخياتٌ بينهن ليس بينهن تباغضٌ ولا تحاسدٌ.. لا كما كنَّ ضرائر متعاديات في الدنيا..وهن أترابٌ مستويات الأسنان يأتلفن جميعاً، ويلعبن جميعاً.. وحانت منك نظرةٌ لهن فتأملت فإذا هن بيض الألوان.. خضر الثياب.. صفر الحلي.. مجامرهن الدر.. وأمشاطهن الذهب..

أعد النظر إليهن مراتٍ..فهل يُمل منهن؟..لا! إنهن حورٌ حييات لا تمتد أبصارهن إلى غير أصحابهن حياءً وعفة.. مع أنهن ﴿عِينٌ﴾(الواقعة: 22) واسعاتٌ جميلات العيون! وهن كذلك مصوناتٌ مع رقةٍ ولطفٍ ونعومة: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾(الصافات) لا تبتذله الأيدي ولا العيون!"[1].

فيا نظرةً أهدت إلى الوجه نضرةً أمن بعدها يسلو المحب المتيمُ
فللـه كـم من خيرةٍ إن تبسمت أضاء لها نور من الفجر أعظمُ

نساء الدنيا زادت الطاعة في حسنهن ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾:

اجتمعت نساؤك من نساء الدنيا مع الحور العين..كل منهن عَروبٌ متحببةٌ متغنجةٌ.. وبعد أن كنتَ تشهد الواحدة منهنَّ وحدها فتظنُّ أنها قد استولت على الحسن كله، وأن ليس بعد جمالها بعد..وظهر لك فرقٌ عظيم بين الصنفين في الحسن والجمال.. **فإن نساء الدنيا أفضل من الحور العين**..لا غرو! ألم يُكْسينَ نوراً وحسناً بعظيم عبادتهن، وطاعتهن في الدنيا.. فذلك زيادةٌ يزيدها الله في خلقهن بما كنَّ يعملن في الدنيا.. ولم لا يكن أجمل وأحسن؟.. انظر إليهن..كيف زادت الطاعة في حسنهن: اكتسبن ذلك بصلاتهن وصيامهن وعبادتهن لله عز وجل، فقذف الله في الدنيا في قلوبهن نوراً، وزادهن في الأخرى بهجةً وسروراً.. ومنادي الحق ينادي: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾(الأحزاب)..فهل ستغار الحور من هذا الجمال البهيج لنساء الدنيا؟ كان ذلك سيكون لولا أن الله ينزع الغيرة منهن..ولم لا تحق لهن الغيرة..وهن يرين من الجمال ما لا يوصف؟.. فهل سيتساءلن: من

1- انظر: في ظلال القرآن ص 2987.

هذه التي غطت جمالهن الأخاذ؟..أم سيبادر زوجها الذي ربما لن يعرفها للوهلة الأولى وقد أنشأها الله إنشاء، وأعاد بناء جسدها من جديد..فغطت الشمس بجمالها، وأهاجت الفؤاد بدلالها..وعندما يبادر زوجها للسؤال فما تراه يقول: يا هذه من أنت..؟

يا أنتِ ما هذا الجمالْ؟ ولمن أرى هذا الدلالْ ؟
الحُسْنُ فيك تجمعا أخجلتِ رباتِ الحجالْ
المسكُ أنتِ أريجه والدرُّ أنتِ له المثال
إني أراكِ بديعةً باللهِ ما هذا الجمالْ؟
عادت قليلاً للورا وتذكرتْ بيضَ الفِعالْ
وسَبَتْه حين تبسمت فرأى لفتنتها اكتمالْ
قالتْ وسحرُ حديثها يهفو فتنتعش الظلالْ
زاد الجمال بطاعة للهِ ربي ذي الجلالْ
فاض الفؤاد بحبه والحب عنوان الكمالْ
أنا من يناجي ربه في الليل إذ أرخى الحبالْ
أدعوه أذرفُ أدمعي وأخاف من سوء المآلْ
حفظي لربي في الخفا ذلي له في كل حالْ
ومنعت نفسيَ ما نهى وأطبت سمعي والمقالْ
لبس الحجاب ألا ترى زاد الجمال على الجمالْ[1]

وأما طيبها وعبيرها الذي يفوح منها..فأقل ما فيه أن يقال: هو الذي يكسب الطيب طيباً، وهو الذي يعطر المسك لا العكس..وهو حقيق بوصف مالك بن أسماء:

1- لحادي الركب: عبد الرحمن العديني.

وتزيدين طيب الطيب طيباً إن تمسيه أين مثلك أينا
وإذا الدر زان حسن وجوهٍ كان للدر حسن وجهك زينا

انظر إليهن..مَتِّعْ نظرك بما حُبين به من جمال..وقد يُكَدِّرُ عليك في هذا الجمال ما كان يُكَدِّرُ عليك في الدنيا من أن هؤلاء الأزواج يخفين وراء جمالهن أذى وقذى يحطم ذلك الجمال ويأباه..من حيض ونفاس..فتأتيك البشرى: أبشر! فهذا الجمال جمالٌ محض لم يُشَبْ..لم يختلط بشائبة أذى..فإن هؤلاء الأزواج﴿مُّطَهَّرَةٌ﴾(البقرة: 25) طُهِّرْن من كل أذى وقذى وريبة مما يكون في نساء أهل الدنيا من الحيض، والنفاس، والغائط، والبول، والمخاط والبصاق بل وحتى المني وما أشبه ذلك من الأذى والأدناس والريب والمكاره[1]..إنهن النساء..ولكنَّ نساء الجنة:

نساؤها المؤمنات الصابرات على حفظ العهود مع الإملاق والضررِ
كأنهن بدورٌ في غصون نقا على كثيبٍ بدت في ظلمة السحر

ألا من غناءٍ يزيد مجلس الأنس طرباً:

واشتهيتَ منهن غناء يزيدك طرباً، أو سبقنك لذاك لزيادة ولعك..فعند ذاك اجتمعن معاً..اسمع نبيك ﷺ وهو يصف ذاك الاجتماع البديع فيقول: ((إن في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن أصواتاً لم تسمع الخلائق بمثلها))[2]..وتراهن وهن ((يغنين أزواجهن بأحسن أصوات ما سمعها أحد قط))[3]..

ها هن قد قمن يتغنجن بين يديك، ويرفعن أصواتهن بغناءٍ عذبٍ جميلٍ..وكان مما سمعته منهن مما زاد شوقك للعناق، وحُبَّك لذياك الارتفاق:

1- انظر: الطبري 1/ 169.
2- الترمذي 4/ 696.
3- الطبراني في الصغير 2/35، وصححه الألباني وما بعده في صحيح الجامع الصغير، انظر الترتيب 4/ 273.

نحن الخالدات فلا نموت أبداً.. ونحن الناعمات فلا نبأس أبدا..

ونحن المقيمات فلا نظعن أبدا..

ألا ونحن الراضيات فلا نسخط أبدا.. طوبى لمن كنا له وكان لنا..

ومن غنائهن: ((نحن الخيرات الحسان..

أزواج قومٍ كرام..

يُنْظَرْن بقرة أعيان[1]..))[2]..

ولئن حاولت تنغيم هذه الأبيات لتجدنَّ لوقعها وإثارتها عجباً..فكيف وهو يصدر ممن وضاءتها تمسح عين الشمس؟...

فيا لذة الأبصار إن هي أقبلتْ ويـا لـذة الأسماع حين تَكَلَمُ

وفي أثناء غنائهن وتغنجهن شدت انتباهك إحداهن فصرت لا تحيل عنها الطرف..

وإذا بدت في حلةٍ من لبسها وتمـايلـت كتمـايـل النشـوان
تهتز كالغصن الرطيـب وحملـه وردٌ وتـفـاحٌ عـلـى رمـانِ
حتى إذا مـا واجهتـه تقابـلا أرأيـت إذ يتقابـل القمـرانِ
فسل المتيـم: هـل يحـل الصبـر عـن ضمٍّ وتقبيلٍ، وعـن فلتـان
وسل المتيم: أين خلَّـف صبـره فـي أي وادٍ أم بـأي مكـان
وسل المتيم كيف حالته وقـد ملئـت لـه الأذنـان والعينـان
من منطقٍ رقـت حواشيه ووجـهٍ كـم بـه للشمس مـن جريـان

1- أي ينظر إليهن فتقر أعين الناظر إليهن.
2- الطبراني في الأوسط 5/ 150، وقال في مجمع الزوائد 10/ 419: ورجاله رجال الصحيح.

ولكن مهلاً لا تشغلك الأولى عن الثانية.. ألا يكفيك احمرار الخدود عند طلب التحول من نهود إلى نهود..:

فإن أهل الجنة ((لكل رجل منهم زوجتان))[1] سوى الحور العين..فلا تنشغل بواحدة دون الأخرى..وإن كانت الواحدة لتكفي الإنسان شغلاً..

تدخل على الأولى منهما فإذا هي في غرفةٍ من ياقوتةٍ على سريرٍ من ذهبٍ مكللٍ باللؤلؤ عليه سبعون زوجاً من سندسٍ وإستبرقٍ.. وتأمل المشهد الذي هزَّ العشاق طرباً؛ إذ يضع يده بين كتفيها، ثم ينظر إلى يده من صدرها من وراء ثيابها وجلدها ولحمها.. وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت.. كبده لها مرآة.. وكبدها له مرآة.. فبينما هو عندها لا يملها ولا تمله، ولا يأتيها من مرةٍ إلا ويجدها عذراء..فبينما هو كذلك إذ نودي من الثانية المستهامة المنتظرة: قد عرفنا أنك لا تَمَل، ولا تُمَل.. إلا أن لك أزواجاً غيرها.. فيخرج فيأتيهن واحدةً واحدة.. كلما جاء واحدة قالت: والله ما في الجنة شيءٌ أحسن منك، وما في الجنة شيءٌ أحب إلي منك[2]..

عند ذاك يسدل الستار على مجلس الاستمتاع بأمتع إزار..حتى إن الواحد من أهل الجنة ((ليعطى قوة مئة في الأكل والشرب والنكاح))[3]..حسبه بذلك استمتاعاً..وهو في دنياه عندما يريد الزيادة على ما أوتي من قوةٍ ضعيفة يكاد ينهار دون ذلك انقطاعاً.

فيا خجلة الغصن الرطيب إذا انثنت ويا خجلة الفجرين حين تبسم
فإن كنت ذا قلبٍ عليل بحبها فلم يبق إلا وصلها لك مرهم
ولا سيما في لثمها عند ضمها وقد صار منها تحت جيدك معصم

1- البخاري 3/ 1185، مسلم 4/ 2178.
2- ورد مرفوعاً في حديث الصور الطويل..وقد ذكرناه لأن واقع الآيات والأحاديث الصحاح تدل عليه.
3- الترمذي 4/ 677، وقال: صحيح غريب، ابن حبان 16/ 413، وصححه الأرناؤوط.

وهناك رددت الأصداء انشغال أصحاب الجنة بألذ شغلٍ يبتغيه الشباب، ويرجوه العشاق عند أحب لقاء..﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ۝ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ۝﴾(يس) فهل شغلهم إلا افتضاض العذارى كما قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد..إنه شغل المحبين..فما هو إلا:

شغل العروس بعرسه من بعدما عبثت به الأشواق طول زمانِ
بالله لا تسأله عن أشغاله تلك الليالي شأنه ذو شانِ
واضرب لهم مثلاً بصبٍّ غاب عن محبوبه في شاسع البلدان
والشوقُ يزعجه إليه وماله بلقائه سببٌ من الإمكان
وافى إليه بعد طول مغيبه عنه وصار الوصل ذا إمكان
أتلومه أن صار ذا شغلٍ به؟ لا والذي أعطى بلا حسبان

ويطيب لهم هذا الشغل حتى إن الرجل منهم -كما يقول أبو قلابة-: بينما يكون مع أهله إذ قيل له: تحول إلى أهلك، فيقول: أنا مع أهلي مشغولٌ. فيقال: تحول أيضاً إلى أهلك[1]..**ألا يكفيك احمرار الخدود عند طلب التحول من نهود إلى نهود..**

كأن احمرار الورد فوق غصونه بوقت الضحى في روضة المتضاحكِ
خدود عذارى قد خجلن من الحيا تهادين بالريحان فوق الأرائكِ

لعبٌ على الأرائك تحت ظلال الأشجار:

وهكذا فأنتم في شغلكم فاكهون مسرورون.. معجبون.. ناعمون.. متمازحون مع طيب نفسٍ، وضحكة فمٍ، وسرور قلبٍ، وانشراح صدرٍ، وأُنْسِ نفسٍ[2]..وقد تتنعم مع أهلك تحت

1- تفسير القرطبي 15/ 43.
2- انظر: تفسير القرطبي 15/43، تفسير ابن كثير 4/ 284.

ظلال الأشجار على الأرائك متكئون..﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾﴾(يس).

واتكأتم فيها على الأرائك متقابلين.. وكستكم النعمة فلا ترون فيها شمساً ولا تحسون زمهريراً..فأنتم تلتفتون فلا ترون فيها شمسا كشمس الدنيا ولا قمراً كقمر الدنيا تجدون أنفسكم في ضياءً مستديم لا ليل فيه ولا نهار..وداعي الوصف يراكم بأجمل حياةٍ فيردد ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾(الإنسان).

..هناك ترى اللذات صفواً بلا شائبة تنغيصٍ.. فليس في الجنة شدة حرٍّ كحر الشمس، ولا شدة بردٍ كزمهرير الدنيا..ليس عندكم حرٌّ مزعجٌ.. ولا بردٌ مؤلمٌ.. بل هي مزاجٌ واحدٌ دائمٌ سرمديٌ لا تبغون عنها حولا..

بينما أنتم في الجنة إذ رأيتم نوراً أشرق، وضوءاً أبرق..فلربما ظننتموه شمساً قد أشرقت فأشرقت بذلك النور الجنة..وإنما هو ابتسامةٌ سطرها ثغر حسناء من الحور لزوجها..

كملت خلائقها وأكمل حسنها كالبدر ليل الست بعد ثمان
والشمس تجري في محاسن وجهها والليل تحت ذوائب الأغصان
فتراه يعجب وهو موضع ذاك من ليلٍ وشمسٍ كيف يجتمعان
فيقول سبحان الذي ذا صنعه سبحان متقن صنعة الإنسان
وكلاهما مرآة صاحبه إذا ما شاء يبصر وجهه يريان
فيرى محاسن وجهه في وجهها وترى محاسنها به بعيان
حمر الخدود ثغورهن لآلئٌ سود العيون فواتر الأجفان
والبرق يبدو حين يبسم ثغرها فيضيء سقف القفصر بالجدران
ولقد روينا أن برقاً ساطعا يبدو فيسأل عنه من بجنان

فيقال هذا ضوء ثغرٍ ضاحكٍ فـي الجنـة العليا كمـا تريـان
للـه لاثـم ذلك الثغر الـذي فـي لثمه إدراك كـل أمـان[1]

وتزول جميع الهموم..وتنقشع كل الغموم..لرؤية وجهها..لكأنه رسم مرسوم!

تراه إذا أبدت له حسن وجههـا يلـــذ بـه قبـل الوصـال وينعمُ
تُذَكِّـرُ بالرحمـن مـن هـو ناظـرٌ فينطـــقُ بالتسبيـح لا يتلعثـــمُ
إذا قابلت جيش الهموم بوجهها تـولى علـى أعقابـه الجيـش يهزمُ

ولعلك أردتَ أن تكرر النظر والحوار.. في جلسات المحادثة المتجددة..فلتتلذذ الآذان بتكرار الحديث على أوجهٍ أخرى مختلفة..لقد كان هذا غاية ما يسعى إليه الدنيويون: تكرار ما يجدونه من لذاتٍ..ولو بفعل المستحيلات.. بعد زمن الهرم والموات..لكنك تعيش خالداً مخلداً في شبابك فافعل ما بدا لك من نعيمٍ..وكرر ما أحببت من لذةٍ..وأعد ما شئت من أقوال:

يـا مـن يذكرنـي بعهـد أحبتـي طاب الحديث بذكرهم ويطيب
أعد الحديث عليَّ من جنباتـه إن الحديث عن الحبيب حبيب

أين من يعد المهر الخالص لمثل هذه اللذة الصافية..فاذكر هنا أيا خاطب الحور

الحسان..اذكر أن بعض الصالحين قال: كنت في مجلس أبي منصورٍ الواعظ فوقعت رقعةٌ في المجلس.. فإذا فيها:

بسم الله الرحمن الرحيم: يا أبا منصور أنا رجلٌ من إخوانك.. تُبْتُ إلى الله على يديك.. وأنا اشتريت من الله عز وجل حوراً على صداق ثلاثين ختمة.. فختمت منها تسعاً

1- نونية ابن القيم 2/549.

وعشرين فأنا في الثلاثين.. إذ حملتني عيناي -أي نمتُ-فرأيت كأن حوراء خرجت عليَّ من المحراب.. فلما رأتني أنظر إليها أنشأت تقول برخيم صوتها:

أتخطب مثلي وعني تنام ونوم المحبين عني حرام
لأنا خلقنا لكل امرئٍ كثير الصلاة براه الصيام[1]

وبعد: فما رأيك بنعيمٍ كهذا النعيم: ألا تسرج له مركب الشوق بعبادةٍ قانتة، وحب خالص؟ وإنما يحاول أهل الدنيا التقليد:

أنتم مشغولون عن أهل النار وعذابهم بما أنتم فيه من النعيم، ملتذون متفكهون.. تتكئون في ظلالٍ مستطابةٍ.. تستروحون نسيمها..يأتيكم ما تطلبون من فاكهةٍ..وما تشتهون من غيرها مما يمتعُ جلستكم، ويزيدكم نعيمكم..ولكم فوق اللذائذ تحايا التأهيل والتكريم: سلامٌ..تتلقونه من ربكم الكريم: ﴿قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾(يس)..[2]

..وهكذا يستمر نعيمكم لا تبلى ثيابكم، ولا يفنى شبابكم..ولا تني ولا تضعف قوتكم..وتتجدد لكم في كل حينٍ لذتكم وشهوتكم..ولقد ترى الدنيويين المترعين بشبابهم يملأون الدنيا ضجيجاً بما حباهم الله به قوة جسد، وحلاوة مشهد..فما يفتأون يطلبون لذتهم قبل اختزام المنايا لهم..فكيف ولذات الدنيا كلها تمَلّ..وعندها الأبدان تَكِلّ..تصاب بالعلل.. لو قورنت بلذات الآخرة المتجددة المستطابة..

وحسبك ذلك فإن له ما بعده وإنما هي إشارة إلى مكمن العشق الأحق..لا إلى عشق الزيف، والاكتفاء في الدنيا بالرمق.

فما ترى في هذا النعيم أيا حبيب الجنة وعاشقها: تفكهٌ مع الأبكار..سماعٌ لغناءٍ عذبٍ

1- انظر: حلية الأولياء 9/ 326.
2- انظر: الظلال ص 2972.

مع الأبرار[1]..**وإنما يحاول أهل الدنيا التقليد..وهل يمكن تقليد ما يفنى** بما يبقى، أو يلحق الثرى بالنجم الأعلى..بل أيدركه وهو عنه منقطعٌ لا يصل إلى ذرةٍ منه أو أدنى.. ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾﴾ (النجم: 55)..

وقد أسكت النبي ﷺ تطلع التصورات حينما ذكر أن كل ما في الدنيا من لذائذ وشهوات ((لا تساوي جناح بعوضة))[2]..فهل يقارَن ما لا يساوي جناح بعوضةٍ بكل هذه القوة وذلك النعيم، وهذا المتاع..وذا الملك الكبير..؟

"إنه نعيمٌ مضاعفٌ يجمع كل مظاهر النعيم..نعيم تستمتع به النفس، ويستمتع به الحس..وتجد فيه كل نفسٍ ما تشتهيه من ألوان النعيم.

ولمَ لا؟ وأنتم – أولاً – عباد الله المخلصون..يا له من تكريم أن يناديك الجليل: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾﴾(الصافات).. وفي هذه الإشارة أعلى مراتب التكريم.

وأنتم – ثانياً – ﴿مُّكْرَمُونَ﴾(المعارج: 35) في الملأ الأعلى..ويا له من تكريم[3]..هو وحده نعيمٌ وأي نعيم.

أيا حبيب الجنة: فاستبق إلى ذلك المقام..إذا استبق اللاهون في اللعب والآثام..واحذر أن تكون ممن قال فيهم أستاذ التربية الإيمانية يحيى بن معاذ الرازي: "عملٌ كالسراب..وقلبٌ من التقوى خراب..وذنوبٌ بعدد الرمل والتراب..ثم تطمع في الكواعب الأتراب؟! هيهات..هيهات..أنت سكران بغير شراب..

أيا حبيب الجنة: ما أكملك لو بادرت أملك..

أيا خاطب الجنة: ما أجلَّك لو بادرت أجلك..فأنجزت العمل..قبل حلول الأجل..

1- انظر: تفسير ابن كثير 3/ 576.
2- انظر: الترمذي 4/ 560، وقال: صحيح غريب.
3- في ظلال القرآن ص2987 بتصرف.

أيا خاطب الحور الحسان: ما أقواك لو خالفت هواك.."[1].

فيا خاطب الحسناء إن كنت راغباً فهـذا زمـان المهـر فهـو المقدَّمُ

والآن..بعد هذا العيش الرائق، والفصل الشائق..هل ستعلل نفسك وأنت تعد مهر العروس بطيف العروس يشرق عليك سناها فتهفو إلى الوصال المرتقب؟..إليك هتافك وهتاف طيفها..في انتظار اللقاء الحق:

عللينـي بالوصـال المرتقـبْ وأزيلـي الهـمَّ عنـي والتعبْ
وامنحـي قلبـيَ شوقـاً جامحـاً يطـرد النـوم ويشـدو بالنصـبْ
إيـه حـوراء سلبتـي مهجتـي يـا هنـاء الأسر يـا فخر السلبْ
مـا حياتي دون لقيـاك وهـل طـابـت الدنيا وعنـك المحتجَـبْ
فأتتني عنـد غمـضٍ حالـمٍ ورنـت هـامسـةً (يا للطربْ)
يـا حبيب القلب إني هاهنـا في اشتياقٍ بـات يغلي كاللهبْ
جد في السير إلـى خالقنـا واحـذر الآثـام دومـاً والغضبْ
لا تعـر قلبـك دنيـا زينـت وطـوت في ثوبها كل الكربْ
قم من الليل ورتل في الدجـى سـور القـرآن.. أَجْـرِ المنسكـبْ
واغتنـم صومـاً بيـومٍ صائـفٍ سوف يحلو الكأس مني والرطبْ
ردد الأذكار في أوقاتها واسْـرِ بالـروح ولا تخـش العتـبْ
وأطـل ذكـراً لنـا إن الهـوى يمنـع الغمـض ويعلـو بالرتـبْ
يا حبيب القلب هذا مهرنا وغداً ألقاك يا فوز الطلبْ[2]

1- انظر: تاريخ بغداد 14/ 210..بتصرف.
2- لحادي الركب: عبد الرحمن العديني.

المشهد الرابع

أيها الصابرون:((كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية))

أبهة الطعام وتحف الهدايا تتناوب المجيء إلى الكرام:

طابت الجنة وطاب سكنها..فيا جناح الشوق احملني إليها بطاعة أتفيأ فنَنها..

واشتهيت الطعام فإذا رزقك منه.. تراه يأتيك متى طلبته بكرةً وعشياً..الفائزون بجنات ربهم ﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ﴾(يس: 57) ليس ذلك فقط.. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾ (فصلت) ..رزقٌ يتناوب عليك مجيئه ﴿بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾(مريم) فهو غير منقطع، ويتفكه معه بفاكهة كثيرة ﴿لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾(الواقعة: 33).. كل شيءٍ هنا معدٌ للتناول بلا كدٍ ولا مشقةٍ..ورزق العشاء يختلف عن رزق الغداء..وهكذا ترى النعم تتلون عليكم لتزدادوا تنعما وغبطة..ليس لأن هناك ليلاً يُرى إنما هو ضوء ونور..يرد الغدو على الرواح والرواح على الغدو..وتأتيكم طرف الهدايا من الله تعالى مما لا يمكنكم الإحاطة بتمنيه، وعندما تأتي الهدايا تدخل عليكم الملائكة من كل باب تسلم عليكم سلام ذوي الوجاهة الرفيعة عند ربهم: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾(الرعد)..

تمتع بأبهة الخدمة، وطيب المقام، ولذة الطعام:

وأنت في بحبوحة قصرك أو في سرير ملكك أو في غرفتك، أو..وأنت تتمشى في بساتينك، أو تقضي بعض الوقت في جلسةٍ ممتعةٍ أمام الجداول المنبعثة من أنهار الجنة..حيث البساتين والرياض النضرة التي تجري من تحتها الأنهار..وأنت في أي مشهدٍ من هذه المشاهد مستأنساً لحديث أصحابك، أو مستمتعاً بالخلوة بأهلك..ترى من أبهة الخدمة الجارية عليك ما لم يخطر لك على بال، بل ولا لملكٍ من ملوك الدنيا..إذ ترى أهل الجنة ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ﴾(الزخرف: 71)..فلك في الجنة أطعمةٌ وأشربةٌ يطاف بها عليك في

صحاف ذهب وأكواب ذهب[1]..

..كل صحافك وآنيتك من ذهب..جاء يوم جزاء الحسنى..كم امتنعت من أن تستعمل الذهب آنية في دنياك ابتغاء وجه ربك، فأعقبك الله بأعظم الذهب في آخرتك..

والآن أوقف كل تصورٍ عندك.. وانظر معي إلى هذه الصورة:

ها هم أولاء غلمانك المخلدون الذي يسيرون من حولك كأنهم لؤلؤٌ منثور..وهم يطوفون بصحاف الذهب، وأكواب الذهب عليها ألوان الطعام والشراب.. وفي كل واحدةٍ منها لونٌ ليس في صاحبتها..وأنت تأكل من آخرها كما تأكل من أولها..لا تمل ولا يعتريك ما يعتري الشبعان من الامتلاء الذي يمنعه من التمتع والتلذذ..ثم تراك تجد طعم آخرها في اللذة كما تجد طعم أولها.. لا يشبه بعضه بعضا..ولا ينسي بعضه بعضاً..ويراح عليك بمثلها.. وتصور نفسك وقد دعوت لذلك صحبك، وأهل أنسك..ثم تصور نفسك تتناوله في حديقةٍ من حدائقك الغناء مع أهلك وأحب الناس إليك، أو مع حورك ونسائك..وأنتم تُشَنِّفون آذانكم بخرير المياه وتغريد الطيور.. والأصوات الحسنة العالية، والتبجيلات المفخمة تتكرر عليكم تقول: ﴿كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ٢٤﴾(الحاقة).

عندها تذكرتَ الوعد الحق في الدنيا قد صار ماثلاً في الآخرة و﴿كُلَّمَا﴾ (البقرة: 25) رأيت نعيماً جديداً بادرت تقول: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ﴾(البقرة: 25) هذا الذي وعدنا به في الدنيا،وجرى على لسانك ترتيل الوعد الذي سمعته في الدنيا،فترنمت تقرأ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾(البقرة:25) فجرى على لسانك تسبيح الغفور الشكور..شكراً وحمداً.

وعندما تتناول شيئاً من أعاجيب الثمار أو الطعام بادرت تقول لصحبك من حواليك،

1- انظر: تفسير القرطبي 16/ 111.

أو لزوجك وأهلك في مجلس أنسك: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾(البقرة: 25) في الجنة..لأنكم ترزقون أولاً ثم ترزقون به ثانياً، فإذا أتيتم بطعامٍ وثمارٍ في أول النهار فأكلتم منها، ثم أُتيتم منها في آخر النهار قلتم ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾(البقرة: 25) ﴿مُتَشَٰبِهًا﴾(البقرة: 25) يشبه بعضه بعضا في المنظر ويختلف في الطعم.. كما تشبه بعضها بعضاً في أنها كلها "خيار لا رذل فيها" ولا رديء، ولا فاسد يغر بمنظره لأول وهلة "وليس كثمار الدنيا التي لا تتشابه.. لأن فيها خيارا وغير خيار"[1]..فليس أوله خيرا من آخره، بل أوله مثل أخره وآخره مثل أوله.. فهو خيار كله يشبه بعضه بعضا[2].

وتعجبتم من اختلافه عن طعام الدنيا مع أنه يشبهه في أصل المادة فقلتم تاراتٍ أخر: ﴿هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ﴾(البقرة: 25) على وجه التعجب..وأنى له أن يشبهه تماماً و((ليس في الدنيا شيءٌ مما في الجنة سوى الأسماء)) فكأنكم تعجبتم لما رأيتم من حسن الثمرة، وعظم خلقها[3]..

واجتمع لهذا كله في هذه الصورة: جمال الولدان المخلدين الطائفين، وجمال الجنان، وجمال القصور والعمران، وجمال الأثاث والخلان، وتوهج جمالك، وبريق جمال نسائك الخيرات الحسان..فأي منظرٍ من ذلك هو الذي يطغى عليك حبه والالتفات إليه أكثر..؟.

أواني الطعام: أكواب فضة طائفة، وصحافٌ من ذهب دائرة:

وأنت في متكئك أو في قيامك وتلذذك بالمشي في أرجاء جنانك، ورحاب قصورك يطاف عليكم ﴿بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾ (الإنسان).. يدور عليكم الولدان المخلدون ليعرضوا عليكم الشراب والأكل بآنيةٍ من فضة، ومثلها صحافٌ من ذهب..لكن تذكر أيضاً عجز الكلمات فليس في الدنيا شيءٍ مما في الجنة إلا الأسماء..

1- انظر: تفسير القرطبي1/ 240.
2- حادي الأرواح ص117.
3- انظر: تفسير القرطبي1/ 240.

فما في الجنة أشرف وأعلى.. وأسمى وأنقى..وبالصحاف الدائرة والأكواب الطائفة يطيب المجلس ويحلو المتكا.

وحانت منك رغبة في تناول الكوب فأخذك جماله وصفاؤه، وحسن شكله حتى لربما أشغلك عن الشرب منه إذ تراه في صفاء القوارير، وبياض الفضة فصفاؤها صفاء الزجاج.. وهي من فضةٍ مع ذلك المزاج[1]..

وراعك ذاك الصفاء لأكواب الفضة إذ هي شفافةٌ يرى ما في باطنها من ظاهرها فإنه ليس في الجنة شيء إلا قد رأيت في الدنيا شبهه إلا القوارير من فضة[2]..فإنك لو أخذت فضةً من فضة الدنيا فضربتها حتى جعلتها مثل جناح الذباب لم تر من ورائها الماء، ولكن قوارير الجنة من الفضة ولكنها فضة كالزجاج تبين صفاءها وصفاء ما ورائها من قوارير..

وبعد هذا الاستمتاع في النظر إلى الأكواب عمدت إلى النظر إلى محتوي الأكواب من أنواع الشراب..وقد هفت نفسك للثم الكوب من صفائه فعجبت كيف أن الأكواب قد ﴿قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾(الإنسان) فقدرها لكم السقاة الذين يطوفون بها عليكم فأتوا بها على قدر رغبتكم واستمتاعكم والتذاذكم بغير زيادة ولا نقصان، وذلك ألذ وأشهى..وترى الأقداح عند بعضكم زاد شرابها، وعند بعضكم نقص.. وذلك لاختلاف رغباتكم في الشرب فهي لا تفضل عن الري، ولا تنقص منه فقد ألهمت الأقداح آلياً معرفة مقدار استمتاع المشتهى حتى تغترف بذلك المقدار.

أيا عباد الله: ذلك لكم إيناسا وتكريما، وإعلانا للفضل، وللقرب من الجليل سبحانه.

ثمر الجنان..وظلال الأفنان يتبعانك أنى دعوتهما..فهما لك في كل حالٍ دان:

1- انظر: تفسير القرطبي 19/ 140.
2- المراد رأيت ما يشبهه على هيئة ما..كالأسماء..وإلا فالجنة لا تقارن بها ملاذ الدنيا..والأمر للتقريب.

وأنت في مُتَكَئِك في إحدى الجنان مع صحبك تتحادثون أو مع أهلك تلعبون.. رغبت في أن يمتد عليك ظلٌ من ظلال الجنة يعطيك نوعاً من الاستمتاع الجديد..فترى الظلال تأتيك حيث رغبت..فالظلال دانية عليكم..﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾(الإنسان:) ..أكمل المشهد المثير للذة والاستمتاع: ففي ذلك المتكأ ذللت قطوفها تذليلا..تلتفت إلى الثمار الشهية، والفواكه الرخية فتحب أخذ شيءٍ من قطافها تلذذاً بأكلها، أو تفكهاً بمناولة زوجك بجوارك، أو راغباً في التفكه بالنظر إليها وتقليبها..فترى القطوف تتجه نحوك بِذِلَّة، وتضع نفسها في يديك في استجابةٍ تامة..نعم فقد ﴿وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾(الإنسان) سُخِّرَتْ لك قطوفها وثمارها تسخيراً..فإنك وأنت قاعدٌ أو وأنت مضطجعٌ لا يرد يديك عنها بعدٌ ولا شوكٌ..بل إن قمتَ ارتفعت لك، وإن جلست تدلت عليك، وإن اضطجعت دنت منك فأكلت منها، أو تفكهت بها..إن أكلت منها قائماً لم تؤذك، وإن أكلت منها قاعداً لم تؤذك، وإن أكلت منها مضطجعاً لم تؤذك.. بل تذللت لك حتى تناولها..وإذا هممت –مجرد همٍّ يا ولي الله–أن تتناول من ثمارها تدلت إليك حتى تتناول منها ما تريد..

وعندما تذلل لك قطوفها ويسهل لك تناولها تراها تدنو منك فتبرز لك من أكمامها، وتخلص لك من نواها[1]..ثم تتدلى من أعلى غصنها سامعةً طائعةً.. ومنادي الحق ينادي يخبرهم ويخبر عنهم: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾(الرحمن).

ولا تسل عن أنواع الفواكه، وألوان الثمرات..فإنك ترى في الجنة ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾(الرحمن).. ففيها مثلاً ﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾(الرحمن)..عَبِّرْ لنا يا حبيب الجنة عما ترى من ألوان الفواكه وأطايب الطعام..فماذا يمكنك أن تقول؟ لعلك وأنت مبتسمٌ مندهشٌ لا تستطيع التعبير عما تراه إلا بقول ربك جل وعز ﴿وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾(محمد: 15)..وزاد ربك عز جاره فأعطاهم شيئاً أعظم من كل هذا النعيم فقال: ﴿وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ﴾(محمد: 15) لذنوبهم..أيارب ذلك ما نبغي..ذلك ما نبغي..

1- انظر: تفسير القرطبي 19/ 138..هكذا قال، والظاهر أنه لا يوجد نوى في الجنة.

أيا خاطب الجنة: ماذا تريد أكثر من ذاك؟..إذا ذللت القطوف ودنت الظلال.. فهي الراحة والاسترواح على أمتع ما يمتد إليه الخيال !.

حبذا اللهو مع الأحباب..ودوران كؤوس الشراب:

الخمر..كم تشتاق لها النفوس، وتطرب لها القلوب..وكم يهفو إليها من أراد الاستمتاع ..بعد دوران أصناف الفواكه التي ليس لها انقطاع..

ولكن خمرة الدنيا ما تزال سيئة الصورة منظراً ومخبراً عند ذوي العقول..فإليك صورةً من عجائب الالتذاذ بخمرةٍ صافية..تطرب لها النفوس حقاً..وتعشقها القلوب بدون استثناء صدقاً..**ولكن أيا حبيباه: انتظرها في الجنة ولا تعجل على التشبه بها في الدنيا**..إليك هذه الصورة الممتعة فاستمعها معلناً هيامك بها: لما طاب التمتع طاف عليكم الولدان المخلدون بأنواع الكؤوس التي ترْفَعُ اللذة، وتُسَابِقُ للاستمتاع بها النفوس..وترى أهلك معك وهم ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾﴾(الإنسان)..تسقون الخمر في الإناء ممزوجاً بالزنجبيل.. يطيب لكم رائحته، ويُجَمِّلُ ذائقته، ويجذب إليه اللسان جذباً..

فتارةً يمزج لهم الشراب بالكافور وهو باردٌ.. وتارةً يمزج بالزنجبيل وهو حارٌ ليعتدل الأمر أحياناً..وأحياناً ليتم الالتذاذ بالنوعين.. والكافور عين ماءٍ في الجنة.. فالخمر تمزج للأبرار بالكافور، وتختم بالمسك..وترى الكافور ظاهراً في ريحها؛ إذ تطيب الخمرة بالمسك والكافور والزنجبيل.. فشاهد هذا المشهد الرائع.. كاملاً في قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾(الإنسان)..

أي خاطب الجنة وحبيبها: وعندما تصف ذلك بالكافور فيتراءى لك عبق كافور الدنيا..أو بالزنجبيل فاذكر أن ذلك بسبب أننا أسرى الكلمات التي نشاهدها ونألفها وإلا فهو ليس بكافور الدنيا ولكن سمى الله ما عنده بما عند أهل الدنيا حتى تهتدي لها القلوب.. فلا تخلط ما تسمع بما ترى في الدنيا فإنما هي أوصافٌ للتقريب، يعلم الله أن الناس لا يملكون

سواها لتصور هذا الغيب المحجوب.

صورة إجمالية ترسمها سورة الإنسان:

فأنتم في تمتعكم متكئين على الأرائك بين الظلال الوارفة، والقطوف الدانية، والجو الرائق..يطاف عليكم بأشربةٍ في آنيةٍ من فضة، وفي أكوابٍ من فضةٍ كذلك، ولكنها شفافةٌ كالقوارير، مما لم تعهده الأرض في آنية الفضة. وهي بأحجام مقدرةٍ تقديراً يحقق المتاع والجمال. ثم هي تمزج بالزنجبيل كما مزجت مرة بالكافور.

وهي كذلك تملأ من عين جارية تسمى سلسبيلا ، لشدة عذوبتها واستساغتها لدى الشاربين!

وزيادة في المتاع فإن الذين يطوفون بهذه الأواني والأكواب بالشراب هم غلمانٌ صباح الوجوه، لا يفعل فيهم الزمن، ولا تدركهم السن؛ فهم مخلدون في سن الصباحة والصبا والوضاءة. وهم هنا وهناك كاللؤلؤ المنثور: ﴿وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾(الإنسان) [1].

مخرج الطعام.. نعيم إلى نعيم:

نعم ألا تنظر إلى صحبك ونفسك وأنتم: تأكلون فيها، وتشربون، ولا تتفلون، ولا تبولون، ولا تتغوطون، ولا تمتخطون..لربما تساءلت وقد انفتحت أساريرك، وأُشرع مَرْكَبُ شوقِك: فما بال الطعام..كيف مخرجه حتى نستلذ بطعامٍ آخر؟ أو يكون إخراجه كما في الدنيا عذاباً في ذاته؟ فانظر ما حال طعامك الذي أكلت بعد أن أكلت.. وحتى تعود بطونكم إلى حالها فتشتهي الأكل من جديد.. لقد تحول إلى ((جُشاءٍ ورشحٍ كرشح المسك))[2].. فبعد الأكل يسقيكم ربكم ﴿شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾(الإنسان) تطوف عليكم به الولدان

1- انظر: الظلال ص 3783.
2- انظر: مسلم 4/ 135.

المخلدون.. أُتِيتُم في آخر ذلك بالشراب الطهور فتضمر لذلك بطونكم، ويفيض عرقاً من جلودكم..ولكنه عرقٌ أطيب من ريح المسك[1] فإذا شربتموه بعد أكلكم طهركم وصار ما أكلتموه وما شربتموه رشح مسك وضمرت بطونكم..لتلتذوا بطعامٍ جديدٍ، وشراب فريد.

..وترتيل الوصف يلهبُ الأسماع المشتاقة ﴿وَسَقَىٰهُمۡ رَبُّهُمۡ شَرَابٗا طَهُورًا ٢١﴾(الإنسان)..

ومنادي الحق ينادي عليكم بالتعظيم والتبجيل، والتنعيم والتدليل: ﴿وَتِلۡكَ ٱلۡجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثۡتُمُوهَا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧٢ لَكُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ كَثِيرَةٞ مِّنۡهَا تَأۡكُلُونَ ٧٣﴾ (الزخرف).

وهناك لا تملكون أنفسكم وأنتم ترون هذه النعمة من التسبيح والتحميد، بل تلهمون التسبيح والتحميد والتكبير كما تلهمون النفس[2]، وألسنتكم ما تفتر أن تردد ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ﴾ (الأعراف: 43).. ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهۡتَدِيَ لَوۡلَآ أَنۡ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾(الأعراف: 43)..إنه الشعور بالنعمة لأنها ليست ككل نعمة..إنها الجنة..إنها الجنة أيها المشمرون فأين أنتم؟..اللهم إني أسالك الجنة..اللهم إني أسألك الفردوس وما قرب إليها من قول وعمل.

1- انظر تفسير القرطبي 16/ 112.
2- انظر: مسلم 4/ 135.

المشهد الخامس

كالجمال في الصورة.. إليك الجمال في الصوت

الأصوات الطيبة..تطيب المكان، وتوقظ الوسنان، وتأسر الإنسان:

وتتحرك في أرجاء مملكتك في جنتك العالية المرتفعة في المكان العالية في القدر والمقام؛ إذ فيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وأنتم فيها خالدون[1]..

تعجب من ذلك ففوق شهوة النفس يوجد التذاذ العيون.. في المضمون الكمال، وفي الشكل الجمال..فهاهي المشتهيات على أطيب مثال..فهل جدَّ في تحصيله العمَّال..؟.

تتحرك وأنت قد بِتَّ راضياً عن عملك الذي عملته في الدنيا..راضياً عن ثوابه الذي أعطاك ربك.. وماذا تبتغي أكثر؟ فقد أعطاك في الجنة هذا الملك العظيم الذي لم يكن يخطر على بالك أن تُعْطَى عُشْرَ عُشْرِهِ..بل أن تستحقه في مقابل العمل اليسير الذي قدمته في الحياة الدنيا ولكنه ربك الجليل يجزي على اليسير بالكثير ﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾﴾(فاطر).. ومنادي الحق ينادي: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾(يونس)

ولربما تساءلت وأنت تمر بجنانك، وجيرانك، وأسواق الجنة، ومجمعاتها: لكن مع كثرة العاملين في مملكتك والداخلين من زوارك وصحبك وضيفانك..ألن تسمع مع هذا الاختلاط شيئاً من اللغو يزعجك..ولو قلَّ؟ ويأتيك الجواب: ﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا﴾ (الغاشية: 11) كلمةً ﴿لَٰغِيَةً ﴿١١﴾﴾(الغاشية)..فلا تسمع فيها كلمة لغو بل ولن تسمع حتى شيئاً من رفث التكلم فكل ما تسمعه هو كلامٌ مرضي رفيعٌ رائق..

1- تفسير القرطبي 20/ 32.

يا نضر الوجه: ما أكثر ما كنت تتأذى من لغو الكلام ورفث القول في الدنيا في بيتك، أو في سوقك، أو في طريقك...فأحياناً تسمع كذباً وبهتانا وكفراً بالله عز وجل، وأحياناً تسمع كلاماً باطلاً يطفو منه الإثم، وأحياناً تسمع شتماً وسباً، وأحياناً كنت تسمع معصيةً، أو ما يؤدي إليها، وكثيراً ما كنت تتأذى بسماع الحالف يحلف بكذبٍ.. وأقل ذلك أن تسمع كلمة لغوٍ يظهر منها الفحش أو سوء الأدب..ذاك كان في ماضي الأزمان..أما في الجنان فلا تسمع إلا الحكمة، وحمد الله على ما رزقهم من النعيم الدائم، وشكر الديان.. والجميل من القول يخاطب بعضهم به بعضاً.. إنهم أصحاب الجنة: أُدخلوا الجنة ﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡحَمِيدِ ٢٤﴾(الحج).

أيا نضر الوجه: شَنِّفْ سمعك لأعذب الكلام الذي تلقاه في كل أرجاء الجنة، فإنك تجده إما:

أن يكون التحية فيما بينكم-معاشر أهل الجنة-، وتحيتكم ﴿فِيهَا سَلَٰمٌۚ﴾(يونس: 10)، وإما أن يكون الكلام الذي تسمعونه من الملائكة الداخلين عليكم، والملائكة حين يدخلون عليكم من كل بابٍ، فإنما يرددون ثبوت السلام والأمن لكم، ويعطونكم أجمل عبارات التهنئة والحب: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ٢٤﴾(الرعد: 24)..

وهكذا أنتم لا تسمعون ﴿فِيهَا لَغۡوٗا وَلَا تَأۡثِيمًا ٢٥ إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦﴾(الواقعة)، وفي كل مجلسٍ لكم تُلقون في أرجاء الجنة تحيةً وسلاما..فلا تسمعون في الجنة كلاماً لاغياً عابثاً خالياً عن المعنى..أو مشتملاً على معنى حقيرٍ أو ضعيف.. فضلاً عن أنك لا تسمع فيها تأثيماً من كل كلامٍ فيه قبح..مما كنت تتأذى منه في الدنيا ﴿إِلَّا قِيلٗا سَلَٰمٗا سَلَٰمٗا ٢٦﴾(الواقعة) ولا تجد إلا التسليم منكم بعضكم على بعض، أو طيب القول يهز النفس، ويطرب الفؤاد.

تصور ذلك وقارنه بالذل الذي يلقاه أصحاب النار، والإهانة التي يتجرعونها مع العذاب الذي هم فيه حيث يوبخون بالكلام ويُقَرَّعون به ويقال لهم:﴿ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١﴾ (آل عمران).

لا بد أنك اشتقت إلى شيء من الغناء والصوت الشجي، فاسمع ثم احكم:

والآن أيا عاشق الجنة: مهلاً! أيا خاطب الجنة: ماذا نسيت مما تشتهي..تَذَكَرْ.. أو تريد من يُذَكِّرك؟.

هناك تذكرت.. تذكرتَ شيئاً. فما هو؟ لقد اشتقت لغناءٍ مباحٍ يطربك..وصوتٍ حسنٍ يشجيك ويسليك..ويعلي نعيمك.. فاسمع ما حواليك مما تشتهي سماعه فإنه "سماعٌ لم يستمع السامعون إلى مثله"[1]..

تشتاق إلى الغناء في الجنة، فتطلبه فيجتمع لك فوراً ذووه المتخصصون فيه فإذا أخذ أهل الجنة في (الغناء) السماع لم تبق شجرةٌ في الجنة إلا رددت الغناء بالتسبيح والتقديس)[2]..

ويهب المغنون يغنون بأغانيها، والطير بألحانها، وقد قيل: يوحي الله تبارك وتعالى إلى الملائكة عند الترنم بالتسبيح أن جاوبوهم وأسمعوا عبادي الذين نزهوا أسماعهم عن مزامير الشيطان، فيجاوبون بألحان وأصوات، فتختلط هذه الأصوات، فتصير رجةً واحدةً..

ثم إنك لا بد تشتاق إلى سماع صوت داود -عليه السلام- الذي كانت تسبح معه الجبال لشدة جمال صوته..فاطلبه تجده يمجد ربه بصوت يغمر الأصوات ويسبقها حسناً وسبكاً، وحين ذاك تتضاعف اللذة..وأهل الجنة في ذلك كله:﴿فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾﴾(الروم) [3]

ألا تشتهي الخروج للتبضع والترفه في سوق الجنة:

وإذا اشتقتَ إلى متعة التسوق مع أبهة الإيمان وتمام الترفه..خرجت من مملكتك بموكبك وهيبتك متجهاً بمراكبك الوطيئة إلى سوق الجنة..لا تنسَ هنا..لا تنسَ أيا حبيباه

1- انظر: الطبري25/ 97.
2- انظر: القرطبي14/ 12.
3- انظر: تفسير القرطبي14/ 13، وهذا على تفسير يحبرون بسماع الغناء.

وسل الله بعينين دامعتين شوقاً وخوفاً أن يجمعك بأعز أصحابك في ذلك السوق..أتريد رؤية السوق والتنزه فيه، ولقاء الأحبة والترفه معهم؟..فانظر إلى أهل الجنة قد خرجوا من بيوتهم في يوم التسوق..نعم فإن ((في الجنة لسوقاً يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال فتحثو في وجوههم وثيابهم فيزدادون حسناً وجمالاً))[1].. وخرجتَ معهم وازددتَ حسناً وجمالاً.. ثم رجعت إلى أهلك بعد أن ملأت مراكبك بتبضعك..رجعتَ وقد ازددت حسناً وجمالا، ورجع أصحابك كذلك..وهناك وجدتم مفاجأةً جديدة من مفاجآت التنعم إذ ((يقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسناً وجمالاً، فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنا وجمالا))..لا تنسَ أيا المشتاق أن أسواق الدنيا ترجع منها وقد ازددت غباراً وكمداً ونكداً..ثم سل الله من فضله..رب إني أسألك من فضلك ورحمتك.

الحمد هو اللهجة المتكررة إزاء النعم المتجددة:

وأشرفتَ على صاحب القلب المنيب وأصحابه والنعم تزداد وتكثر يوماً بعد يوم وحيناً بعد حينٍ..نظرتَ إليهم فوجدتهم لا يملون أن يرددوا لهجة الحمد..كلمةٌ واحدة تختصر لهم شكر ما لا طاقة لهم بشكره..نعم! فبعد أن عاينوا تلك الأنعم، وتقلبهم في الجنة في ذلك الثواب الوافر، والعطاء العظيم، والنعيم المقيم، والملك الكبير لم يملكوا إلا أن يهتفوا: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾(الزمر: 74) الذي كان وعدنا على ألسنة رسله الكرام بهذا مما لا يخطر لنا على بال فأنفذ الآن وعده..هم يستذكرون..ويتذكرون..أنهم كانوا يدعون في الدنيا بذلك: ﴿رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخۡزِنَا يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ إِنَّكَ لَا تُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ١٩٤﴾(آل عمران) ..والآن..الآن عياناً يشهدون أنه قد استجاب لهم ﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ﴾(آل عمران: 195)..استجاب لهم ربهم فهم يتقلبون في جناته..عندها يهتفون ويكررون: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ وَأَوۡرَثَنَا ٱلۡأَرۡضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلۡجَنَّةِ حَيۡثُ نَشَآءُۚ﴾(الزمر: 74)..هناك سمعتَ صاحب القلب المنيب:

1- مسلم 4/ 2178.

وسمعتَ المُنيبَ يحمدُ ربَّاً صَدَقَ الوعدَ قد هدى مَنْ أنابا
"يا هناء الدخول أسعدتَ روحي راقَ عيشي بقرب ربي وطابا"

﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾(الزمر: 74) أين شئنا حللنا، وفي مكان أردنا نزلنا، ولأي نعمةٍ اشتهينا وجدنا ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾(الزمر) فنعم الأجر أجرنا..

ولشعوركم بهذه النعمة العظيمة، وعظم الإحسان الذي أغدق الباري الكريم به عليكم ..تلهمون التسبيح والتحميد كما تلهمون النفس[1].

وتسمع عند ذلك ثناء الله عليهم مجدداً: ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾﴾(الزمر).
والحظ.. أنه أجر العاملين وليس الكسالى الغافلين:

امنع جفونك أن تذوق مناما واذر الدموع على الخدود سجاما
واعلم بأنك ميتٌ ومحاسبٌ يا من على سخط الجليل أقاما
لله قومٌ أخلصوا في حُبِّه فأثابهم واختصهم خداما
قومٌ إذا جنَّ الظلام عليهم باتوا هنالك سُجداً وقياما

1- انظر: مسلم 4/ 2180 .

المشهد السادس

تنعم يا صاحب المتاب..
بلقاء أصدق الأصحاب

نداءٌ إلهيٌ للمتقين من الأصحاب والأخلاء والأحباب في يوم الحساب:

ومضينا مع نعيمك يا صاحب القلب المنيب..فبينما يكون ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾(الزخرف: 67) يتعادون ويتباغضون ويتلاومون، ويتبرأ بعضهم من بعض..وكلٌ يدعي أن الآخر أغواه..إلا أن فئة المتقين المفلحين غير ذلك..نعم! ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾(الزخرف: 67) لاح النور، وذهبت هتافات الزيف.. فـ"كل صداقةٍ وصحبةٍ لغير الله.. فإنها تنقلب يوم القيامة عداوةً إلا ما كان لله عز وجل فإنه دائمٌ بدوامه"[1].. واجتمع المتقون من الأصحاب تحت ظل العرش يوم التلاقي..أظلهم الله بعرشه كما أظلوا أنفسهم بالحب فيه..

وانظر الصورة التكريمية العظيمة التي تنالك وصحبك المتحابين فيه لا في غيره، المتباذلين فيه لا في سواه..انظر هنا: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ (الزخرف) ينادَون نداء التشريف والإكرام، ويمنحون ألذ وسام.. يقال لهم: ﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾(الزخرف: 68) من عقابي فإني قد أمنتكم منه برضاي عنكم.. ﴿وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾﴾ (الزخرف) على فراق الدنيا.. فإن الذي قدمتم عليه خيرٌ لكم مما فارقتموه منها[2].

قرَّ عيناً يا صاحب القلب المنيب بحبيبك ما دام من المتقين..فالمتقون هناك تزداد أخوتهم، وتتعاظم محبتهم يوم القيامة وبعدها..أما يوم القيامة فيجمعهم الله على منابر من

1- انظر: تفسير ابن كثير 4/ 135.
2- انظر: تفسير الطبري 25/ 95.

نور، ويظلهم تحت ظل عرشه؛ إذ قد اجتمعوا في الدنيا على الله، وتفرقوا عليه..فكان جزاؤهم أن يجمعهما الله تحت ظل عرشه يُمَتَّعون..بينما الناس في عرصات القيامة يعذبون.. وأما في بلاد الأفراح ودار السعادة.. في الجنة فيلتقي بعضهم ببعضٍ في الفردوس..حيث ضُمِنَت لهم الراحة الأبدية..ونالهم التكريم السرمدي.. حتى يكون لكم أيها المتحابون في الله –كما قال ابن كيسان– شغلٌ عظيمٌ بزيارة بعضكم بعضاً[1]..فبذاك يكون النعيم هو النعيم..أُنساً بأحبابكم، وشوقاً لأصحابكم.

لله هذه الخلة الطاهرة..

مشهدٌ من مشاهد صدق الصداقة الطاهرة:

أيا صاحب القلب المنيب! لعلك أُخبرت وقد استقر بك المقام في جنات المأوى عن قصة حبٍ صادقٍ في الله–جلَّ جلاله– جمع بين خليلين مؤمنين في الدنيا[2]..فمات أحدهما..فلما لقي ربه ذكر ما كان بينه وبين خليله من تحابٍ عظيمٍ في الجليل جلَّ شأنه..كيف كانت أوقاتهما تذكيراً لبعضهما بحقائق الإيمان، ودعائم الإسلام، فلما تذكر ساعات الصفاء.. وأوقات الإخاء.. اشتعل قلبه.. فقام يناجي ربه، ويدعو لصاحبه وهو في الآخرة وذاك في الدنيا..يقول:

يا رب إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك.

يا رب فلا تضله بعدي، واهده كما هديتني، وأكرمه كما أكرمتني.

فـإذا أذكـر فقـدان أخـي أتقلـب فـي لحافـي أرقـا
وأخـي.. أي أخٍ مثـل أخـي قـد جرى في كل خيرٍ سَبِقا

1- انظر: تفسير القرطبي 15/ 43.
2- انظر: تفسير الطبري 25/ 94، موقوفاً عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فلما مات خليله المؤمن جمع الله–جلَّ جلاله– بينهما ثم قال لهما: لِيُثْنِ أحدكما على صاحبه.

فقام الأول ليثني على صاحبه، ويسبق بذكر عواطفه فقال: يا رب إنه كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير، وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك..

كلماتٍ حبٍ صادقة فاحت عبيراً من فمٍ طاهر..فكان نتيجة الثناء على صاحبه أن يقول الله–جلَّ جلاله–: نعم الخليل! ونعم الأخ! ونعم الصاحب!.

أأنزفت هذه القصة فؤادك الولوع..فاستثارت عينيك بالدموع؟..أتركت وأنت تقرؤها الهجوع..يتجافى جنبك عن المضاجع.. وأنت تتذكر أعز صحبك ممن قبضهم الله إليه قبلك..

من كان يُسليه نأيٌ عن أخي ثقةٍ فإنني غير سالٍ آخر الأبدِ
وكيف ينساك من قد كنت راحتَه وموضع المشتَكى في الدين والولدِ
كنتَ الخليل الذي نرجو النجاة به وكنتَ مني مكان الروح في الجسدِ
ففرقتْ بيننا الأقدارُ واضطرمتْ بالوجد والشوق نارُ الحزن في كبدي

لعلك تتألم منادياً: أيا لهفتاه ما قالوا وما قيل لهم..وفوجئت بهم قد جمعك الله بهم في مقعد صدق عند مليك مقتدر..في مقعد صدقٍ في الآخرة اجتمعتم..وبحبه التقيتم..كما افترقتم..لقد اجتمعتم في مقعد صدقٍ من الإيمان والأخوة في الدنيا حتى ((لو أن رجلين تحابا في الله أحدهما في المشرق والآخر في المغرب لجمع الله تعالى بينهما يوم القيامة يقول الله: هذا الذي أحببته فيَّ))[1].

1- تفسير ابن كثير 4/ 135.

أما والذي إن شاء لـم يخلـق النـوى لئن غبت عن عيني لما غبت عن قلبي
أخـي رعـاك اللـه في كـل وجهـةٍ توجهتها مـا بيـن شـرقٍ إلى غـرب
توهمتُ منـك الشـوق حتى كأننـي أناجيك مـن قربٍ وإن لم تك قربي[1]

وفي زيارتك لأحبابك طاب الأنس، وأشرق المجلس ببهجته..وأخذتم مقاعدكم تارةً في الحدائق الغناء، وأخرى في النوادي المزدانة، وثالثة في الدواوين المزخرفة..

السرر المرفوعة المتحركة..منظرٌ لا يُنسى:

وأخذتم مقاعدكم، وكانت مقاعدُكم مكمن الراحة والسرور.. أَنْعِمْ بها من متكأ راحة.. فإنها ﴿سُرُرٍ﴾(الطور: 20) فلكل واحدٍ منكم سريرٌ يتكئ عليه..والسرير كرسيٌ طويلٌ متسعٌ.. يجلس عليه المتكئ والمضطجع.. ولكن لم يكن اختيار السرير ليكون موضع الراحة لكم عبثاً.. فإنه مأخوذٌ من السرور..فهو للمترفهين من ذوي النعم..أنتم الآن تتكئون على سرر المسرات..ونظرتم إليها فإن نعيمكم لا يُمَلُّ النظر إليه..نظرتم إليها فإذا هي مصنوعةٌ من ذهبٍ.. مكللةٌ باليواقيت والزبرجد والدر.

ثم نظرتم إلى ارتفاعها عن الأرض فإذا هي ﴿مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾(الغاشية) فأنتم بها في رفعةٍ حسيةٍ، وعلوٍ معنوي ونفسي..وكرامةٍ تامة..وإنما كانت مرتفعةً ارتفاعاً عظيماً لترى أي ولي الله ومن معك ما آتاك الله من ملكٍ حولك.. ولذا فهذه السرر تدور بكم أنى شئتم..وتنتقلون بها هنا وهناك..تقلبون طرفكم في النعيم العظيم حواليكم.

وتركتم النظر إليها بعد أخذ مقاعدكم..ونظرتم إلى ما هو أجمل منها: إلى أنفسكم.. وتقلب طرفك لترى وجهك في وجه أخيك من شدة الصفاء، وترى نفسك في المرايا المنتشرة..فما ترى إلا وجوهاً نضرة ضاحكة مستبشرة..ثم تعيد النظر في وجوه

1- كتاب الإخوان لابن أبي الدنيا ص 140، والحديث تفصيلٌ لما تثبته الآيات والأحاديث الصحيحة لذا أثبتناه.

أصحابك..فماذا ترى؟ إنَّ كل شيءٍ يغيب فلا ترى في ذلك الوجه إلا الجمال المحض، والصفاء الخالص.. ف﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ٢٤﴾ (المطففين) ترى بهجة النعيم، وغضارة النعيم، ونور النعيم..فوجوهكم مزهرةٌ، وأفواهكم ضاحكةٌ، وأفئدتكم مستبشرة.

فلربما سبقت منكم البسملة وأنتم تتأملون فيما آتى الله بعضكم بعضاً من جمال..بسملتم ودعوتم..وحمدتم:

فيا حبذا ذاك الحبيبُ المبسملُ..

وأنتم في جميع أحوالكم متقابلون..لا ينظر بعضكم إلى قفا بعضٍ..بل أنتم ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٧﴾ (الحجر) متواجهين على أشرف أحوال الاجتماع..تجتمعون وتتنادمون وتظلون متساوين في التواصل والتزاور..

والاتكاء له لذته فهو مرةً يكون بالاضطجاع..وذلك مع أهلك وأزواجك من الحور العين.. وتارةً يكون بالتمرفق، أو بالتربع، أو بالتمكن في الجلوس.. وذلك مع أهلك، وولدانك، وصحبك وخلانك.

لربما قلت: كم من التعب قد أصابني به التواصل والتزاور في الدنيا..ولا بد من تعبٍ في ديمومة التواصل ولو قلَّ..فماذا يكون حالي هنا؟.

ويأتيك الجواب: بنداء الحق العلوي ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ﴾ (الحجر: 48) فأنتم على حالتكم هذه من الاتكاء، أو من الارتفاع إلى السرر العالية، أو من التواصل المتبادل، أو من السعي إلى ما تشتهون.. لا يمكن أن يمسكم التعب..لا يمسكم مجرد مس[1]..

1- انظر: روح المعاني 14/ 59.

انظر حواليك: زينةٌ تحف بكم من كل حدبٍ وصوب..فتشغلكم عن بعضكم لوقتٍ:

ويزين منظر مجلسكم:

رؤية ﴿عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾(الغاشية) تجري بالماء المتدفق الذي يجري في غير أخاديد والذي حاول البشر تقليد شيءٍ لا يذكر بجانبه في الدنيا عن طريق النوافير..والعين الجارية تجمع الجمال إلى العذوبة والصفاء والمتعة..جمال الحركة والتدفق والجريان..والماء الجاري يجاوب الحس بالحيوية وبالروح التي تنتفض وتنبض! وهو متعةٌ للنظر والنفس من هذا الجانب الخفي الذي يتسرب إلى أعماق الحس..

وبينما ترى حولكم العين الجارية في غير أخدود..تروها وأنتم في مكانكم على ﴿سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾﴾(الغاشية).. والطير في تغريدها ولهوها تروقكم بهجتها، والغلمان يطوفون بكم قياماً وقعوداً للخدمة والزينة..ومنادي الحق ينادي ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾ (ص) لا ينقطع الانقطاع الذي كان أهل الدنيا يعانون منه.

ويزيد المنظر طرباً وحسناً وجمالاً ما اصطف بين أيديكم من أنواع الأكواب الموضوعة من الأباريق والأواني.. **وأدوات الضيافة هنا تشغل بجمالها ونعيمها عن غيرها**..فإن الإبريق لم يُسمَّ كذلك إلا لشدة بريقه، ونضارته، وظهور صفائه..

وفي متكئكم تتفكهون بأكواب موضوعة..﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ (الغاشية) وسائد مصطفة هنا وهناك..كل واحدةٍ إلى جنب الأخرى..على سرركم وعليها تتكئون.. ويجمل المنظر وأنتم تهزون الرؤوس من العذب اللجين الذي يُملأ في الكؤوس..

وإنا لنجري الكأس بين شروبنا وبين أبي قابوس فوق النمارق

ومن تحتكم وعن يمينكم وعن شمائلكم ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾(الغاشية) بسطٌ وسجاداتٌ وطنافس لها خمل رقيق، وملمس ناعم وثير..والفرش ﴿بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ﴾(الرحمن: 54) و إذا كانت هذه

هي البطائن فكيف بالظهائر..لها سمكٌ وحشوٌ بين البطانة والظهارة..وقد نُشِرَتْ في الأرجاء ..وأنتم فوق ذلك كله متكئين فيها ناعمين..بعضها فوق بعض..

يا لها من جلسةٍ مريحةٍ مطمئنةٍ..والجو حولكم رخاءٌ ناعمٌ دافئٌ في غير حر، نديٌ في غير برد. فلا ترون ﴿فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾(الإنسان).

ونظرت إلى الجالسين حواليك فإذا هم:

صِحابٌ وشبانٌ حسانٌ وجوههم عـلـى سـررٍ مصفوفـةٍ ونمـارق

تصور مشهد الحب: تنازع أحبابك الكؤوس..تمازحهم وتداعبهم بتنازع الكؤوس:

وفيها جميعاً كنتم﴿مُتَّكِئِينَ فِيهَا﴾(ص: 51).. تدعون فيها﴿بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾(ص) تطلبون ألوان الفواكه والشراب الكثير..مجرد كلمة..ويُجاب الطلب..ولربما اشتهيتم مع الفاكهة أنواعاً مختلفة من اللحوم فذكر ربي –عزَّ جاره–أن ذلك قد تمَّ فقال: ﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾﴾(الطور)..وإنما تمَّ الإمداد بالفاكهة واللحم المشتهى تمهيداً لذكر النشوة المترتبة على تناول الكأس بعدها..إذ كان أهل الترف في الدنيا إذا شربوا الخمر كسروا سَورة حدتها في البطن بالشواء من اللحم..ويدفعون لذع الخمر عن أفواههم بأكل الفواكه[1]..

هكذا اجتمعت حولكم الزينة من أبوابها، والبهجة بأطنابها..**وأجمل من ذلك كله** اجتماعكم يا أصحاب المتاب..بعد أن أصابكم في الدنيا ضرٌ من الشيطان والفراق وعذاب..لتلتقوا الآن بعد ثباتٍ على الابتلاء..في ثواب ربكم العظيم..فنعم الثواب:

أخـي إن نمتْ نلـقَ أحبابنـا فـروضـات ربـي أُعـدتْ لنـا

وأطيـارهـا رفـرفـت حـولنـا فطوبى لنـا في ديار الخلـود

1- انظر: التحرير والتنوير 27/ 66.

الولد اللؤلؤة: سيدي.. الشراب..الشراب:

وبينما أنتم في ذلك دلف الولدان المخلدون يطوفون عليكم بالشراب فيسقونكم من رحيق مختوم..إنه شرابٌ لا غش فيه، ويأتي على رأسه الخمر الصافية العتيقة البيضاء النيرة.

ومن الوصف العجيب الذي يوصف به ما في هذه الكأس التي في يدك أنه ﴿مَّخۡتُومٖ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾(المطففين) فأنت تختم به آخر جرعة، فإذا شربت هذا الرحيق ففني ما في الكأس انختم ذلك بخاتم المسك فعاقِبتُها وآخر طعمها طعم المسك.. تكون رائحة آخره رائحة المسك.

كما أن هذه الكؤوس مختومةٌ فختمت ومُنِعَتْ عن أن يمسها ماسٌ إلى أن يفك ختامها **أنت ذا وصحبك الأبرار..هل من سبيلٍ أيها المشتاق إلى العبور والاعتبار..هل من سبيلٍ إلى الرجوع والادكار..**

وقد ختم الكأس مع ذلك بالمسك بدلاً من أي شيءٍ آخر[1]، وترى هذا الرحيق العذب مزاجه من تسنيم..تراه وقد مُزِجَ بشرابٍ يَنْصَبُّ عليكم من علوٍ وهو أشرف شراب في الجنة..إنها تسنيم أشرف عين ماءٍ تجري من علوٍ إلى أسفل يشرب بها المقربون صرفا.. فتجري في الهواء بقدرة الله تعالى.. فتنصب في أواني أهل الجنة على قدر مائها.. فإذا امتلأت أمسك الماء فلا تقع منه قطرةٌ على الأرض، ولا تحتاجون إلى الاستقاء..فإذا ما أردتم شرب الرحيق السلسل الصافي مُزجت كؤوسكم منها لتزداد طيباً، وتستنشق منها بعض ما أوتيه المقربون[2].

وأنت تمازح أحبابك..فابتهج بهذه المداعبة..إذ نراهم وهم في مجلسهم: ﴿يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأۡسٗا لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾(الطور: 23) فتتنازعون من الشراب كأساً من الخمرة الصافية ﴿لَّا لَغۡوٞ فِيهَا وَلَا تَأۡثِيمٞ ٢٣﴾(الطور: 23) وتتمازحون في نزاعكم إذ تتجاذبونها للمداعبة والملاطفة.. يتجاذبونها

1- انظر: تفسير القرطبي 19/ 263.
2- انظر: تفسير القرطبي 19/ 263.

بينهم ويتعاطونها مجتمعين، زيادة في الإيناس واللذة والنعيم.. **يا للمشهد..واشوقاه إلى لقاء الأحبة على سرر متقابلين..واشوقاه..تتنازعون وتتمازحو**ن..وتعيدون ذكرى أخوةٍ طالما رعت حدود الله في دنياها.. فكلأها الله برعايته في دنياها وأخراها..وتدللتم في الطلبات.. من فاكهةٍ وطعامٍ ولحم طير..وأمانٍ سابغات

وإزاء هذه النعمة العظيمة تسمع منادي الحق ينادي ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ﴾ (المطففين: 26) فليرغب الراغبون في هذا الشيء النفيس الذي لا مثيل له..في ذلك فليبادر المبادرون إلى العمل المؤدي إلى هذا النعيم..وفي ذلك فليتفاخر المتفاخرون وليتباهَ المتباهون.

أيها المشتاق إلى الجنة: أجل ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾﴾(المطففين)..إنه مطلبٌ يستحق المنافسة..أُفقٌ يستحق السباق..غايةٌ تستحق المغالبة..مكانٌ يستحق التشمير إليه..

ويكرر الله عليك ذلك بعد أن ذكر هذه النعمة.. يكرر ذلك حاثاً وحاضاً ((لمثل هذا فليعمل العاملون)) فأين المشمرون؟ أين المشمرون؟.

جلسة محادثة: تعلنون فيها أنكم أشد حباً لله:

ولربما اشتقت إلى أخٍ من أحب إخوانك من أهل الدنيا.. عندها قد تتساءل عنه، ولربما قلت: رب! أين أخي فلان؟ فقد يحدث لك شيءٌ عجيب.. إذ يأمر الله ((يجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا)) فتتحادثان فيتكئ هذا ويتكئ هذا فتتحدثان بما كان في الدنيا..((فيقول أحدكما لصاحبه: يا فلان تدري يوم كنا في مكان كذا وكذا فدعونا الله أن يغفر لنا.. فغفر الله لنا))[1]، **لا تقف وأنت تقرأ هذا هادئاً بل ارفع يديك** أيا حبيباه مع صحبك وقل: رب يا رحمن..اغفر لنا.

1- الأصبهاني في العظمة 3/ 1120، وانظر مجمع الزوائد 10/ 421..وبغض النظر عن صحة الحديث هنا فإن إقبال أهل الجنة بعضهم على بعض يتساءلون يسهل تصور وقوع ذلك إن شاء الله تعالى.

وفي إحدى جلسات أُنسكم الخالد قمتم تتبادلون الأحاديث، وتقلبون أيامكم الماضيات في الحياة الدنيا... ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾(الطور) أقبل بعضكم على بعض تتساءلون..تتذاكرون ما كنتم فيه في الدنيا من التعب والخوف من العاقبة.. وتحمدون الله تعالى على زوال الخوف عنكم، وقد يسأل بعضكم بعضاً: لِمَ أكرمنا الله بهذه المنزلة الرفيعة؟..

كنا مشفقين من عذابه وعقابه..أن يتخطفنا قبل أن نصل بالتوبة إلى بابه:

قال بعضكم مبيناً السبب: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾(الطور) إنا كنا في دار الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين وجلين من ربنا..

مشفقين من عذابه وعقابه..أن يتخطفنا قبل أن نصل بالتوبة إلى بابه.

مشفقين من معاصينا الخاطئات..أن تأكل منا إيماننا ويقيننا فترمينا في دنيا الغفلات.

مشفقين من زلل أقدامنا بعد الدين والثبات.. أن نفتن عن ديننا ونرجع على أعقابنا بعد إذ هدانا الله..وقد خلت من قبلنا في ذلك المثلات.

مشفقين من معاصٍ فرطت منا.. وغفلة في أداء الطاعات..نشفق أن ترد علينا فلا تقبل منا فتمضي حياتنا حسرات.

﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾(الطور:27) بالتوفيق والهداية أولاً، ثم بالثبات ثانياً ثم بالمغفرة والجنة ثالثاً.. ثم تصدق علينا وأجارنا مما نخاف، ﴿وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾﴾(الطور) وهي طبقةٌ من طباق جهنم..

وتابعتم الحديث: ﴿إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ﴾ (الطور: 28) **فنعبده في الدنيا، ثم نسأله ونتضرع بين يديه أن يمن علينا بالمغفرة عن تقصيرنا، والمغفرة لذنوبنا..** ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ (الطور: 28)..يا رفعة الفوز..**فاللهم من علينا وقنا عذاب السموم إنك أنت البر الرحيم.**

أيا خاطب الجنة: هذا هو الميدان الذي تذوب من أجله قلوب العشاق.. فرحم الله امرأً ضمّر نفسه للسباق، وساقها إلى الغاية أشد مساق.. واستعد للموت قبل هجومه.. وأخذ حذره منه قبل قدومه.. وأنفذ دموعه على الأوقات التي أضاعها قبل أن تزل به القدم.. قبل أن يؤاخذ بما علم وبما لم يعلم[1].

1- وانظر: اغتنام الأوقات ص 62.

المشهد السابع

حاجة أهل النار إليك..نعيمٌ عظيم..
وجاهك عند الله نعيمٌ أعظم

شفاعتك لإخوانك: كرامةٌ جديدةٌ ومنزلةٌ عليةٌ[1]:

أيا صاحب القلب المنيب: عندما تستشعر الخلاص، وتأمن من مكر الله، وتطمئن إلى النجاة من النيران، والتنعم بالجنان يلتهب قلبك على إخوتك وصحبك ممن قَصُرَتْ بهم أعمالهم، وذهبت بهم رزيتهم في الدنيا حتى جعلتهم يُفَوِتُون رحمة الله وتفوتهم..وعندما نجوت بمرورك على الصراط يسعى نورك بين يديك ومن خلفك رأيت بعض هؤلاء وكانوا من المصلين..رأيتهم وهم يتساقطون بين يديك ومن خلفك في جهنم، ووقع ذلك في قلوب أحبائهم من الناجين فقاموا يناشدون النبي ﷺ مناشدةً عظيمة للشفاعة فيهم..نعم هاهنا ينبغي أن تكون المناشدة والمتابعة..ها هنا..

عند ذاك تجادل ربك فيهم طالباً الشفاعة في إخراجهم..ويلهمك الله أن تشتد في طلبك تلذذاً برفعة جاهك عند ربك..((فما مجادلة أحدكم لصاحبه في الحق يكون له في الدنيا أشد مجادلةً من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار)) فتقول عند ذاك ومثلك باقي إخوانك من المخبتين وقد رأيتم كرامتكم عند ربكم..

((تقولون: ربنا إخواننا كانوا يصلون معنا، ويصومون معنا، ويحجون معنا فأدخلتهم النار)).. الله! الله!..هكذا بإدلال ورجاء أن يقبل الكبير المتعال.. شفاعتكم بإذنه لإخوانٍ لكم عثرت بهم أعمالهم..فرموا في النار..نعوذ بالله..

1- انظر الحديث عند: النسائي 8/ 112، ابن ماجة 1/ 23، وصححه الألباني.

فتكون البشرى لك أن يقبل الله شفاعتك ((فيقول-لك ولصحبك-: اذهبوا فأخرجوا من عرفتم))..

الشرف... يُشارك المنيب في وفد الله إلى أهل النار...للشفاعة في بعضهم:

فتذهبون إلى النار مع الملائكة دون أن تصيبكم إذ لكم حمايتكم الخاصة..أوَ لستم وفد الله؟ فتشاهدون أصحابكم دون أن تصيبكم النار بأذاها ((فتأتونهم «فيعرفونهم بعلامة آثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل من ابن آدم أثر السجود» فتعرفونهم بصورهم..لا تأكل النار صورهم..)) وترونهم في حالةٍ عظيمة من العذاب والنكال..**قل معي بخشوعٍ وإخباتٍ**: اللهم إني أسألك العافية...((فمنهم من أخذته النار إلى أنصاف ساقيه، ومنهم من أخذته إلى كعبيه، فيخرجونهم فيقولون: ربنا أخرجنا مَنْ أَمَرْتَنا))..ثم ينالكم معه نعيمٌ آخر..إذ يزيد الله لكم برحمته وفضله صنفاً آخر فـ((يقول: أخرجوا من كان في قلبه وزن دينارٍ من الإيمان، ثم من كان في قلبه وزن نصف دينار حتى يقول: من كان في قلبه مثقال ذرة)) قال أبو سعيد: فمن لم يصدق بهذا فليقرأ هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ٤٠﴾(النساء) -وأخيراً- يقولون: ربنا قد أخرجنا من أمرتنا، فلم يبق في النار أحد فيه خير))..

وعند ذاك يزيد الله برحمته وفضله أصنافاً أُخر..جبار السموات والأرض يقول: ((شفعت الملائكة، وشفع الأنبياء، وشفع المؤمنون، وبقي أرحم الراحمين.. فيقبض قبضة من النار أو قال قبضتين: ناسٌ لم يعملوا لله خيراً قط قد احترقوا حتى صاروا حمما قال: فيؤتى بهم إلى ماءٍ يقال له ماء الحياة فيصب عليهم فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل فيخرجون من أجسادهم مثل اللؤلؤ..))، و((في أعناقهم الخاتم -مكتوبٌ عليه-عتقاء الله قال: فيقال لهم ادخلوا الجنة فما تمنيتم أو رأيتم من شيءٍ فهو لكم عندي أفضل من هذا فيقولون: ربنا وما أفضل من ذلك قال: فيقول رضائي عليكم فلا أسخط عليكم أبداً))[1].

1- البخاري 6/ 2706.

وعندما يغفر الله لأهل الإخلاص ذنوبهم يقول المشركون: تعالوا نقول لم نكن مشركين ويظنون أنهم يستطيعون الخداع والمراوغة فيقولون ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ ٢٣﴾(الأنعام) فيختم على أفواههم فتنطق أيديهم فعند ذلك يعرف الكافر أن الله تعالى لا يكتم حديثا، وعند ذاك يود الذين كفروا وعصوا الرسول لو تسوى بهم الأرض...

فانظر جاهك عند أرحم الراحمين..مزيداً من النعيم العظيم المبين..

في جلسةٍ من مجالس الأنس الخالد:

زيارة صديقٍ من أصحاب الجنة لصاحبه من أهل النار:

وأنتم في مجلسكم الحافل بحمد الله وتمجيده على ما أنعم عليكم..تنعمون بتحاورٍ لذيذ ، وتتذاكرون فيه الماضي والحاضر..أخذتم تتبادلون الأحاديث عن أيام الكدح في الدنيا..وقام كلٌ منكم يروي كيف عاصر أيام الدنيا فكادت أن تعصره ببلائها..وكيف عاركها فكادت أن تعركه بابتلائها..وكيف بغت عليه نوائب الخير والشر تبتلي إيمانه..فكادت أن تزيغه لولا أن تداركه الله برحمةٍ منه وفضل..وأخذ كلٌ منكم يسائل صاحبه عما قاله وقيل له، وعما حدث له..وطاب المجلس.. إي والله لقد طاب..طاب فواشوقاه لمحادثة الأصحاب.. على فاكهة وشراب.. في جنات منحها برحمته المتفضل الوهاب..

واشتد النقاش والمساءلة..للذة الحديث ولذة المقابلة...﴿فَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ٥٠﴾(الصافات).. أقبلتم كلٌ يبادل الآخر أحاديث الدنيا.. تماماً للأنس في الجنة..لا تنس منظر المجد..إذ هم في مساءلتهم لبعضهم وأثناء ذلك: ﴿يُطَافُ عَلَيۡهِم بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينٖ ٤٥﴾ (الصافات) فهم يشربون فيتحادثون على الشراب كعادة الشُرَّاب:

وفـي الجنـات لـذاتٌ ومنهـا أحـاديـث الكـرام على المـدام

انبعث أحدكم في أثناء ذلك من فضلاء الأولياء الصابرين الثابتين على دين الله-جلَّ

جلاله- في الدنيا..انبعث يستعيد ماضيه، ويقصُّ على إخوانه طرفاً مما وقع له"[1]﴿قَالَ قَآئِلٌ مِّنۡهُمۡ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٞ ٥١﴾(الصافات) قد كان لي قرينٌ..كان لي صديقٌ ملازم لي﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ٥٢﴾(الصافات)..كان هذا الصديق يسخر من اليوم الآخر ومن البعث والجزاء، ويقول لي: أحقاً ما سمعناه عنك؟ أحقاً أنت تصدق بالمبعث والجزاء؟ إنها لهجة المستهزئ المحقِّر لليوم الآخر..

لربما قاطعه أحدكم قائلاً:

نعم كان لك قرينٌ من البشر يوسوس لك بهذا..وأما أنا فكان الشيطان هو قريني الذي يوسوس.. يراودني على الكفر باليوم الآخر..

ربما قاطعه ثالث قائلاً: قد كان لكلٍ منا قرينه من شياطين الإنس والجن يحاولون أن نضل السبيل معهم..ولكن يتفاوت مقدار تأثيرهم علينا من شخص لآخر..

ولربما قال رابع: وما قصه الله لنا في سورة الكهف الممجدة من قصة الرجلين: صاحب الجنتين وصاحبه الفقير..عبرةٌ ظاهرة..تصوروا كان يريد إغواءه لينكر اليوم الآخر لمجرد أنه غني..قام يتطاول على ربه فيقول: ﴿أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا ٣٤ وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا ٣٥ وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ﴾(الكهف) ها هي ذي قد بادت وها هي ذي الساعة قد قامت..فماذا هو فاعل؟.

أكمل صاحبكم قصته فقال: قام هذا القرين ينفث سمه بكلامه..يقول بلهجة التعالي والغرور: ﴿أَءِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُصَدِّقِينَ ٥٢﴾(الصافات) أيعقل أن تكون مصدقاً لما يقال عن اليوم الآخر..أيعقل أن تكون من المصَّدقين..من المتصدقين بالمال طلبا لثواب الآخرة ؟..

ومضى صاحبكم يقول: وتعجب منه كيف أوتي هذه القدرة على الحوار، وأنعم الله بها عليه فبدل نعمة الله كفراً، وأراد أن يحلني وقومي معه دار البوار..بإنكار ركنٍ من أعظم أركان

1- انظر: في ظلال القرآن ص2987.

الإيمان..ما زلت أذكره وهو يتابع حديثه ويكرره ويقول: ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾﴾(الصافات) أيمكن أن يحدث هذا: إئذا صرنا عظاماً نخرةً بالية، ثم فتَّتنا التراب فصرنا كأن لا وجود لنا إلا هذه العظام المأكولة..بعد ذلك نُحْيا ونبعث من جديدٍ ثم ندان ونجازى ونحاسب..تصوروا..كان يسخر مني فيجمع الناس الذين على رأيه ليرهبني ويذهب عزتي بإيماني..يجمع الناس ويقول كما كان يقال للنبي ﷺ : ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾﴾(سبأ) أندلكم على هذا الشخص الذي يقول بأن العظام الممزقة التي نشرتها الريح في كل مكان..سوف تعود خلقاً آخر؟.

هل أنتم مطلعون..لتروا كرامتكم وجزاء عناده؟

وعندما وصلتم إلى هذا الحد من الحديث ناداكم منادي الحق: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (الصافات) على ما آل إليه أمر هذا المخاصم للحق؟..

وقال صاحبكم الصابر المخبت الأمرَ ذاته..قال لكم: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾﴾ (الصافات) إلى النار.. لننظر كيف حال ذلك القرين في دار البوار..وتقارنوا: أما حالي فقد رأيتموه، وبقي أن نرى حاله..ونعلم ذلك عين اليقين..

فقلتم جميعاً: نعم..نريد أن نطلع على حاله فنغتبط أكثر بما نحن عليه.

عندها قال لكم: هلموا فاطلعوا..فقمتم جميعاً إلى نجائبكم -مراكبكم-، وربما فتحت لكم كوةٌ ترون من خلالها أهل النار من غير أن يصلكم شيءٍ من أذاهم، وربما كانت وسيلة الرؤية غير ذلك.. ﴿فَاطَّلَعَ﴾(الصافات: 55) ومن معه من المؤمنين الصحب القانتين على هذا الجاحد للبعث ﴿فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾﴾(الصافات) فرأيتم حال المنكر ليوم الدين..كيف قد غُمس في وسط النار..و"لولا أن الله جل وعز عَرَّفه إياه لما عرفه..فقد تغير من شدة ما عذب"[1]..

1- انظر: تفسير القرطبي 15/ 83.

فلما رآه صاحبكم في شدة العذاب، وسواء الجحيم ناداه متلهفاً على ما أدركه الله به من نعيم فقال: ﴿قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرۡدِينِ ٥٦﴾ (الصافات) والله لقد كدت أن تهلكني بوسوستك وإغرائك، وغمزك واستعلائك..لقد كدت أن تهلكني لو اتبعتك وأصغيت إليك..والله لقد كدت تهلكني لو كان تزعزع إيماني بسببك..**كنتُ أحياناً أميل إلى ما تقول، وأهم بفعل ما تفعل من اللعب والعبث والتمتع الحرام بالدنيا**..لكن الله أدركني وثبتني..

لربما قال له: أرأيتَ لو استجبتُ لك فما يكون مصيري سوى الهلاك المحقق كما هو حالك الآن..

قال له: ﴿وَلَوۡلَا نِعۡمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٥٧﴾(الصافات) لولا أن عصمني ربي ووفقني للثبات على دينه..لولا عصمة ربي وتوفيقه بالاستمساك بعروة الإسلام، والبراءة من قرين السوء ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلۡمُحۡضَرِينَ ٥٧﴾(الصافات) لكنت معك في النار محضرا..

لكأنه قال له مكرراً: " يا هذا. لقد كدت توردني موارد الردى بوسوستك لولا أن الله قد أنعم علي، فعصمني من الاستماع إليك"[1].

وتثير رؤيتُكم لقرينه في سواء الجحيم شعورَكم بجزالة النعمة التي نلتموها فأحبَّ أحدكم أن يؤكدها ويستعرضها، ويطمئن إلى دوامها، تلذذاً بها، وربما كان صاحب القصة ذاته..فقام يقول:

أيها الجاحد للبعث: انظر إلينا: ألسنا بمخلدين منعمين..فما نحن بميتين ولا معذبين ﴿إِلَّا مَوۡتَتَنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُعَذَّبِينَ ٥٩﴾(الصافات).. انظر إلينا فهذه هي حالنا وصفتنا..التي كنتَ تستهزئ بها في الدنيا.

ومضيتم تقولون ذلك تحدثاً بنعمة الله في أنكم لا تموتون، ولا تعذبون..بل لعلكم تقولون ذلك جميعاً.

1- انظر: في ظلال القرآن ص2988.

عندها استذكرت مع صحبك ما كان الكافر المغرور بدنياه يزهو به، ويدعو الناس إليه من العمل للدنيا محضاً، تذكرتكم أنه كان يزين للناس ذلك بقوله: ﴿أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿٣٤﴾﴾(الكهف)..يقول: لو كنتَ على حق أيها المؤمن لم تكن بهذه الحالة من الضعة وفقر الحال، وذلك المقام والمقال..هكذا كان يستهزئ فقد رأينا الآن عاقبة استهزائه وتكذيبه ...والحمد لله رب العالمين.

فلما تذكرتم ذلك قلتَ أو قال أحد المخبتين منكم فوافق قوله قول الملائكة حوله:

أترون النعيم الذي نحن فيه﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ (الصافات)

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ (الصافات) لمثل هذا العطاء والفضل فليعمل العاملون..

ولعلكم عند ذلك سمعتم منادي الحق ينادي معلقاً على ما حدث بينكم من حوار..يزيد صوته من نعيمكم: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾(الصافات) ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ (الصافات)..**يا لها من كلمة ختام لقصة الفتى الهمام الصابر على دينه توقظ أنفسنا من غفلة الدنيا، وتنصب هممنا لعزة التوفيق في الحياة الأخرى**[1].

إنه نداءٌ يوقظ القلوب ويوجهها إلى العمل والتسابق لمثل هذا المصير: لمثل هذا النعيم الذي لا يدركه فوت، ولا يخشى عليه من نفاد، ولا يعقبه موت، ولا يتهدده العذاب. لمثل هذا فليعمل العاملون.. فهذا هو الذي يستحق الاحتفال..ويُطلب النسج على منواله لأقوم مثال، وما عداه مما ينفق فيه الناس أعمارهم على الأرض زهيد.. زهيد حين يقاس إلى هذا الخلود[2].

1- أعمل الكاتب الآيات في كل الاحتمالات، فمثلاً: ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ يحتمل أنه كان تعليقاً على القصة ليعتبر أهل الدنيا، ويحتمل أنه قاله أحد الملائكة أثناء حدوث القصة في الآخرة زيادة في التنعيم لأهل النعيم، ويحتمل أنه قاله أحد أصحاب القصة أو كلهم ابتهاجاً وإعلاناً بأنه كان ينبغي أن يعمل العاملون لمثل هذا المصير حتى لا يقعوا فيما وقع فيه هذا الشقي من الخسارة..وهكذا بقية الآيات.

2- انظر: في ظلال القرآن ص2988.

يا أهل الجنة أشرفوا على أهل النار، وذكروهم بما كانوا يستهزئون:

وفي إحدى جلساتكم العامرة بأطايب الملذات، وأعظم المحامد والتسبيحات تساءل بعض المؤمنين: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ٣٦﴾(المطففين:)[1]..طرأ عليكم أن تعرفوا ذلك عياناً..وتبصروه بياناً..عند ذاك تقوم مع بعض أصحابك من المفلحين برحلةٍ ممتعة تزيدكم نعيماً إلى نعيمكم..حيث تتحركون بأرائككم المرتفعة إلى مكانٍ تطلون منه على أصحاب النار، وربما بقيتم في متكئكم تنظرون إليهم عبر كوةٍ تفتح لكم لتروهم وأنتم في نعيمكم ترفلون، وهم في جحيمهم يعذبون..تقفون منهم بحيث يسمعونكم عبر وسائط معينة..يسمعونكم ولكن أنى لهم أن يتذوقوا مجرد عبيرٍ من فوح شذا النعيم الذي في الجنة..؟

هناك تنادى ومن معك من أصحاب الجنة أصحاب النار من تعرفون ومن لا تعرفون..تنادونهم سائلين سؤال تقريعٍ وتعيير:

يا أهل النار ﴿قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا﴾ (الأعراف: 44) في الدنيا على ألسن رسله من الثواب حقاً، وعاينا ما قيل لنا فوجدناه صدقاً..

فماذا عنكم: ﴿فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ﴾ (الأعراف: 44) على ألسنة الرسل حقاً؟.

يا أهل النار: هل عاينتم عقوبة ربكم على الكفر به؟..

يا أهل النار: هل ذقتم سوء مصيركم على معاصيه؟..

يا أهل النار: هل شعرتم بعاقبة استهزائكم بنا وسخريتكم منا؟..

يا أهل النار: هل وجدتم ما وعد ربكم من ذلك حقاً؟..

تقولون ذلك فخراً و"تبجحاً بحالكم، وشماتةً بأصحاب النار، وتحسيراً لهم"..

تصور المشهد..

1- هذا واحد من التفاسير الواردة فيها.انظر: تفسير القرطبي 19/ 268.

تأمل أيا حبيباه..كم في هذا السؤال من السخرية المرة بمصير المبطلين..كم فيه من السخرية بمصير الضالين. وانظر **وقد نضر الله وجهك وقلبك**: كم فيه من شعورك بالاطمئنان إلى النعيم العظيم الذي تحقق لك..أنت مع المفلحين معك من سكان الجنة على ثقةٍ من أن أهل النار في النار..ولكنكم تسألونهم: هل أنتم في النار! لأن في السؤال تلذذاً من نوعٍ خاص..

تصور نفسك وأنت تقول لهم: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾(الأعراف: 44) لم تقل لهم: هل وجدتم ما وعدكم..بل ما وعد لأن ما ساءهم من الموعود لم يكن مخصوصاً بما وجدوه من النقمة والعذاب..بل ساءهم أن رأوك وأصحابك في الجنة تُكَرَّمون وهم في غيهم يعمهون.

"ويجيء الجواب في كلمةٍ واحدةٍ منهم: ﴿قَالُوا نَعَمْ﴾(الأعراف: 44)..كم تحمل هذه الكلمة من أثقال العذاب، وآلام الخزي، وعار الذلة والهوان..هؤلاء هم المستكبرون في الأرض..الآن بكل خزيٍ وألم.. يقولون: نعم..

وعندئذ ينتهي الجواب، وينقطع الحوار..وترى نفسك مع صحبك المخبتين على الكفار تضحكون و﴿عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥﴾ (المطففين) إلى مصيرهم البائس.. ﴿يَنظُرُونَ ۝٣٥ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۝٣٦﴾(المطففين) نعم قد ثوب الكفار ما كانوا يفعلون.

عندها نادي منادي الحق فيما بينهم بما يجلجل أكباد المتحسرين، ويمزق آلام الخائبين: ﴿لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝٤٤﴾(الأعراف) ﴿لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝٤٤ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۝٤٥﴾(الأعراف).. لعنة الله على الظالمين الذين ظلموا أنفسهم فصدوها عن سبيل الله، وصدوا الناس عن طريق الله، وأرادوا الحياة عوجاً لا استقامة فيها..[1].

ينطلق النداء..يشق الأرجاء: لعنة الله على الظالمين الذين هم بالآخرة كافرون...

1- الظلال ص 1293.

وتتردد أصداء لعنة الله على الظالمين في أرجاء الوجود بينكم معاشر أهل الجنة، وبين أهل النار..تتردد الأصداء فتزدادون نعيماً إلى نعيمكم، ويزدادون عذاباً إلى عذابهم..وكأن الكون يسبح عند ذلك وقد قضي بينكم بالحق، وآخر تسبيحه في هذا المشهد المهيب: ﴿أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠﴾(يونس).

نداء أخير من أهل النار لكم يزيدكم غبطةً وحبوراً:

ولما رأى أهل النار أن أصحاب الأعراف قد صاروا إلى الجنة، وتذكروا مع وطأة العذاب أن لهم أقرباء في الجنة، وأن المؤمنين **كانوا أصحاب القلوب الرحيمة في الأرض**.. طَمِعوا في أن يُغَاثوا بشيءٍ يخفف عنهم الآلام الرهيبة التي يتعرضون لها..[1] فقالوا: يا ربنا إن لنا قراباتٍ في الجنة.. فأذن لنا حتى نراهم ونكلمهم..فيؤذن لهم..عند ذاك ينادونكم وأنتم في الجنة..فلا تعرفونهم جميعاً بأشخاصهم لسواد وجوههم، وشدة ما لاقوا ويلاقون في النار..إلا من دُلِلْتم أنه فلان..عند ذاك يتجهون إليكم وأنتم ترونهم وتُدَلُّون على أسمائهم..يتجهون إليكم وقد رأوكم تنظرون إليهم فيقولون: ﴿أَفِيضُواْ عَلَيۡنَا مِنَ ٱلۡمَآءِ أَوۡ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ﴾(الأعراف: 50) أفيضوا: أعطونا شيئاً مما وسع الله عليكم به..

وينادي أحدهم قريبه، وصاحبه: قد احترقت فشيئاً من ماءٍ أو شيئاً من طعامٍ..قد احترقت..[2].

يا أهل الجنة قد رزقكم الله ملكاً عظيماً..فشيئاً يسيراً تجودون به علينا.. الغوثَ..الغوثَ.

لا إله إلا الله! **اسمعهم –أيا حبيب الجنة–** اسمعهم واهتف مُخْبِتاً خاشعاً رافعاً ليديك: يا أرحم الراحمين أجرني من النار..يا مولاي ومالك روحي..يا عالماً بسري ومسألتي: أجرني من النار..

1- انظر: تفسير القرطبي 7/ 215.
2- انظر: مصنف ابن أبي شيبة 7/ 135، الأحاديث المختارة 10/ 237.

ها أنت ذا ترى أن ابن آدم لا يستغني عن الطعام والشراب وإن كان في أسوأ العذاب..
فتردون عليهم بما يزيد حسرتهم، ويشعل أفئدتهم: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾﴾(الأعراف) حرم الله على الكافرين طعام الجنة وشرابها[1]؛ فإنه لا يدخل الجنة إلا نفسٌ مؤمنة..ومنادي الحق ينادي مدوياً محذراً مخوفاً: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿٧٢﴾﴾(المائدة)..وعندها سمع الكفار ما أعادهم إلى الهلاك والبوار، وسمعت وصحبك الأخيار ما زادكم غبطةً وسروراً بالنجاة من النار..سمعتم منادياً ينادي على الكفار ﴿فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾﴾(الأعراف).

والآن عودوا يا أهل الجنة عن متابعة هذه المشاهد للمعذبين.. فإنكم في شغلٍ بما أنتم فيه من اللذات والنعيم والشراب..عن الاهتمام بأهل المعاصي ومصيرهم إلى النار وما هم فيه من أليم العذاب.

1- انظر: الطبري 8/ 200، تفسير القرطبي 7/ 215.

المشهد الثامن

إليكم ختم الكرامة..نعيمٌ أعظم من كل ما سبق..
هوته القلوب منقادة..للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

يا أهل الجنة الخلودَ.. الخلودَ:

وقد يدور ببالك..وينغص عيشتك الراضية المرضية..ويُكَدِّر عليك أن هذه النعم مهما طال زمنها لا بد أن تنقطع، ومهما طال أمدها لا بد أن تزول..مهما طال أمدها، واستطال دهرها..فيرفع عنك غمامةَ التفكير..نداءُ الحق يدوي في الأرجاء: ﴿وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(الزخرف: 71) أنتم فيها ماكثون أبداً لا تبيد.. فلا تخافوا زوال نعيمكم..

وتَنَعَّم أيا محب القرآن بأكثر من ذلك؛ إذ تتكرر النداءات تحبوكم بالنعيم المقيم، واللذة المتجددة التي لا يشوبها نصبٌ، ولا ينغصها تفكيرٌ في انقطاعها..فتسمع منادي الحق: ﴿لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُمْ مِنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾(الحجر: 48) فأتم الله عليك النعمة بالخلود الدائم..

بل ما سميت جنات عدنٍ بهذا الاسم إلا لأنها تدل على الإقامة الدائمة التي لا انتقال معها..ويُعْلَنُ لكم في أرجاء الجنة أنها تسمى باسم﴿دَارَ الْمُقَامَةِ﴾(فاطر: 35)..فهي مكان إقامةٍ دائمٍ لا تنقلون عنه، ولا تبغون أنتم عنه انتقالاً..لا تبغون عنه تحولاً و﴿حِوَلًا﴾(الكهف: 108).

يا صاحب القلب المنيب: لكأنه يُنادى عليكم بكلمات الترحيب الخالدة: هذا يوم الخلود ..تخلدون في الجنة أبداً فلا تموتون أبداً، ولا تظعنون أبداً، وأنتم في ذلك كله لا تبغون عنها حولا..أعد نفسك فإنه يومٌ يستحق أن يُعَدَّ له..

يوم الخلود: يوم الفرحة لكم.. ويوم الحسرة لهم:

ويُصَبُّ فيك يقين الخلود بصورةٍ محسوسةٍ في حدثٍ عجيب..إذ بينما أنتم في نعيمكم، وحبوركم وسروركم..تسمعون المنادي ينادي يا أهل الجنة..فتنظرون ثم تجيبون الداعي.. فتشرئبون في مجمعٍ معين، وتنظرون إلى الجهة التي أُمرتم بالنظر إليها..عند ذاك يأمر الله خالق الأكوان، ومانح الحياة للملائك والإنس والجان..يأمر الله أن ((يُؤتى بالموت كهيئة كبشٍ أملح[1] فيناديهم مناد فيقول: يا أهل الجنة! فيطلعون خائفين وجلين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه))..تخرجون خائفين وجلين ربما لأن النداء من خارج الجنة.. من ((الصراط)) فتخافون أن يكون ذلك يعني نهايةَ نعيمكم، وقد آن أوان إخراجكم..ويؤجج هذا الخوف أن أعمالكم الصالحة بالغةً ما بلغت..لا تساوي شيئاً من النعيم الذي ترفلون فيه..لولا رحمة ربي..عندها ينتابكم القلق..ويعتريكم الوجل..ويغشاكم الخوف..فإذا ما اطلعتم ونظرتم..أُشير لكم إلى كبشٍ أملح على الصراط..وقيل لكم عندها:

((هل تعرفون هذا؟ فتقولون: نعم! هذا الموت. وكلكم قد رآه))..عندها تأتيكم الخواطر، وتنتابكم الظنون..ما علاقة الموت بنا الآن..ثم تسمعون المنادي ينادي:

((يا أهل النار!فيطلّعون مستبشرين فرحين أن يخرجوا من مكانهم الذي هم فيه))..أجل كانوا ينتظرون أي نداءٍ لهم من خارج النار عسى أن يكون فيه شيءٌ من أمل..

((فيشرئبون وينظرون.. فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه))..لعل التفكير يعتريهم فيقولون: لو كُتب علينا الموت لكان أفضل مما نحن فيه..

أنتم أي أهل الجنة تنظرون وتركزون نظركم إلى الموت..وأهل النار يحدون نظرهم إليه..ينتظرون ماذا هناك..وأي شيءٍ سُيُقَضى..

عندها تكون المفاجأة للفريقين معاً..مفاجأة وأي مفاجأة..إذ يرى الفريقان معاً المشهد الهائل التالي:

1- الأملح الذي بياضه أكثر من سواده، وقيل الشديد البياض.

يؤخذ الموت ((فيذبح على الصراط))..

((ثم يقول: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت.. ويا أهل النار خلودٌ فلا موت.. فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم..))..

ثم قرأ ﷺ ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾(مريم: 39) [1].

وهناك تتكرر الأعلام بالإعلام عن يوم الخلود زيادةً في إشاعة المسرات..وتُكَرِّرُ الأرجاء نداء رب الأرض والسموات: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾﴾(ق).. لمثله فليعمل العاملون..

يا أهل الجنة: الخلود لكم.. حياةً، والخلود لكم استمتاعاً..ولمَ لا؟ والجنة ﴿أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا﴾(الرعد: 35) فالأكل دائمٌ لكم ﴿مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾(البقرة: 266).. والخيرات والملذات والمشتهيات ﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾﴾(فصلت) لا ينقطع عنكم، ولا يزول، ولا يبيد، ولكنه ثابتٌ بلا نهاية.. ومنادي الحق يُبَشِّرُكم في الأوقات التي يكون فيها نداؤه يزيد في سروركم: ﴿تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا﴾(الرعد: 35) [2].

يا أهل الجنة: أنتم الآن في المقام الأمين.. في مقامٍ آمن من كل سوءٍ وآفة ومكروه، وتنغيص أو فعلٍ سيئٍ مسفوه. في مقامٍ آمن من الزوال والخراب..وأنواع النقص والاضطراب.

يا أهل الجنة: أما تسمعون: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾﴾(الدخان)؟ أما تسمعون: ﴿يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾(الدخان)؟.

قد جمعنا لكم بين أمن المكان وأمن الطعام، وأمَّناكم من الزوال أو من سيئ الأسقام..

1- البخاري 4/ 1760، مسلم 4/ 2188.
2- انظر: الطبري 13/ 163، تفسير القرطبي 16/ 236.

وأما الموت فقد انتهى فأنتم خالدون.. في دار السلام آمنون.

ولكن إليكم يا أيها الفائزون ما هو أكبر من الخلود..وما أدراكم ما هو؟[1]

يحدث للمتنعمين من الفائزين بجنات الخلد فرحةٌ أعظم..وتتجدد لهم البشائر في حالةٍ عظيمةٍ من حالات تقلبهم في النعيم المقيم..إذ ((إن الله تبارك وتعالى يقول لأهل الجنة: يا أهل الجنة!))..

يا لها من لحظةٍ عظيمةٍ حينما يخاطب الجليل جلَّ عن التجسيم والتمثيل..حينما يخاطب عباده في الجنة..فيكون نعيماً من أعظم النعيم الذي ينتابهم..ويفاجئهم..أَسْعِدْ قلبك بهذه المفاجأة..يناديهم ربنا الكبير المتعال..

-((فيقولون: لبيك ربنا وسعديك، والخير في يديك!))..

إنه حب الله الذي ملأ أفئدتهم..فكيف لا يجيبونه وحبه كان شعورهم الذي ينامون عليه، ويستيقظون عليه..كان شعورهم الفياض الذي ملأ عليهم كل جوانحهم وأفئدتهم..

أشار القلبُ نحوك والضميرُ وسرُ السر أنت به خبيرُ
وإني إن هتفت بكم أُنادي وفي زمن السكوت لكم أُشيرُ
أيا مَن لا يُضاف إليه ثان أتاك الواله الصب الفقيرُ

-((فيقول: هل رضيتم؟)).

الله! الله! ربُنا يسألنا -إذ نحن في الجنة- هل رضينا..ربنا هو الذي يسأل..الجليل العلي العظيم..هو الذي يسأل: هل رضينا..ولسنا نحن الذين نقول: ربنا أرضيت عنا..

1- القصة في الصحيحين..انظر: البخاري 5/ 239، مسلم 4/ 2176، والزيادة عند الحاكم 1/ 156.

أرأيت كرم الجبار القهار الكبير المتعال؟..وبخجلٍ وشعورٍ عظيمٍ بالامتنان يردون.. بخجل بالغٍ:

-((فيقولون: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتنا ما لم تعط أحداً من خلقك؟))..

وبضعف المخلوق أيضاً يقولون ذلك..كأنهم يتلهفون: ماذا بقي يا رب لنعطى فوق هذا؟ ولكن الجليل يؤكد لهم أن هناك شيئاً عظيماً سيعطيهم إياه..ويشوقهم لذلك..

-((فيقول: «تشتهون شيئاً فأزيدكم».. أنا أعطيكم أفضل من ذلك))..

وبتلهفٍ شديدٍ يبادرون إلى سؤال ربهم الجليل الكريم..

-((قالوا: يا رب وأي شيءٍ أفضل من ذلك؟))..

-((فيقول: «رضواني أكبر».. أُحِلُّ عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبداً)) يا لهذه النعمة..نعمة الرضا الإلهي من الخالق الجليل الكبير للعبد البسيط الفقير..فـ" رضاه سبب كل فوزٍ وسعادةٍ، وكل من علم أن سيده راضٍ عنه كان أقر لعينه، وأطيب لقلبه من كل نعيمٍ لما في ذلك من التعظيم والتكريم"[1]..وهاتف الحق يهتف: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾(التوبة: 72).

إنه يوم المزيد..أعلن العجز عن وصف ذلك النعيم المجيد:

قمة النعيم: إنه يوم المزيد..وهو وقت الزيادة على الجنة..فما هي الزيادة على الجنة؟:

لقد استقر بك المقام، وطاب لك الحال، وأنت على حالك تزداد كل يومٍ تنعماً في غير مللٍ أو سأم..وتظن أن ذالك هو غاية النعيم وليس بعده بعدُ..

وبينما كنت في مرابع قصورك..وجنانك..وحورك..تتنعم..تحادث صاحباً..أو تلاعب حوراء..أو تسابق الطيور..أو تغتدي بسباحةٍ في الجداول والبحور..ولكن لا كأجمل نعيمٍ في

1- تحفة الأحوذي7/ 230.

الدنيا..سمعت في أرجاء الجنة إعلان الريادة: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(يونس: 26)..فأقبل بعضكم معاشر أهل الجنة على بعضٍ تتساءلون..ما الزيادة؟ **وأتاكم الجواب من رب الأرباب..الملك الأعلى الوهاب..وتلذذت أسماعكم بخير جواب**..فيفجؤك نداء ((منادٍ: إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه))..

فتتساءل أي شيءٍ هو هذا الموعد.. وتسمع جواب تساؤلك في نداء الحق –عزَّ جاره–: يا أهل الجنة ((تريدون شيئا أزيدكم؟))..

فيطرب قلبك فرحاً..وترى أهل الجنة من حواليك تخفق أفئدتهم سروراً وحبوراً..ولا تدرون مما تتعجبون أو بأي أي شيءٍ تفرحون: أمن سماعكم لكلام المولى العزيز الكبير المتعال.. جل عن الشبيه والمثال..أم من الوعد الجديد الذي تسمعونه.. وتتعجبون أكثر..فما هو الشيء الذي يمكن أن يزيد على ما أنتم فيه.. ثم تطرحون تساؤلاتكم التي تتضمن تلهفاً لمعاينة هذه الزيادة..كما تتضمن إكباراً لما أنعم به عليكم من منٍ وآلاء.. في عرصات القيامة وساعات العناء..

تقولون: ((ألم تثقل موازيننا))..ربنا..ربنا ((ألم تبيض وجوهنا؟))..

ربنا..ربنا((ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟))..وتتشوفون.. عند ذاك يهولهم أن ((يُكْشَفَ الحجاب))و..و..((يتجلى لهم تبارك وتعالى فينظرون إليه))..فتتنعمون بما يعجز اللسان أن يصفه لأن الموصوف فوق كل شيءٍ..إنكم تتنعمون بلذة النظر إلى وجه ربكم الكريم..وهناك.. ما أُعطيتم شيئاً أحب إليكم من النظر إلى ربكم عز وجل[1]..

إنه الغاية القصوى في نعيم الآخرة..والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة[2]..

افتح عين البصيرة، وتصور الأمر على حقيقته:

1- أحاديث الرؤية في البخاري ومسلم غير ما في الآيات..والكاتب يذكرها كما جاءت بأسلوب الكتاب.. بغض النظر عن الدخول في تفاصيل المعاني.
2- اليوم الآخر في ظلال القرآن ص345.

حين صارت الصحف في أيمانكم..حين ثقلت موازينكم.. حين بُيِّضَت وجوهكم.. حين جاوزتم جسر جهنم.. حين أُدخلتم الجنة وأُعطيتم فيها ما أُعطيتم من الكرامة والنعيم..كل ذلك كان قليلاً في جنب الزيادة..والوعد الإلهي هو ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾(يونس: 26) أما الحسنى..فهي الجنة.. ومعها الزيادة عليها..

أيها المحسنون: الآن وقت الوفاء فـ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾(الرحمن) فإليكم الحسنى..إليكم الجنة ﴿ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ﴿٤٦﴾﴾(الحجر).

أيها المحسنون: قرُّوا عيناً فقد زادكم من كرمه شيئاً فوق الحسنى..وهي الزيادة عليها..

ومن الزيادة عليها: أن يعطيكم ويحبوكم غفراناً ورضواناً.. وأن يُضَعِّفَ ثواب أعمالكم ..فيعطيكم بالحسنة عشر أمثالها إلى سبع مائة ضعف وزيادة على ذلك..

أيها المحسنون: كيف تظنون؟ فإن من الزيادة أن يعطيكم الله في الجنان من القصور والحور والرضا عنكم..وفوق ذلك ما أخفاه لكم من قرة أعين..

كل ذلك من زيادات عطاء الله لكم..**ولكن أعظم الزيادة إكرامكم بالنظر إلى وجهه الكريم**.. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾(القيامة)..

أيا خاطب الجنة وحبيبها: هاهنا حالةٌ تعجز الكلمات عن تصويرها:

كما يعجز الإدراك عن تصورها بكل حقيقتها؛ ذلك حين يتحقق للسعداء حالةٌ من السعادة لا تشبهها حالة حتى لتتضاءل إلى جوارها الجنة بكل ما فيها من ألوان النعيم!..

هذه الوجوه الناضرة..نَضَّرَها أكثر أنها إلى ربها ناظرة.. ومالها لا تتنضر وتتجمل وتزهر وهي إلى جمال ربها تنظر؟.. فأي مستوى من الرفعة هذا ؟ أي مستوى من السعادة؟.

إن روح الإنسان لتستمتع أحياناً بلمحةٍ من جمال الإبداع الإلهي في الكون أو النفس، تراها في الليلة القمراء.. أو الليل الساجي..أو الفجر الوليد..أو الظل المديد..أو البحر العباب..أو الصحراء المنسابة..أو الروض البهيج..أو الطلعة البهية..أو القلب النبيل..أو الإيمان الواثق..أو الصبر الجميل..إلى آخر مطالع الجمال في هذا الوجود..فتغمرها النشوة، وتفيض بالسعادة، وترف بأجنحةٍ من نورٍ في عوالم مجنحة طليقة. وتتوارى عنها أشواك الحياة، وما فيها من ألمٍ وقبحٍ، وثقلة طينٍ.. فكيف ؟ كيف بها وهي تنظر – لا إلى جمال صنع الله – ولكن إلى جمال ذات الله؟..

ألا إنه مقامٌ يحتاج أولاً إلى مددٍ خاصٍ من الله ليتحقق.

ويحتاج ثانياً إلى تثبيت من الله ليملك الإنسان نفسه، فيثبت، ويستمتع بالسعادة، التي لا يحيط بها وصف، ولا يتصور حقيقتها إدراك ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾﴾(الأنعام)..

إن الإنسان لينظر إلى شيءٍ من صنع الله في الأرض: من طلعةٍ بهيةٍ، أو زهرة نديةٍ، أو جناح رفاف، أو روح نبيل، أو فعل جميل فإذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه، فيبدو فيها الوضاءة والنضارة..فكيف بها حين تنظر إلى جمال الكمال..

فأما كيف تنظر؟ فذلك حديثٌ لا يخطر على قلب يمسه طائفٌ من الفرح الذي يطلقه النص القرآني، في القلب المؤمن، والسعادة التي يفيضها على الروح، والتشوف والتطلع والانطلاق!"[1]..

1- انظر الظلال ص3770 بتصرف، وتتمة كلامه: "فما بال أناس يحرمون أرواحهم أن تعانق هذا النور الفائض بالفرح والسعادة ؟ ويشغلونها بالجدل حول مطلق لا تدركه العقول المقيدة بمألوفات العقل ومقرراته ؟!. إن ارتقاء الكينونة الإنسانية وانطلاقها من قيود هذه الكينونة الأرضية المحدودة ، هو فقط محط الرجاء في التقائها بالحقيقة الطليقة يومذاك. وقبل هذا الانطلاق سيعز عليها أن تتصور – مجرد تصور – كيف يكون ذلك اللقاء. وإذن فقد كان جدلا ضائعا ذلك الجدل الطويل المديد الذي شغل به المعتزلة أنفسهم...حول حقيقة النظر والرؤية في مثل ذلك المقام. لقد كانوا يقيسون بمقاييس الأرض؛ ويتحدثون عن الإنسان المثقل بمقررات العقل في الأرض ؛ ويتصورون الأمر بالمدارك المحدودة المجال. إن مدلول الكلمات ذاته مقيد بما تدركه عقولنا وتصوراتنا المحدودة. فإذا انطلقت وتحررت من هذه التصورات فقد تتغير طبيعة الكلمات. فالكلمات ليست سوى رموز يختلف ما ترمز إليه بحسب التصورات الكامنة في مدارك الإنسان. فإذا تغيرت طاقته تغير معها رصيده من التصورات، وتغيرت معها طبيعة مدلول الكلمات، ونحن نتعامل في هذه الأرض بتلك الرموز على قدر حالنا! فما لنا نخوض في أمرٍ لا يثبت لنا منه حتى مدلول الكلمات؟! فلنتطلع إلى فيض السعادة الغامر الهادئ، وفيض الفرح المقدس الطهور، الذي ينطلق من مجرد تصورنا لحقيقة الموقف على قدر ما نملك. ولنشغل أرواحنا بالتطلع إلى هذا الفيض؛ فهذا التطلع ذاته نعمة. لا تفوقها إلا نعمة النظر إلى وجهه الكريم".

أيا حبيباه في الدنيا: هل تبكي من الفرح؟ أم من الشوق؟ أم تقول: ربِّ أقم الساعة؟ إن أفضل الزيادة التي تلاقيكم، وأعلاها النظر إلى وجهه الكريم؛ فإنها زيادةٌ أعظم من جميع ما أعطيتموه..زيادةٌ لا تستحقونها بعملكم بل بفضله ربي جل وعز ورحمته.. [1].

كل ذلك لم يكن شيئاً فيما رأيتم..كرر تصور ذلك،،،ثم اهتف معي مشتاقاً محباً راجياً في كرم ربك العظيم..اهتف كما هتف النبي ﷺ من قبلك: ((اللهم إني أسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم، والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة، ولا فتنة مضلة))[2].

1- انظر: الطبري 11/ 108، تفسير ابن كثير 2/ 415.
2- النسائي 3/ 54، أحمد 4/ 264، ابن حبان 5/ 304، وقوى إسناده المعلق، الحاكم 1 / 705، وصححه ووافقه الذهبي.

المشهد التاسع

فانظر إلى آثار رحمة الله..
بين عبدٍ أوبقته أعماله..وأنقذته رحمة ربه

اشهد آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وانظر إلى آثار رحمة الله:

وأطلَّ صاحب القلب المنيب وأصحابه على خارج الجنة وهم في نعيمهم..أطلوا ليشهدوا رجلاً لم يدخله الله الجنة بعدُ..فرأوه ((يخرج من النار حبواً))[1]، ((ليس له من العمل ما ينهض به فخرج يحبو)) يسعى معتمداً على يديه ورجليه عسى أن يبتعد عنها.. وتراه من مكابدته للأهوال، ومن ضعف ما كان عمله في الدنيا من صالحات الأعمال..تراه ((يمشي «على الصراط» مرةً، ويكبو مرةً، وتسفعه النار مرة)).. ويرحمه الله فيتجاوز النار..فأي فوزٍ عظيمٍ قد حازه..((فإذا ما جاوزها)) وشعر بلذة فوزه ((التفت إليها)) فعبر عما يكتنُّ لديه من مشاعر الابتهاج..ويظهر ما وقع في نفسه من سرورٍ وهَّاج:

((فقال: تبارك الذي نجاني منك.. «الحمد لله الذي نجاني منك»، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحداً من الأولين والآخرين))..

وأنتم يا صاحب القلب المنيب وأصحابك في الجنة تشهدونه وترجون من الله أن يدركه برحمته ولطفه..ولربما قلتَ لما رأيتم نجاته، وسمعتم قوله: إي وربي حقاً لقد أعطاك الله شيئاً عظيماً لا يقاس به ما أعطاه لأحدٍ من العالمين..ومنادي الحق ينادي: ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾(آل عمران: 185)..فقد زُحزح هذا الرجل عن النار.. ولنتابع مسيرته:

1- القصة بتفاصيلها عند:البخاري 5/ 2402، 6/ 2728، مسلم 1/ 173، الترمذي 4/ 712، ابن ماجة 2/ 1452، ويحتمل أن تكون لرجلٍ دخل النار ثم أُذن له بالخروج منها، أو لآخر رجلٍ يجتاز الصراط.

المرحلة الثانية: طمع الضعيف، وكرم الكريم:

رأيتموه وقد تجاوز النار.. ولكنه ((مقبلٌ بوجهه على النار فيقول: يا رب قد قشبني ريحها، وأحرقني ذكاؤها، فاصرف وجهي عن النار))..اللهم إني أعوذ بنور وجهك.. هذه مجرد إطلالتها من بعيدٍ قد قشبته فكيف بمن انغمس فيها؟..تأمل واهتف بخشوع: اللهم أجرني من النار.

وربما عجبتَ أيها المنيب من الرجل يدعو ربه في ذلك اليوم ويُلِحُ ((فلا يزال يدعو الله)) ليبعد وجهه عن النار.. وبعد اجتهاده في الدعاء يرحمه الله..

((فيقول-الله عزَّ جاره-: لعلك إن أعطيتك أن تسألني غيره.

فيقول: لا! وعزتك لا أسألك غيره)) فيستجيب الله له..((فيصرف وجهه عن النار))..
فيا لسعة رحمة الرحمن الرحيم..

المرحلة الثالثة: تابع المشهد: نعيمٌ جاذبٌ.. وهو مجرد نعيمٍ خارج الجنة:

..ثم يمضي عليه الوقت وهو بين الطائفتين..بين الدارين..عندها يناجي اللطيف الخبير فيقول: ((يا رب مالي هاهنا؟.

فيقول: يا ابن آدم ألم تكن تسألني أن أزحزحك عن النار؟ (هذا ما كنت تسألني يا ابن آدم)..

قال: بلى يا رب..)) ولكن رحمة الرحمن الرحيم تغريه فيبقى يدعو حتى يقول:

قال: يا رب أين مثلك؟))..فأنت أرحم الراحمين، وخير الغافرين، ليس كمثلك شيءٌ في عفوك، وبِرّك، ورحمتك..

تابع مشهده حامداً مسبحاً فإنه عندما يصرف وجهه عن النار:

((تُرْفع له شجرةٌ..)) كرمٌ من الله عليه، ونعمةٌ يرسلها إليه..

((فيقول: أي رب أدنني من هذه الشجرة.. فلأستظل بظلها وأشرب من مائها))..

فيقول الله عز وجل: يا بن آدم لعلي إن أعطيتكها سألتني غيرها.

فيقول: لا! يا رب. ويعاهده أن لا يسأله غيرها)).

فهل يستجيب الرحيم له؟ هل يستجيب له؟..نعم! نعم..وكيف لا ((وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه.. فيدنيه منها فيستظل بظلها، ويشرب من مائها))..ويلبث على ذلك ما شاء الله..

ولكنه يرى شيئاً آخر وهو تحت هذه الشجرة، وينعم الكريم الودود عليه برؤية نعيمٍ أعظم مما هو فيه..إذ ((ترفع له شجرةٌ هي أحسن من الأولى)) فلا يصبر وهو يرى ذاك النعيم! تصور..مجرد شجرةٍ خارج الجنة، ولا يستطيع أن يصبر عنها ولما يرى الجنة بعد..عند ذاك تسمعه ينادي بتلهفٍ:

((أي رب أدنني من هذه لأشرب من مائها، وأستظل بظلها))..

((فيقول –الله عزَّ جاره–: يا ابن آدم ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها؟))..

وكعادته في التذلل.. يقول: ((لا أسألك غيرها)).

وتدركه رحمة الرحمن الرحيم..((فيقول الله له: لعلي إن أدنيتك منها تسألني غيرها)).

((فيعاهده أن لا يسأله غيرها، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليه فيدنيه منها،

فيستظل بظلها، ويشرب من مائها)).

ومن تحت هذه الشجرة العظيمة ذات الماء العذب والظل الظليل..يُنْعِمُ المتفضل الكريم عليه فيرى نعيماً آخر أعظم مما هو فيه؛ إذ ((تُرْفع له شجرةٌ عند باب الجنة هي أحسن من الأوليين)) فيقوم وقد تذوق لذة كرم الله الجليل، ورأى إجابة ربه لسؤاله..

((فيقول: أي رب! أدنني من هذه لأستظل بظلها، وأشرب من مائها))..

ولا ينسى أن يضيف عبارته المعتادة التي تحمل معنى الطلب أكثر مما تحمل المعنى الذي يظهر منها، فيقول رب: ((لا أسألك غيرها))..

((فيقول: يا بن آدم! ألم تعاهدني أن لا تسألني غيرها..

قال: بلى. يا رب هذه لا أسألك غيرها، وربه يعذره لأنه يرى مالا صبر له عليها فيدنيه منها))..

ويبقى يتنعم بذلك.. وإن ذلك لنعيمٌ..وحسبه أن يتنعم بأن يدعو ربه، وربه يجيبه..وأنتم ترون أهل النار يحاولون أن يدعوا فيقول الله لهم: ﴿ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨﴾ (المؤمنون) إن مجرد دعائه.. وإجابة ربه له هو النعيم بذاته فكيف وقد قربه ثم قربه ثم قربه؟..كيف وقد أدناه ثم أدناه ثم أدناه؟..

المرحلة الرابعة: إنه باب الجنة..نصف الطريق:

ولكنه ما زال بعيداً عن الجنة..وهو يراها عن بعد..عندها يطمع في رحمة ربه أكثر فيتدلل، ويتذلل ويناجي ربه..

ف((يقول بعد ذلك: يا رب قربني إلى باب الجنة))..انظر لطمع ابن آدم، ولا تعجب من

ذلك ولكن اعجب من سعة رحمة الرب الرحيم..

إذ إن ربه جل وعز ((يقول: أليس قد زعمت أن لا تسألني غيره؟ ويلك يا ابن آدم ما أغدرك)) ولكنه لا ييأس وهو يرى رحمة الرحمن الرحيم -عزَّ جاره-فيظل يدعو..فلا يزال يدعو..حتى تدركه رحمة الله مجدداً..

((فيقول-الله له-: لعلي إن أعطيتك ذلك تسألني غيره؟))..

((فيقول: لا! وعزتك لا أسألك غيره))..

لقد حلف ولكن أيحلف أحدٌ ألا يسأل الرحمن الرحيم من رحمته ثم يستطيع أن يبر في حلفه..؟ كلا! ((فيعطي الله ما شاء من عهودٍ ومواثيق أن لا يسأله غيره فيقربه إلى باب الجنة، «فإذا دنا منها انفهقت له الجنة.. فإذا رأى ما فيها من الحبرة والسرور سكت ما شاء الله أن يسكت»)).

المرحلة الأخيرة: دخول الجنة:

والآن وقد دنا من الجنة ينظر إلى أبوابها، ويراها، ثم إنه ((يسمع أصوات أهل الجنة))..فما يقدر أن يحتمل، وتحركه معرفته برحمة ربه جل وعز ((فيقول: أي رب أدخلنيها))..ويكرر الدعاء فيقول:

((رب أدخلني الجنة))..يذكره ربه الرحمن الرحيم بعهده..

((فيقول: أو ليس قد زعمت أن لا تسألني غيره.. «وقد أعطيت عهودك ومواثيقك أن لا تسألني غيره»..ويلك يا ابن آدم ما أغدرك))..فيكرر على ربه ويلح وهو يعلم الآن كم هي سعة رحمة ربه..إنها تفوق ما يملكه من تصورٍ..فليمضِ في دعائه وابتهالاته..

((فيقول: يا رب! لا تجعلني أشقى خلقك))...

أَسِلْ الدمع على موقفٍ عظيمٍ كهذا الموقف..

لقد عدَّ نفسه أشقى خلق الله وهو خارج الجنة مع أنه لم يتعذب بالمكث في وسط النيران، إنما كانت تسفعه على الصراط..فكيف من تلظى بها؟..اللهم سلم.. سلم..

وعند ذاك أكثر من الإلحاح بالدعاء والتضرع..وقد عوده ربه الرحمة والغفران والإجابة إذا لم يقنط من رحمة ربه..((فلا يزال يدعو حتى يضحك -ربي جل جلاله وتعالى عن المثال- فإذا ضحك منه أذن له بالدخول فيها)).

وأنت تشهد هذا المنظر مسبحاً حامداً أن نجوت من قبل.. ها أنت ذا تراه الآن وقد تلقاه الله برحمته وأخيراً أذن له الجبار بدخول الجنة.

سيل الكرم ينهال:

بعد أن يأذن له ربه -عزَّ جاره- بدخول الجنة يقطعه ملكاً عظيماً في الجنة.. فيقول له: ((اذهب فادخل الجنة))..

((فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى فيرجع.. فيقول: يا رب وجدتها ملأى))..**هل سمعتَ هذا؟ بات الآن يعتقد أن له حقاً فيها..يا لكرم الرحمن..**

((فيقول الله تبارك وتعالى له: اذهب فادخل الجنة))..

((فيأتيها فيُخيل إليه أنها ملأى فيرجع.. فيقول: يا رب وجدتها ملأى))..فيُكرر الله له:

((فيقول الله له: اذهب فادخل الجنة))..ولقد وردت الرواية لتكمل لنا القصة بشيءٍ عظيمٍ دار بين الله –عزَّ جاره–وبين عبده..إذ يقول النبي ﷺ واصفاً الرجل وقد رجع إلى ربه ليسأله أين يمكنه أن يحط عصا الترحال في الجنة..يقول: ((فأقبل عليه عابساً فقال: وهل أبقيت لي شيئاً؟))..**سبحانك اللهم..حلمك بعد علمك..وعفوك بعد قدرتك..وسترك عن كمال عزتك..الرجل يُقبل عابساً كعادة من أصابه الهم والغم..لا لأنه لم يرض بما قسم الله.. ولكنها طبيعة البشر..**

تمنَّ..تمنَّ..هل نذكرك بالأمنيات؟:

فعند ذاك ((يجيء بعدما يدخل أهل الجنة الجنةَ فيقال: ادخل الجنة. فيقول: كيف أدخل الجنة وقد نزل الناس منازلهم، وأخذوا أخذاتهم)) لم يعد لي مكانٌ فيها..فيؤمر أن يدخل فيها وتراه يقوم يحاجُّ ربه كأن الحق قد صار له..فيؤمر بالدخول ليرى ما أعد له..

((فإذا دخل فيها فيقال له: أتذكر الزمان الذي كنت فيه؟ أي الدنيا. فيقول: نعم! فيقال له: تمنَّ.. فيتمنى.. تمنَّ من كذا.. فيتمنى.. ثم يقال له: تمنَّ من كذا.. فيتمنى.. «ويذكره الله سل كذا وكذا» حتى تنقطع به الأماني «فإذا انقطعت به الأماني»))..

تصور المشهد لم يعد يجد ما يتمناه انقطعت كل الأماني لديه..

انظر إليه مجدداً ((يتمنى فيقول بلسانٍ طلقٍ ذلقٍ، وعقلٍ مجتمع))..نعم يعطيه الله ذلك حتى يتمكن من أوفر الأمنيات.. ((يتمنى فيقول بلسان طلق ذلق وعقل مجتمع: أعطني اعطني كذا.. حتى إذا لم يجد شيئا لُقِّنَ فقيل له: قل كذا.. قل كذا فيقال له: هو لك ومثله معه))..ويذكره الودود بما ينبغي أن يتمناه..

((فيقول: يا بن آدم ما يصريني منك)) ما يقطع أمانيك؟ ثم يعطيه الله ما يقطع أمانيه

قطعاً.. **فحبذا ذاك الذي يقطع الأماني من الكريم الودود الرحيم..**

عند ذاك يعطيه الله ما يقطع أمانيه به..فـ((يقول الله له: أترضى أن يكون لك من الجنة مثل ما كان لملكٍ من ملوك الدنيا؟ فيقول: «بخٍ» نعم أي رب)) ويغبط نفسه ولا يملكها من شدة الفرح فيقول: بخ..كأنه يقول: أمعقولٌ؟

((فيقال: ذلك لك)) ثم يغدق الله عليه أكثر..**انظر واستمع واهتف: اللهم إني أسألك من فضلك ورحمتك..رب وعزتك لا غنى بي عن بركتك..رب وعزتك لا غنى بي عن بركاتك**..ثم تابع المشهد:

فيقول العبد وهو لا يكاد يصدق، وتأخذه طبيعته البشرية..فيقول: ((يا رب أتستهزئ مني وأنت رب العالمين؟ حتى ضحك النبي ﷺ وهو يحدث بالقصة فقالوا: مم تضحك يا رسول الله؟ قال: من ضحك رب العالمين حين قال: أتستهزئ مني وأنت رب العالمين)).

فيتهاطل عليه الكرم الإلهي:

((فيقال: ذلك لك ومثله [معه] ومثله، ومثله، ومثله، ومثله)) كيف يكون شعوره وهو يسمع كلمة ومثله في كل مرة؟..

لما وصل العد إلى الثالثة إلى الخامسة أي خمسة أمثال ملك الدنيا يطير قلبه فرحاً وطرباً..فيقطع الكلام..تصور المشهد واعجب من رحمة الرحيم.. وافتتان العبد بكرم الكريم..

((فيقول: أي رب رضيت)).. فيزيده الله أعظم من ذلك ((فيقال له: إن لك هذا وعشرة أمثاله)) نعم..هل تريد إعادة سماع ما سمعتَ؟..فاسمع..يقول الله له: ((اذهب فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها))..

أيا خاطب الجنة: أتعرف من ذلك الرجل..((فذلك أنقص أهل الجنة حظا)).. عندها لا يملك الرجل نفسه، ولا يصدق فيخطئ من شدة الفرح فيقول: ((رب أتضحك مني وأنت الملك))؟! ((لم تهزأ بي وأنت ربي))؟..

انظر إلى هذا الكلام المتدلل من هذا الرجل..علم مكانه من ربه وبسطه له بالإعطاء.. استخفه الفرح وأدهشه فقال ذلك.. وكذلك خاف أن يُجازى على ما كان منه في الدنيا من التساهل في الطاعات، وارتكاب المعاصي والموبقات..كفعل الساخرين فكأنه قال: أتجازيني على ما كان مني من سخريةٍ بسخريةٍ مماثلة؟[1]..

((فيقول: إني لا أستهزئ منك، ولكني على ما أشاء قادر))..

((فيقول: أي رب رضيت.. فيقال له: لك مع هذا ما اشتهت نفسك، ولذت عينك)).

والآن تابع مشهده متعجباً من كرم ربه الجليل..تابعه وهو يدخل أحد قصوره..حتى إذا أخذ مكانه ((تدخل عليه زوجتاه من الحور العين فتقولان: الحمد لله الذي أحياك لنا، وأحيانا لك)) **فكيف تصنع هذه الكلمة بصاحبها؟** كيف تصنع به عندها لا يملك إلا أن يقول: ((ما أعطي أحدٌ مثل ما أعطيت)).

وهكذا يرضى بما أعطاه الله له..حتى قال ﷺ : ((فيرضى حتى أنه أعطاه شيئاً ما أعطاه أحداً من أهل الجنة. فيقول: لو أُذِن لي لأدخلت على أهل الجنة طعاماً وشراباً وكسوة مما أعطاني الله ولا ينقصني شيئاً))..أعطاه شيئاً ما أعطاه أحداً من أهل الجنة أي ظن أنه خير أهل الجنة منزلة، وأن عنده ما ليس عندهم فكيف بمن هو أعلى منه درجة؟ اهتف آملاً راجياً: **اللهم يا أرحم الراحمين: أسألك إيماناً لا يرتد، ونعيماً لا ينفد، ومرافقة نبينا محمد ﷺ في أعلى جنان الخلد.**

1- انظر: فتح الباري 11/ 444.

واعجبْ من ذلك..أيها المشتاق: سِرْ بأحلامك..بل طِرْ بها إلى حيث شئتْ..فلن تبلغ نهاية الملك الكبير الذي ينتظرك مهما حاولت لأنه يتجاوز آفاقك القاصرة، وأحلامك البسيطة..**أجل أيا حبيباه: إذا كان هذا أدناكم منزلةً معاشر أهل الجنة –وحاشاكم أن يكون فيكم دني–..فكيف من فوقه..أشعل مصابيح الشوق**..وأوقد معها دموع الإشفاق والخشية والأمل والرجاء..وقل: يا رب..يا ذا الجلال والإكرام..

هل إلى العفـو يـا إلـهي سبيـلُ فنـيتْ رحـلتـي وزادي قليـــلُ

واحتوتني الهموم من كل صوبٍ وطـوانـي الأسى الممضُّ الطويـلُ

ربِّ جئنـاك والنفـــوس حيـارى حيثـمـــا مـالـت الريـاح نميـلُ

كـي تحيـل الظـلام نـوراً ومـن ذا يـرفـع الشرَّ إن طغى أو يحيـلُ

ختام زفاف المؤمنين..تجدد النعم ودوام الحمد للمنان المتين

استمع إلى الكون ومن فيه مسبحين مُترَنمين: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

الحمد لله والثناء والمجد يبدأ به الكون وينتهي إليه:

والآن –يا صاحب القلب المنيب– قُضِي الأمرُ وقرَّت نفسك بالحياة الخالدة، ورأيت أن الله لم يخلق السموات والأرض وما بينهما لعباً، ما خلقهما إلا بالحق..والقسط والعدل..وها هو ذا القانون العظيم أمام عينيك ظاهرٌ في حكمه في أهل الجنة والنار..

أُنْزِل كلا الفريقين في المحل الذي يليق به، ويصلح له.. إنه الله –عزَّ جاره– الحكم العدل ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾(النور).

عندها لربما استذكرت –يا تالي القرآن– قول ربك ﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾(الجاثية) طالما كنت تقرؤها آيةً مكتوبةً، فهاهي حقيقةٌ واقعةٌ أمامك فقد جوزيتْ كل نفسٍ بما كسبت وهم لا يظلمون.

واكتمل مشهد الخلق عن حياةٍ أبديةٍ لكلٍ منهم..كلٌ في مثواه..ورأيت الختم البديع لهذا المشهد في الصورة العظيمة التالية: ترى أهل النار في عذاباتهم..بينما..ترى أهل الجنة يتقلبون في نعيمهم وملكهم.. ويتلاقون بأحبائهم..يزورون الأنبياء.. ويلتقون بالصديقين والأصفياء ..وينعمون بأنعم عيشةٍ وأروع هناء..في شغلهم من النعيم المقيم فاكهين سعداء..مسبحين لله حامدين..هو أهل المن والعطاء..وإذا رفعت طرفك ترى العرش، ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾(الزمر: 75).. ترى العباد المكرمين من الملائكة في ذلك اليوم حافين محدقين من

حول العرش المجيد، وألسنتهم تلهج بالتسبيح والتمجيد والتحميد..تنظر إليهم.. تسمع أصواتهم وهم ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾(الزمر: 75) ويمجدونه، ويعظمونه، ويقدسونه، وينزهونه عن النقائص والجور.. يسبحون متلذذين بذلك..يصلون حول العرش شكراً لربهم، وذلك بعد أن ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾(الزمر: 69) فقد فصل في القضية، وقضى الأمر، وحكم بالعدل بين أهل الجنة وأهل النار.

عندها "نطق الكون أجمعه: ناطقه وصامته لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائلٍ بل أطلقه.. فدل على أن جميع الخلائق شهدت له بالحمد"[1]..أمام ذاك الفضل العظيم، والنعيم المقيم، والملك الواسع العميم..غمر فؤادك الشعور..بما حباك به المولى الودود الغفور..فلم تجد شيئاً تعبر به عن شكرك إلا ما علمك ربك–عزَّ جاره–:﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾(الزمر: 75) الحمد لله رب العالمين..

ولو غدا ابن هلال والعميد وَمَنْ زان الجزيرة تجويداً وإتقانا
مترْجِمينَ لما في القلب ما وجدوا إلى بيان الذي في القلب إمكانا

أيها الحامد لربه..أيا ذا القلب المنيب:

قد افتتح ربنا المجيد–جلَّ جلاله–الخلق بالحمد في قوله ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾(الأنعام: 1).

واختتم الله تعالى أمر الفصل والقضاء في الكون بالحمد في قوله تبارك وتعالى ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾(الزمر)..لذا ملأت الحمد لله الميزان..فيا طوبى للحامدين..والحمد لله رب العالمين.

1- تفسير ابن كثير 4/ 70.

خاتمة القصة

فراقٌ مؤقت غير بعيد..لنعيمٍ مجيدٍ..إن شاء الله:

الآن قد عُدْتَ –أيا حبيباه– من التقلب في أعطاف هذا النعيم العظيم..تقلبتَ فيه، ووجدتَ لذته بمجرد الوصف والقراءة فكيف سيكون حالك عند المعاينة..كيف ستكون عند انغماسك فيه..جعلني الله وإياك من أهله، وأذاقني الله وإياك حلاوة الفوز الحق به..

عدتَ –أيا خاطب الجنة– من هناك إلى دنياك.. فها أنت ذا في زحمة أثقال الأرض ومثقلات الذنوب، ورزايا الأوزار، وغُرْبَةٍ قَلَّ معها الصديق الناصح في طريق الإخلاص، وما يصيبك في هذه الحياة من ابتلاء ولُغُوب.. ترى الدنيا من حواليك بفتنتها تغريك..تحاول إغواءك..ترهبك حتى تستسلم لها، وتستنيم لخدائع زخارفها وهي ذات الغرور الدائم..

أيا حبيب الجنة: لقد خاطبتُك، ونصحتُك، وأنا أعلم أنني كنت أخاطب نفسي وأنصحها في شخصك..أتراه يظهر بعد هذا الوصف الرائق المشَوِّقِ شوقُك لبشرى ربك؟..

هل سترى من نفسك مسابقةً إلى نعيم جنةٍ عرضها السموات والأرض بتوبة نصوحٍ، وإيمان صادقٍ ؟..﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾(الأنعام: 120).

وفي هذه القصة للنساء سبقهن..لهنَّ همٌ لا منتهى لكبارها..وهمتهن الأولى أجل من الدهرِ:

وكل ما ذكرناه عن هذا الشاب القانت يسري مثله على الفتاة أو المرأة القانتة العابدة فإن الله –عزَّ جاره– ذكر حقها وأجرها كما ذكر أجر الرجل..وحسبنا في هذا ما جاء في الآية الجامعة التي نزلت بسبب سؤال أم سلمة–رضي الله عنها–:﴿إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّآئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ

وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾ ﴾(الأحزاب)..ولا تختلف المرأة عن الرجل في شيءٍ من ذاك النعيم، إلا ما كان من خصوصية واضحة لها، وذلك كأن لا يكون لها زوجٌ في الدنيا كحال مريم البتول عليها السلام، أو تكون زوجةً لرجل كافر كحال امرأة فرعون عليها السلام..ففي هذه الحالة يزوجها الله –عزَّ جاره– برجل من أهل الجنة، كما ورد في هاتين أن الله يزوجهما بالنبي ﷺ ، وليس الكتاب ورادا في بسط هذه القضية..وإنما أردت الإشارة لئلا يظن ظانٌ أن الكاتب يرتضي ما وصلت إليه بعض الآراء من جمود حتى حجروا بعض نعيم الجنة على الرجال دون النساء وليس هذا من الدين..بل الدين كل الدين تلخص في قول الولي المتين: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ ﴾ (النحل) ولكن لأن الكتاب أخذ منحى الكلام عن الشاب المنيب..فقد توجه وجهةً ينبغي أن يولاها..وتركتُ أشياء مثل التقسيمات الإدارية في الجنة التي يظهر فيها سادات الشباب، ورؤوساء الشيوخ، ومثل ذلك سيدات النساء أو المرأة الأولي في الجنة..ولعلنا نتوسع في طبعة قادمة –إن شاء الله–بشأن ذلك وبشأن بسط النعيم الذي تتلقاه المرأة في الجنة بل وتتميز به.

أيا حبيباه: فُتِحَتْ ميادين السباق..فهل من مسابقٍ للذيذ العناق؟

أي أخاه: لقد تملك الشعور بنعيم الجنة على المتسابقين أنفسهم، وسيطر على حياتهم ..إنهم المتسابقون إلى مغفرةٍ من الله ورضوان..سيطر عليهم التفكير في السباق حتى جعلهم يُبْدعون في طلب كل وسيلةٍ ربانيةٍ..يَصِلُون بها لتحقيق غايتهم السامية..انظر إلى أحدهم فيما نحسب..إنه أبو سليمان الداراني يحكي كيف صار الشوق إلى الجنة شعوراً فياضاً يملأ عليه جوانحه، ويسيطر عليه مناماً ويقظة..اسمعه وهو يقول: بينا أنا ساجدٌ.. إذ ذهب بي النوم.. فإذا أنا بها –يعني حوراء من الحور العين– قد ركضتني برجلها فقالت:

حبيبي أترقد عيناك والمِلك (قيوم) ينظر إلى المتهجدين في تهجدهم؟..

بؤساً لعينٍ آثرت لذة نومها على لذة مناجاة العزيز..

قم فقد لقي المحبون بعضهم بعضاً فما هذا الرقاد؟.

حبيبي وقرة عيني أترقد عيناك وأنا أُرَبَّى لك في الخدر منذ كذا وكذا؟ فوثبتُ فزعاً.. وقد عرقت استحياءً من توبيخها إياي، وإن حلاوة منطقها لفي سمعي وقلبي[1]..لسان الحال:

أتخطب مثلي وعني تنام ونوم المحبين عني حرام
لأنا خلقنا لكل امرئٍ كثير الصلاة براه الصيام[2]

فذكرت الجنة ونعيمها فأعرضت عنه:

كان الداراني يحكي نموذجاً في المسابقة إلى الله بأعمالٍ بينك وبين المولى العزيز..وهذا يتقنه كثيرون..**ولكن العقدة التي ما زلنا نطلب لأنفسنا منها فكاكاً** تتمثل في عدم مسارعتنا إلى الخيرات بذلة أنفسنا لبعضنا، وإعلاء شأن الأخوة الإيمانية كما أعلاها الله–عزَّ جاره– بيننا، ونبذ التعصب الذي حَلَق ديننا حلق الشعر، ونزع لعاعة الدنيا وقذارتها من قلوبنا..

أيا حبيباه: ها هو ذا الحل أمامك قد صار ناراً على علمٍ..ولكننا عنه في غفلٍ مريعة..ألا ترى أنه إذا لاحت لنا أعلام الجنة حقاً كان ذلك داعياً عظيماً لنا لنحاسب أنفسنا أشد المحاسبة على ما نأتي ونذر في تعاملنا مع بعضنا..

وخذ لهذا مثالاً سَطَّرَه سيدٌ من أرباب التزكية، وأستاذٌ من أساتذة التربية الإيمانية:

فقد ذُكِرَ عن الصحابي الزاهد الراغب الراهب نجم التربية الإيمانية، وثمرة الثقافة العمرية عبد الله بن عمر بن الخطاب أنه سمع معاوية بن أبي سفيان يخطب في خلافته وهو

1- انظر: شعب الإيمان 1/ 458.
2- انظر: حلية الأولياء 9/ 326.

يقول ما يمكن أن يقوله بشرٌ أعطاه الله الملك: من يطمع في هذا الأمر، ويرجوه، أو يمد له عنقه؟..أي من يظن نفسه أهلاً للخلافة أكثر مني بعد موت علي (رضي الله عنه).

وهذا فيه نوع تزكيةٍ للنفس، وتقديمٍ للذات في وجود بعض من قد ظهر جلياً أنه أعلى شأناً في الإسلام..عندها لم تصبر نفس ابن عمر على ذلك..قال: فما حدثت نفسي بالدنيا قبل يومئذٍ..وأراد ابن عمر الردَّ عليه، وحكى ما دار بينه وبين نفسه من صراعٍ فقال: ذهبتُ أريد أن أقول له: يطمع فيه من ضربك وأباك على الإسلام حتى أدخلكماً فيه، فذكرت الجنة ونعيمها، فأعرضت عنه، ولفظ البخاري-أرشق من ذلك ففيه: فحللت حبوتي، وهممت أن أقول أحق بهذا الأمر منك من قاتلك وأباك على الإسلام، فخشيت أن أقول كلمةً تفرق بين الجمع، وتسفك الدم، ويحمل ذلك، فذكرت ما أعدَّ الله في الجنان[1]..

..وهكذا أذهب ذكر الجنة الدخول في جدالٍ قد يورث الضغائن..ويبذر بذور الشقاق.. حتى قال أحد السامعين لابن عمر إعجاباً وتأثراً: حفظت وعصمت..

فهل من مدكر؟..أيا راغباً في مقعد صدقٍ عند مليكٍ مقتدر:

سار المجدُّون في الخيرات واجتهدوا ... يا فوزهم! غنموا الجنات والنعمِ
صفتْ لأهل التقى أوقاتُهم. سعدوا ... نالوا الهنا والمنى بالخير والكرمِ
ضَيَّعْتُ عمري ولا قدمتُ لي عملاً ... أنجو به يوم هول الخوف والظُلَمِ
ظهري ثقيلٌ بذنبي. آه وأسفي ... يوم اللقاء إذ الأقدام في زحمِ
أرجوك يا ذا العلا كربي تُفَرِّجُه ... واشف بفضلك لي بلواي مع سقمي

إنه الملك الكبير ينتظرك في الجنة..أفتُقَدِّمُ عليه انتصارك لنفسك، واستجابتك لداعي هواك؟:

1- البخاري 4/ 1508، وانظر: مجمع الزوائد4/ 208، فتح الباري7/ 404، وليس في القصة غضٌ من شأن بعض الصحابة رضي الله عنهم، وإنما بيانٌ لما يحدث في النفوس البشرية.

لقد كبُرت الدنيا في نفوسنا حتى طغت سخيمة قلوبنا علينا..فصرنا ننسى هناك في الجنة ﴿نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾﴾(الإنسان)..ننسى ملكاً كبيراً ينتظرنا..ننساه أو نغفل عنه لرغبةٍ في إمضاء غلٍ في الصدور، أو الاستجابة لداعي هوىً..انظر إلى رجلين أحدهما ترك الدنيا وزينتها من أجل حجز مقعده في الجنة، والآخر يستجيب لداعي هواه فيعرض عن أعظم عرضٍ مغرٍ بتجارةٍ رابحةٍ في الأرض..فقد روى أنسٌ –رضي الله عنه– أن رجلاً قال: يا رسول الله! إن لفلان نخلة، وأنا أقيم حائطي بها فأمره أن يعطيني حتى أقيم حائطي بها..

فقال له النبي ﷺ : ((أعطها إياه بنخلةٍ في الجنة))..وأين نخلةٌ من نخلة؟.. أين نخلةٌ في الدنيا من نخلةٍ في الجنة؟..

ألا يكفيه أن يحجز لنفسه مكاناً في الجنة؟..لكن نزغة شيطانٍ عرضتْ له ملكت عليه عقله حينها فأبى المعاوضة، ورفض أعظم عرضٍ يجد فيه أربح تجارةٍ..أبى أن يستجيب لعرض النبي ﷺ ..في هذه الأثناء سمع أبو الدحداح بالنبأ..فجاء إلى الرجل فقال: ((بعني نخلتك بحائطي))..كان حائط أبي الدحداح –وهو البستان– يحتوي على ستمائة نخلة..فأعطى الرجل بستانه في مقابل أن يتنازل عن نخلةٍ واحدة.. فوافق الرجل..فأي تجارةٍ كاسدةٍ ارتضاها، وأي غنيمةٍ رابحةٍ أباها..ثم انطلق الرابح الموفق أبو الدحداح إلى النبي ﷺ بعد أن أبرم الصفقة فقال: يا رسول الله! إني قد ابتعت النخلة بحائطي..فاجعلها له–أي للرجل الذي طلب النخلة– فقد أعطيتكها..هكذا اشترى أبو الدحداح نخلةً واحدةً.. وباع بستانه المكَوَّن من ستمائة نخلةٍ لأجل أن يعطيها للنبي ﷺ في مقابل أن يضمن له النبي ﷺ النخلة التي وعد بها في الجنة..عند ذاك أعلن النبي ﷺ الجائزة العظيمة التي يستحقها هذا المسابق للخيرات التارك عَرَض الدنيا من أجل ابتغاء وجه ربه، وتثبيتاً لنفسه..فقال:

((كم من عذقٍ رداح مُعَلَّقٍ لأبي الدحداح في الجنة)) قالها مراراً بياناً لفضيلة أبي الدحداح، وإشهاراً لأمر استحقاقه لوسام الشرف الأخروي الرفيع.. فأتى أبو الدحداح امرأته فقال: ((يا أم الدحداح! اخرجي من الحائط فإني قد بعته بنخلةٍ في الجنة)) فشاركته زوجه في

المسارعة إلى مغفرةٍ من الله ورضوان فقالت: ربح البيع[1]..

التفكير بالجنة..مانعٌ من ظاهر الإثم وباطنه:

أيا حبيباه: أترَى من يُفَكِّرُ باليوم الآخر والجنة ونعيمها والنار وجحيمها:

يفرغ قلبه ليتبعَ حقداً..أيفرغ قلبه ليسير وراء حسدٍ..أيفرغ قلبه ليُنْبِت لحمه ولحم أولاده من نار بمالٍ حرامٍ..أيفرغ قلبه ليلقي الكلمات على عواهنها: يغتاب هذا، ويجرح هذا، ويأكل لحم هذا، ويعرقل معاملة ذاك، ويتتبع عورات المسلمين في دورهم، ويُزَكي نفسه في حين يأتي الفواحش القولية والفعلية ما ظهر منها وما بطن..؟

إن الغفلة عن اليوم الآخر، وضعف اليقين به..وعدم تصور قربه، وضآلة الشعور به يؤدي إلى أن يصبح الناس وحوشاً في الدنيا حتى وإن ظهرت منهم صلاةٌ أو صيام..ذلك أنهم قد ينسون..فلا يتصورون أنه يترتب على كلمةٍ تخرج منهم أن تتخطفهم كلاليب جهنم..نعم لمجرد خروج الكلمة..فـ((إن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً ينزل بها في النار أبعد ما بين المشرق والمغرب))[2]..**اللهم إنا نعوذ بك منها**..

وفي المقابل رب كلمةٍ طيبةٍ بقلبٍ صادقٍ مشفقٍ يقولها الرجل يرفعه الله بها درجات..**اللهم اجعلني والقراء من أصحابها**..

أيا حبيب بالجنة: إن تذكر الموت والمستقبل الغيبي القادم يعني أن تحاول صنع مستقبلك، والاستعداد لغدك غير قاعدٍ ولا متواكل..ولا يعني أن يُوَلِّد عقيدة الإحباط واليأس التي يدين لها من لا دين له عندما يتذكر الموت.. وأنه نهايةٌ لكل متاعٍ دنيوي..لقد أدت هذه العقيدة بهؤلاء الغافلين إلى الانتحار.. أو سلوك أفعال الخاسرين..أما أنت أيها البار القانت فإن

1- ابن حبان 16/ 113، والضياء في المختارة 5/ 59.
2- البخاري 5/ 2377.

الموت وما بعده يعني الحركة الإيجابية في الحياة بالازدياد من الطاعات..والمسارعة في القربات..والقيام بالصالحات في التعامل مع نفسك ومع الخلق..رغبة في سلوك أرضى السبل لرب الأرض والسموات..فإن النبي ﷺ يقول: ((خيركم من طال عمره، وحسن عمله))[1]..

((يا ليت قومي يعلمون..)).. ليتهم ينظرون:

لقد علا على قلوب بعضنا –معاشرَ المؤمنين– هذه الأيام كثيرٌ من الران، وساد البغي والإثم والعدوان..فتأخر النصر، وصار بأسنا فيما بيننا..ووهت الأمة باشتغالها ببعضها تحت مطارق سنن التعذيب.. لمن أعرض عن أوامر السميع المجيب..ولا تكاد تجد سبباً حقيقياً مباشراً لذلك كله كالغفلة والإعراض عن الآخرة..﴿وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ﴾(الحج: 18)..

ها هو ذا القرآن بين يديك..لا تجد فيه توجيهاً من التوجيهات الربانية..أو معلماً من المعالم القانونية إلا مقترناً بالتذكير باليوم الآخر، والإخبار بلقاء الله..

أيها الحبيب: تقرأ قول الله ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُم مُّلَٰقُوهُ﴾ (البقرة: 223) فتهاب لقاءه وحسابه.. وتنزع عما كنتَ عزمت عليه من العصيان في الخلوات..والعدوان المستتر بستار المصلحة أو حتى بستار الدين على المخلوقات..لأنك تعلم أنك ملاقي الله فيجازيك على مثقال الذر..من خيرٍ أو شر..ولكننا تهنا في متاهاتٍ غريبة، وبعدنا عن فقه القدوم على الله، ونسينا اليوم الآخر.. ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا﴾(آل عمران: 30) وما عملت من سوءٍ ولو كان صغيراً في نظر بعض الناس كالغيبة والنميمة والكلام في أعراض الناس، واختلاس شيءٍ من الأموال، وغلول مقادير من الحقوق..فضلاً عن الكبر، وبطر الحق، وغمط الناس، والغل على الذين آمنوا، وتدمير معالم الدين وحقائقه أحياناً بجرة قلمٍ..وذلك كله ابتغاء عرضٍ زائل من الدنيا..قد يكون مالاً لا يساوي جناح بعوضة، وقد تكون شهرةً زائفة..إنها الدنيا في قلوب الغافلين:

1- الضياء في المختارة 9/ 43.

هي المشتهى، والمنتهى، ومع السهى أمـــــاني منــها دونهــن العظائـمُ
ولم تُلفِـنا إلا وفيــنا تحــاســـدٌ عليهـا وإلا في الصدور سخائم

ومن تذكر النعيم المقيم يوم غدٍ: أيخضع لها؟ كلا..أيا قوم! هذا خطاب الله لنا يفتح آفاق الطاعة، ويُحَقِّر الدنيا المطاعة.. ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖ﴾ (الحشر: 18)..وفي مآسينا الداخلية ما تفيض منه الدموع..

ففاضت دموعي عنـد ذاك وربما تشهــر بالدمع الســرار المكتـم

خاتمة الكتاب..أيها الحبيب: لي ولك لا لغيرنا كان الخطاب:
أيا حبيباه: تأتينا الآيات تلو الآيات فكأن المخاطَب بها غيرنا من المخلوقات..

نذهب لنطلب من الناس أن يزكوا أنفسهم وننسى أن المطلوب من إخبارهم بذلك هو أن تزكو أنفسنا..لا أن نغفل عنها لنعظ غيرنا..

ننسى أن النبي ﷺ كان يكثر أن يقول: ((اللهم آتِ نفسي تقواها، وزكها أنت خير من زكاها.. أنت وليها ومولاها))[1]..

ننسى أنه ﷺ نفسي لنفسه الفداء ووجهي لوجهه الوقاء ﷺ كان يدعو ((اللهم إني أعوذ بك من شر نفسي..))[2]، ويكثر أن يقول: ((واسلل سخيمة قلبي))[3]..

إنه إعداد أنفسنا حقاً لاستحقاق التكريم في اليوم الآخر..ولأن نُزف إلى جنةٍ عرضها السموات والأرض..فاذكر –أيها الحبيب– في مقام الأشواق الذي رأيناه..وسمعناه موعظة

1- مسلم 4 /2088.
2- ابن حبان 3/ 242، وهو صحيح مشهور.
3- ابن حبان 3/ 228 وهو صحيح مشهور.

المخبت المنيب أبي الدرداء..توقظ قلوبنا النائمة، وتقرع أسماعنا الهائمة..يقول: (أضحكني ثلاث وأبكاني ثلاث..)

أيا أبا الدرداء: فاقصص علينا قصصَ الحق: ما أضحكك؟ وما أبكاك..علَّ الرحمة تنزل على أفئدتنا فنضحك لضحكك، ونعتبر ببكاك..اقصص أبا الدرداء..

يتابع أبو الدرداء فيقول:

(أضحكني: مُؤمِّل دنيا والموت يطلبه..وغافلٍ وليس بمغفولٍ عنه..وضاحكٍ بملء فيه ولا يدري أرضى الله أم أسخطه)..**والذي شَوَّقَ المتقين إلى جناته..إنها لتبكي يا أبا الدرداء أكثر مما تُضحك**..فما يبكيك أبا الدرداء؟

يقول المخبت المنيب أبو الدرداء:

(وأبكاني: فراق الأحبة: محمدٍ وحزبه..وهول المطلع عند غمرات الموت..

والوقوف بين يدي الله عز وجل يوم تبدو السريرة علانية ثم لا أدري إلى الجنة أم إلى النار)[1]..فما نقول أيا أيها الحبيب أبا الدرداء..ما نقول؟ الله المستعان وحسبنا الله ونعم الوكيل.

كانت تلك –أيا حبيب الجنة– قصة رحلة الخلود..حيث رأيتَ فيها شاباً مؤمناً يزفُ إلى جنة الرحيم الودود..تحمل تفاصيلها أحداثاً مثيرة، وأخباراً مشوقةً كثيرةً..تشوق النائم لأن يستفيق، والمقتصد لأن يجتهد..فقد استبانت الطريق..ولاحت..فهل أجدُ نفسي وأجدك–أي حبيباه– فيها من المتنافسين؟..

نفس توبي قد دنا منك الخطر وربيـــع العمـــر ولَّـــى لا وزر

1- الزهد لابن المبارك ص 84، حلية الأولياء 1/ 207.

غفـــلةٌ جـــاثـمـــةٌ يـــا ويـــحنـــا فعلى العصيان كم طاب السهر
ما كأن الموت يـسعى نـحـونـا أو كأنـا قد نـــجـــونـا من سقر
ومع التفريـــط نـكتال المـــنى لكـأن القلب أقسى من حجر
أيـــن منـا خـوف سـاداتٍ لنـا كـأبـي بـكـر وكالنـور عمـــر
أيـــن صـوتٌ لعـلـيٍّ بـاكيـاً هيَّج الدهـر فجـلَّ المعتـبـر
(قـلـــة الـزاد ودربٌ مـوحشٌ ويح نفسي آه من طول السفر)
قـم بـجـوف الليل أعلـن تـوبـةً واذرف الـدمع على خد السحر
واشحـذ الهمـة من أخبار مَـنْ عـرفـوا الله فجدوا في السفـر
يـخـرج المـؤمـن مـن دنياه لـم يقض من حمدٍ على الله الوطر[2]

اللهم يا منقذ الغرقى..يا منجي الهلكى.. يا دائم الإحسان..يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام..يا منَّان أذقنا برد عفوك..يا رحمن أنلنا من كرمك وجودك ما تقَرُّ به عيوننا..وزدنا من فضلك ورحمتك فوق ما ترجوه قلوبنا، وتطلبه مسائلنا..نسألك من خير ما سألك منه عبدك ورسولك نبينا محمدٍ ﷺ ، ونعوذ بك من شر ما استعاذك منه عبدك ورسولك نبينا محمدٌ ﷺ ..يا أرحم الراحمين..

يا حي يا قيوم يا ذا الجلال والإكرام: كم من نعمةٍ أنعمتَ بها علينا قلَّ لك عندها شكرنا..وكم من بليةٍ ابتليتنا بها قلَّ لك عندها صبرنا..

فيا مَنْ قلَّ عند نعمتك شكرنا فلم يحرمنا..ويا من قلَّ عند بليته صبرنا فلم يخذلنا ..ويا من رآنا على المعاصي فلم يفضحنا..

1- لحادينا على طريق الجنة: عبد الرحمن العديني.

يا ذا النعماء التي لا تنفد أبداً..ويا ذا الإحسان الذي لا ينقضي أبداً..صلِّ على محمدٍ وعلى آله وصحبه..وارزقنا الفردوس الأعلى برحمتك يا أراحم الراحمين..

(وإلى الله –تعالى ذكره– جزيل الضراعة والمنة بقبول ما منه لوجهه، والعفو عما تخلله من تزينٍ وتصنع لغيره)[1] **آمين.**

وصلى الله على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه أجمعين،
ولا حول ولا قوة إلا بالله، وحسبنا الله ونعم الوكيل، على الله ربنا توكلنا،
والحمد لله رب العالمين.

1- من خاتمة كتاب الشفا للقاضي عياض 2/312.

مما قاله بعض من قرأ الكتاب:

رسالة من نائب عميد كلية الطب/جامعة ذمار
بسم الله الرحمن الرحيم

إلى الأستاذ الفاضل الدكتور عبد السلام المجيدي
الذي فتح أمامي بوابات إيمان لا حدود لها
وقفت بين أكتاف سطورك شارداً..كانت حروفك تجري، ودمعي يسابق لهاثي..تدور بي صفحات رحلتك..وأنا على صهوة صبري أدور..ما افترقت عنك..خفت من وجع يحاصر ذاكرتي..صرت أحاذر من ألمي..فقد هز روحي شدو إيمانك..فأشرق في دياجير رحلتي شعاع ينير ظلمتي..فزمزم برق..وجاشت من أرض ذمار ريح..سحابة وجد..تراكم تحت شغافها حنين..وما حيلتي أن قلبي يفيض..يجرفني قشة في هدير العباب..أيها القلب ما شئت خذ واتسع لتكون كبيرا..نجمة أفصحت عن رؤاها..نسمة خطرت من رباها..وتمضي الكلمات..كل شيء كساه الهدوء..تمنيت في خلدي أن يطول السفر..لن أفارق الفيض حتى أقترب من جنان الخلود..

وبعد هذا يحيرني السؤال..ما الذي أتدبر فيك كي أنصفك؟..صعدت متلمساً الجنة كالثريا..فتخلل الدرب عنفوان من مسك وطيب.

أخوكم الدكتور مجيد محسن الحمداني
كلية الطب والعلوم الصحية– جامعة ذمار

ورسالة أخرى من المهندس محمد بادي فيها:

عجب على عجب ومثلي يعجب

لا أدري والله..هل أعجب من فكرة الكتاب المبتكرة، أم من منهجية كتابته، أم من عذوبة أسلوبه، أم من بلاغة كاتبه، أم من السداد الذي كسى خاتمته..كنت ولا زلت عيياً في المدح، ولكني إخال الكتاب يصرخ قائلاً: هل من مزيد.

المحب..المهندس/ محمد علي بادي

الفهرس الموضوعي التفصيلي

الإهداء 3

تقديم فضيلة الشيخ علامة اليمن/ محمد بن إسماعيل العمراني 5

تقديم فضيلة العلامة الأستاذ الدكتور/ حسن الأهدل 7

تقديم فضيلة الشيخ / محمد الصادق مغلس المراني 9

المقدمة 11

هذا الكتابُ يحكي قصةً حقيقيةً..بسم الله مجراها ومرساها 11

أيها المشتاق لنعيمٍ تتطاول له الأعناق، وتذوب لنيله الأحداق 13

انظر عباد الله المقربين.. يتسابقون إلى معرفة ذاك النعيم..بشوقٍ وحنين 14

منهج كتابة هذه السلسلة المباركة 15

الفصل الأول: الأفراح بين الســماء والأرض 17

المشهد الأول: الخطوات المجيدة..بين يدي حياةٍ جديدة 19

المفاجأة 20

وتابع صاحبه تفكيره 24

وانسابت دمعتان ذهبيتان من مآقي صاحبه وهو ينظر إليه بإكبار له، وألمٍ على الشعور بأنه سيفارقه عما قريبٍ..ولكنه تابع تفكيره وقد حانت منه ابتسامةٌ مفاجئة 24

موعد الصفاء مع أحب لقاء 25

تردد الإفاقة والإغماء..لا تقلق..قد سبق ذلك مع خير الناس ﷺ 26

أبشر! هنا موعدٌ..مع المعنى الحقيقي لحسن الظن بالله 27

إنه صاحب القلب المنيب: لم تجتمع عليه سكرة الموت وحسرة الفوت.. واحدةٌ تكفي 28
مسك الختام لخير حياةٍ مع الأنام 29
المشهد الثاني: الغيب يتحول إلى شهادة: 31
نحن ((أولياؤكم)).. إنه إعلان السعادة
الدرس الخامس 31
آخر استفاقةٍ..انظر من القادم ليلقى أحباءه وعشاقه 31
استقبل العالم الجديد..نعيمٌ أعد لكل أواب برٍّ قانتٍ سعيد 31
في ساعة الانتقال: كفاها بشرى.. من أوليائه ومحبيه من الملأ الأعلى 33
بداية الزفاف 34
أيها القانت الأواب: لا تخف أن يُرَدَّ ثوابُك، ولا تحزن على ذنوبٍ فرطت منك في حالة ضعف 35
ولم الخوف أو الحزن وأمامك الآن دار السعادة،وعند ربك أعم الوفادة 35
أيها الحبيب الصفي: في رحلة الأهوال القادمة الصحبةَ..الصحبةَ 36
أيها المشتاق.. هل أتاك نبأ قصة حبٍ طاهرٍ صادقٍ بين مخلوقين..تجاهله العشاق 37
دغدغة عواطف العبد المخبت على فراش موته بذكر بعض نعيم دار السعادة: 38
إنها البشرى..تتابع..أما المجرمون فيقولون حجراً محجورا 40
بعد هذه البشائر المتتابعة: ما هي أعظمُ أمنيةٍ لك أيها المخبت المنيب 41
أيتها الملائكة الطاهرة: عجلي..عجلي..يا رب طال شوقي إليك فعجل قدومي عليك 42
آخر نظرةٍ إلى دنيا الكدح 43

المشهد الثالث: رحلة الخروج: إنه الزفاف وسعادة العروج 45
نعيمٌ في عذاب الموت؟ هل تتصور ذلك؟ 45
بهاءٌ وسناءٌ..إنها رحلةٌ في آفاق الجمال..تلمع في بداية الترحال 45
استقبل تحية الخروج فرحاً جَذِلاً من عالم الفانية إلى عالم الباقية 46
الملائكة تتنافس على حمل الروح الطاهرة؟ من يريد صورةً تذكارية؟ 49
الملائكة توصي بعضها بالرفق بك..يا للشوق إلى دفء هذا الحنان 50
العروج إلى السماء.. زفافٌ جديد 50
انقسم الملائكة الذين يزفونك إلى قسمين 51
أيها المخبت الأواب: كبار الملائكة ينضمون لتشييع روحك في زفافها 52
لقاءٌ رائعٌ بأبيك آدم..وسعادة وابتهاج مستحكم 53
اجتماعٌ مع المخبتين من المؤمنين في السماء: هل تحلم بزيارةٍ سريعةٍ لأعزَّ الأصدقاء الذين خرجوا قبلك من الدنيا؟ 54
دعوه فإنه كان في غَمِّ الدنيا..افرحوا بمرتبته العليا 56
أبشر بخير يومٍ مَرَّ عليك: صك الرضوان، وشهادة الغفران، ونعيم الفوز العظيم..يأمرُ بإبرامه الرحمن 58
أيا أنيس القرآن..أيا عابداً في محاريب الإيمان 60
المشهد الرابع: مرةً أخرى..إلى الأرض..ولكن اطمئن واستقبل أفراح البرزخ. 61
ماذا حدث للجسد المسجى.. على الفراش أثناء أفراح الروح في الملأ الأعلى؟ 61
الناس يبتهجون به في الدنيا..وهم لا يعلمون فكيف لو علموا؟ 62
لله مكانك يا صاحب القلب المنيب: هذا مقامٌ يطمح إليه الطامحون 62
عودة الروح الفرحة المستبشرة تنادي: قدموني..قدموني 64

ضمة القبر لا بُدَّ منها.. اطمئن إنها ليست عذاباً 65
وداع المحبين له..أَيُسْمَعُ ذلك الوداع 67
المشهد الخامس: ابتلاء في القبور..ترقب نتيجة تملأ الفؤاد بالسرور 69
حرسٌ من القوات الإيمانية الخاصة حيث لا تنفع كل أسلحة الدنيا 69
يا صاحب سورة الملك..هذا هو الوعد الحق 70
أول اختبارٍ في عالم الغيب..ترقب النتيجة بل توقعها بعد هذه المقدمات 71
المؤمن يحاول قطع الاختبار..ويحن إلى صلاته..إنه يأرز إلى إيمانه 72
أسئلة الاختبار العظيم..إنه أهم اختبارٍ شفويٍ أمام أقوى لجنةٍ تمر عليك مذ عرفتَ الحياة 72
تذكر مفتاح اللغز ((فيقول ما كان يقول)) 73
نتيجةٌ مرضيةٌ، وعيشةٌ هنيةٌ..وفتحٌ مبين..لعبدٍ من المتقين 75
ترقب الفوز الكبير، وتنعم برؤية الأفراح المستقبلية 76
خاتمة بشائر القبر: لقاءٌ حميمٌ مع رفيقٍ ازدهر حبه.. ولكنه لقاءٌ غير متوقع: 77
كيف سيقضي الحياة الناعمة في البرزخ؟ 78
مصير الروح..مصير الجسد 79
أيتها الروح الطاهرة..انظري هناك: منازل خاصة..لمن هي؟ 79
زيارةٌ صغيرةٌ من حبيبٍ من أهل الدنيا لحبيبه من أهل البرزخ 80
الفصل الثاني: إنها الساعة...يا أصحاب الأفراح:تتلقاكم الملائكة 85
المشهد الأول: استفق! إنه يوم الفزع الأكبر.. أيا صاحب القلب المنيب: ((هذا يومكم الذي كنتم توعدون)) 87
أمطارٌ لا تنبت البذور والأشجار بل تنبتُ الأجساد 87
نفخةٌ واحدة.. لتعود الأرواح، وتخرج صاعدة 88

انظر إليهم يخرجون من الأجداث..أخرجت الأرض أثقالها	89
صيحات الفزع من الخارجين..﴿كلا لا وزر﴾ حنانيك يا يومَ الخائفين	90
لكن كيف حال العروس بين الفزعين؟	92
يا صاحب القلب المنيب: انظر حواليك..إنه الفزع الأكبر	92
من جديدٍ: من القادم؟ اللقاء بأطهر المخلوقات..لقاء الأحبة مجدداً	93
انظر إلى غيرك لترى نعيمك ما بلغ	94
الشمس تدنو من العباد فتصهرهم..فأين المفر للخلائق بَرِّهِم وفاجرهم؟	95
في ذلك الجو اللاهب: أبشر..أتحت ظل عرش الرحمن؟	96
تحت ظل عرش الرحمن: أي نعيمٍ وأي مزية	97
شابت الولدان، وذابت الأجفان: إنه قادم الهلاك..كيف الفكاك منه..كيف الفكاك؟	98
أبْشِرْ..هاهي الجنة تقترب..مَتِّعْ نظرَك..إنها أمامك	100
الكسوة والستر..يوم يُحَصَّلُ ما في الصدور..يوم تبلى السرائر	102
أي حبيب الجنة ومحبها: تصور!: النبي ﷺ قلقٌ عليك..وانظر كيف بلغ حبه لك	103
المشهد الثاني: يا رب أرحني..فلتشرق الأرض بنور ربها	105
هل سمعتَ قائلاً يقول: يا رب أرحني ولو إلى النار	105
ويشتد الأمر على المؤمنين أيضاً..وكلمةٌ تصدع الحليم تخرج من الكريم آدم أبي البشر-عليه السلام-: لستُ هناكم	106
الأنبياء الذين بعثوا لإنقاذ غيرهم يقولون: ((نفسي..نفسي))	107
يا صاحب القلب المنيب: مقام السيد النبي المصطفى ﷺ في الدرجات العلى	109
يا صاحب القلب المنيب: من النعيم العظيم في موقف الخطب الجسيم الانتماء إلى أمة محمدٍ ﷺ	110

يا صاحب القلب المنيب: النبي ﷺ يبحث عنك,,,إنها أمة محمدٍ المكرمة لمن آمن منها وعمل صالحاً 112

أيها الساجدون! أيها المتطهرون! أبشروا: أنتم المعروفون عند النبي ﷺ المقدَّمون بين يديه 112

يا صاحب القلب المنيب: فلتشرق أنوارك الوضاءة.. فقد أشرقت الأرض بنور ربها لفصل القضاء..ولكن 113

شيءٌ عظيمٌ..وخطبٌ جسيمٌ..تعرضون لا تخفى منكم خافية 114

ولربما تساءل صاحب القلب المنيب في نفسه متلهفاً 117

يا رحمة ربي..قرة عيني..ومبعث رجائي وحبي 118

المشهد الثالث:وُضع الكتاب..وبدأ الحساب 121

بداية الحساب..واحر قلباه: من يكون صاحب الزلفى من ربه..من له حسن مآب؟ 121

أيها الخلق: الوزن يومئذٍ الحق.. الوزن يا أيها الناس.. ألا هل من يدرك نفسه من الأذكياء الأكياس؟ 122

صورةٌ إجماليةٌ للحساب: نفسٍ قلقة..ونبضٌ فزعٌ..أو روحٌ متشوفةٌ: 123

تابع صورةً من صور الحساب: وزناً، وحساباً، وإعطاءً للكتاب يوم القيامة 125

إنها الرحمة، والكرم الإلهي: فيا شوق لا تبعد، ويا دمع فض وزد 126

دورك الآن.. هل تعلن راية الفرح: تعالوا..تعالوا..فاقرؤوا كتابيه 127

يا لإشراق وجهك..إذ الناس خاشعة أبصارهم، ترهقهم القترة والذلة 129

أيها الناس: انظروا إلى هؤلاء لتعرفوا في وجوههم نضرة النعيم 130

يا أبيض الوجه: حسنٌ بعد حسن..وجمال بعد جمال 131

المشهد الرابع: أسبل الدمع الهطال وأنت تشاهد صور الحساب 133

عند الوزن يطيش العقل: ابحث عن رحمة الله مُخبتاً قانتاً تائباً 133

أيا حافظ القرآن: خذ هذه الهدية..ونل هذا التميز 135
أتستطيع التصور: أيفرح الحبيب بأخذ حسنات حبيبه..يا له من يوم 136
انظر هناك: يا لعظمة التكريم على الملأ –ما أسهل سببه لو كانوا يعقلون– 137
تكريمٌ عظيم: أنت تشهد على سائر الأمم 138
انظر موقف الدلال: عملتُ ذنوباً لم تعرضوها علي 138
ليتبع كلُّ قومٍ ما كانوا يعبدون..فمن تعبد أيا صاحب القلب المنيب؟ 140
انظر واسمع: اشربوا. فيتساقطون في جهنم 141
هنيئاً لك بتذوق لذة السجود لله في هذا اليوم 142
المشهد الخامس: إنه العبور الخطير على جسر جهنم..هل أعددت مركبتك القوية لتتمكن من الانتقال عليها؟ 145
إنها عقبة الفزع الأكبر: جسر جهنم..أي شيءٍ أفظع من جسر جهنم وأشد هولاً 145
أسل دموعك خشيةً وتعظيماً واستعد له من الآن 146
إنه أدق من الشعر وأحدُّ من السيف.. مدحضةٌ مزلةٌ عليه خطاطيف وكلاليب 146
يا أهل الموقف: إنه جسر جهنم..وكيف تنام العين وهي قريرةٌ 147
يا من وصلتم الرحم وأديتم الأمانة أبشروا 148
الظلمات الحالكة..إنه نور الله يُرْسَلُ إلى من تاب وعمل صالحاً 149
أيا طالب التوفيق، وخاطب الجنان: النور يضاء لك قبل مرور الصراط حناناً وزكاة 151
نورك يسعى معك..هل أعددته في الدنيا كما ينبغي 152
يا صاحب القلب المنيب: من جديد: لا تخف ولا تحزن: إنها الصحبة الدائمة، والود الصادق 152
بعد تكامل الطمأنات تبدأ ساعة الانطلاق: بسم الله مجراها ومرساها. 153

أبشر! فأنت من أوائل من يجيز الصراط..ولكن ما هي نتائج المشهد الحق 154
المشهد السادس:نورك البهي يسعى..والحصاد المر لمن نكث وأكدى 157
انظر الحصاد المر: منافقٌ لا نور له، ومنافق أُعطي النور فمضى ثم خُدع فانطفأ نوره فهوى 157
يا صاحب النور يوم القيامة..أتمَّ الله لك نورك..وأدام سرورك 158
يهتف صاحب القلب المنيب مع بقية المؤمنين وهم يشهدون ما حدث للمنافقين..يهتفون 158
أيا طالب التوفيق: اشهد مشهد الخيبة والأحزان الذي وقع فيه المنافقون 159
تابع المشهد، وانظر الفوز الأحمد: عوامل الهلاك في الدنيا هي عوامل الهلاك في الآخرة 161
أيها البار القانت: كم هو موقف ممتعٌ لك ولإخوانك المؤمنين أن تبكت المنافقين الذين كانوا يضحكون منكم، وتقول لهم 162
الفصل الثالث: على مشارف الجنة واهاً.. لريح الجنة 165
المشهد الأول: إني أرى ما ليس عليه صبر..يا قوم روِّحوا بنا إلى الجنة 167
الوصول إلى الجهة الأخرى: ألا تهنئون بعضكم بعضاً على النجاة 167
الرائحة الغريبة الزكية..والنفحة العطرية البهية 167
السابقون إلى الجنة..في ذلك –لا في غيره– فليتنافس المتنافسون 169
فئة الحمادين 169
أيها الفقراء المستضعفون الحامدون الباذلون أبشروا فقد نجحتم في الابتلاء: أنتم المقَدَّمون السابقون 170
احتفال خاصٌ بهم 171
اندهاش خزنة الجنة من هذا الفوج السابق 173
حبيبٌ من أهل الجنة سبق.. يخاطب حبيبه: أي أخي ما حبسك؟ 174

الثلة الأولى: لا حساب عليهم أصلاً فماذا ينتظرون؟ ها هو ذا طريق أبواب الجنة قد لاح..هلموا فخذوا منها واحداً 175
نداء الحب، وهتافات التهاني..تُزف للسابقين..أأنت أيا صاحب القلب المنيب منهم؟ 176
نداء الكبير المتعال: أذهبَ الحزن، وأزاحَ الوهن، وأراح الفؤاد 178
في طريق الشوق إلى الجنة.. تحيةٌ وتثبيتٌ من أهل الأعراف 179
من النعيم..تبكيت الخلق للمستكبرين، والثناء على الفائزين 181
المشهد الثاني: على مشارف الجنة: التهيئة للدخول 183
التهيئة النفسية لدخول الجنة: على صراطٍ ثان.. جسرٍ آخر..لكن اطمئن 183
ومن نماذج الإصلاح لنفوسهم نموذجٌ صوره النبي ﷺ كأننا نحضره 184
يا خاطب الجنة: نعمة نزع الغل من أعظم النعم التي تُهدى لك في آخرتك 185
هاهي الجنة قد أُزلفت غير بعيدٍ..أتستطيع أن تُفصِح عن مشاعرك؟ 186
وفد الرحمن المظفر ينطلق نحو الجنة لا حائل إلا مسافة الطريق فكيف اللقاء: 188
على مشارف أبواب الجنة 189
يا صاحب القلب المنيب وأنت تقف على مشارف الأبواب: إنها دار السلام: 191
اشفع لنا يا رسول الله لندخل الجنة..كم جعل الله لك من كرامةٍ على البشر في الدنيا والأخرى يا سيدي يا رسول الله 193
يا حبيب الجنة: الجنة تطالب بك..وتشتاق إليك 194
انظر هناك: إنها أبواب الجنة المفتوحة 194
أيها المفلحون: آن أوان تكملة التهيئة الجسدية لدخول الجنة 195
المشهد الثالث:عند أبواب دار السعادة: الاستقبال الحافل والمفاجآت الممتعة 199

تحية خزنة الجنة عند الدخول: لقد طبتم ظاهراً وباطناً..الآن تستطيعون الدخول 199
ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون 200
أول زمرةٍ وثاني زمرةٍ يدخلون الجنة منكم..كيف هؤلاء الأمراء المحظوظون؟ 202
أمام أبواب الجنة نداء رخيٌ لك أيا صاحب القلب المنيب 202
مفاجأةٌ ممتعةٌ: استقبالٌ حافلٌ من الولدان المخلدين 203
حركةٌ مفاجئةٌ: ولدٌ ذكيٌ من الولدان يسبقك ليخبر أهلك 204
انظر الآن إلى هيئتك وأنت تدخل الجنة 205
نداء الله الجليل المتعال لك وللركب المفلحين وأنتم تدخلون الجنة 206
لا تحتاج إلى من يدلك على مملكتك فأنت تعرف طريقك إليها 207
أبواب الجنة التي تغلق وتفتح تلقائياً 208
المشهد الرابع: أخيراً.. اتكاءة الراحة الأبدية 209
أول نظرةٍ على قصرٍ من قصور مملكتك الرحيبة 209
نظرةٌ إلى بعض قصورك، وترتيب الغرف بداخلها 210
يا صاحب القلب المنيب: للجنة تسكب العبرات.. وعند الاطمئنان بدخولها تنهال الذكريات..ذكريات المسارعة إلى الخيرات 212
أخيراً: إتكاءة الراحة الأبدية في جنة المأوى 214
ضيافة الرحمن الفورية 215
لكم منازلكم وترثون منازل الكفار..وتنادونهم: هل وجدتم ما أخبرناكم؟ 215
الملائكة يدخلون من كل بابٍ دخول الخدمة والمحبة 216
خدمك من الولدان..من أعظم النعيم في الجنان 217
في جلسةٍ خلويةٍ مع النفس: تفكر ماذا ستطلب في الجنة؟ 217
مهلاً! أيا خاطب الجنة: ماذا نسيت مما تشتهي..هل تتذكر أو تريد من يذكرك؟ 220

فرحةٌ جديدةٌ..ها هم أولاء أخلاؤك وأقرباؤك..إنه اجتماع الشمل 221
لحظةٌ للمقارنة 223
الفصل الرابع: إنها.... الجـنَّـة تقلب هناك..لترى نعيماً وملكاً كـبيرا 225
المشهد الأول: وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيرا 227
نظرةٌ عامةٌ عليهم وهم في ملكهم..أظننت أنك تستطيع التعبير عما ترى؟ 227
رأيتَ نعيماً..رأيت ملكاً كبيراً 229
أنت بشرٌ! بدأت تحاول إحصاء ملكك وسعة مملكتك..أتستطيع؟ 230
أتريد أن تعرف التفاوت بين المؤمنين في الدرجات؟ قم بجولةٍ لترى معه وجهك الصافي الذاهل 231
درجاتٌ رفيعةٌ، بعضها فوق بعض..هل تطمح لها؟ 232
فئة المحبة الصادقة..ارتقت مكاناً علياً بنفسٍ واثقة..وصارت مناراً للأنفس الوامقة 233
تقدم فهناك ما هو أعلى منه، وقابل هناك أعمدة الإسلام..الراشدين الكرام 234
زيارةٌ خاصةٌ لأعظم الأحبة.. حبيبٌ طالما تمنيت رؤيته..ولكنه من الأرفعين أعمالاً..إنه من السابقين 236
أعياك ما رأيت فلا تستطيع وصفه..فكيف ستصنع؟ 237
صورةٌ سريعةٌ..كيف يمكن لسمعك وبصرك التقاطها، وهي كالضوء سرعة 237
ألا تريد رؤية أعلى درجات الجنة..تقدم حيث الجلال النبوي، والمقام المحمود المصطفوي 238
أبشر! فقد شُرِّفت بالقرب من منزلته ﷺ..أتدري ما السبب؟ 240
المشهد الثاني: جولةٌ في جنان الجنة.. 243
ما هو النعيم الأعلى: الجمال والإبداع الخارجي، أم السكينة الداخلية 243

تذكر يا محب الحجاز ما كنت تراه في الحجاز وقارن 245
روعة الاتكاء والمجالسة تحت الأفنان 247
أيها المتقون: انظروا إلى أنهار الجنة الكبرى..هل رأيتم منظراً أشهى وأحلى؟ 248
إنها أبحرٌ لا أنهر..تلتذون بها وفيها: هذا شربكم..وذا منبع استمتاعكم.. ألا تردون 249
أيها الثابتون على الدين..الزاهدون فيما يلعب به الناس من الناكصين: هذا هو الكوثر 250
ذكرى المسك مع كوثر الملك 252
لا تذهل عن الحقائق..إنهم فريق الخير في هذه الحياة 253
رؤوف رحيم يقول لمن بدل وغير: سحقاً.. سحقاً..فلماذا؟ 254
انظر هناك: عيونٌ متفجرة ترتفع إلى أعلى..ألا تتمتع؟ 255
المشهد الثالث:إلى أبهى جمال، وأحلى دلال.. 257
هل يمكن لهذا الجمال أن تتخيله دون أن تراه..إنهن الحور ينتظرنك 257
أي خَلْقٍ يأسر النظر..ويدعو إلى حبٍّ مستقر..كأنه سحرٌ مستمر 258
مجلسٌ من مجالس الحب مع الأزواج المطهرة 260
وقت التضاحك في المضجع، والتقلب في المخدع.. تراه كيف يكون ؟ 261
صورة الحسن تبدت..لكنها الآن منكَ 263
عرفنا ما حباك الله به من جمالٍ يُغطي الشمس..فما حال ملابسك؟ 263
كيف حليتك أولاً؟ أتستطيع الوصف؟ 263
والآن خذ صورةً مبسطةً لهيئةٍ من هيئاتكم 265
هذه هي الأساور؟ فكيف ستكون الثياب؟ 265

مجلس أُنسٍ يضم زوجتك أو زوجاتك من أهل الدنيا ونساءك من الحور العين..قارنْ! 266
نساء الدنيا زادت الطاعة في حسنهن ﴿فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً﴾ 267
ألا من غناءٍ يزيد مجلس الأنس طرباً 269
ولكن مهلاً لا تشغلك الأولى عن الثانية.. ألا يكفيك احمرار الخدود عند طلب التحول من نهود إلى نهود.. 271
لعبٌ على الأرائك تحت ظلال الأشجار 271
وبعد: فما رأيك بنعيمٍ كهذا النعيم: ألا تسرج له مركب الشوق بعبادةٍ قانتة، وحب خالص؟ وإنما يحاول أهل الدنيا التقليد 275
المشهد الرابع: أيها الصابرون: ((كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية)) 279
أبهة الطعام وتحف الهدايا تتناوب المجيء إلى الكرام 279
تمتع بأبهة الخدمة، وطيب المقام، ولذة الطعام 279
والآن أوقف كل تصورٍ عندك.. وانظر معي إلى هذه الصورة 280
أواني الطعام: أكواب فضة طائفة، وصحافٌ من ذهب دائرة 281
ثمر الجنان..وظلال الأفنان يتبعانك أنى دعوتهما..فهما لك في كل حالٍ دان 282
حبذا اللهو مع الأحباب..ودوران كؤوس الشراب 284
صورة إجمالية ترسمها سورة الإنسان 285
مخرج الطعام.. نعيم إلى نعيم 285
المشهد الخامس: كالجمال في الصورة..إليك الجمال في الصوت 287
الأصوات الطيبة..تطيب المكان، وتوقظ الوسنان، وتأسر الإنسان 287
لا بد أنك اشتقت إلى شيء من الغناء والصوت الشجي، فاسمع ثم احكم 289

ألا تشتهي الخروج للتبضع والترفه في سوق الجنة 289
الحمد هو اللهجة المتكررة إزاء النعم المتجددة 290
المشهد السادس: تنعم يا صاحب المتاب..بلقاء أصدق الأصحاب 293
نداءٌ إلهيٌ للمتقين من الأصحاب والأخلاء والأحباب في يوم الحساب 293
مشهدٌ من مشاهد صدق الصداقة الطاهرة 294
السرر المرفوعة المتحركة..منظرٌ لا يُنسى 296
انظر حواليك: زينةٌ تحف بكم من كل حدبٍ وصوب..فتشغلكم عن بعضكم لوقتٍ 298
تصور مشهد الحب: تنازع أحبابك الكؤوس..تمازحهم وتداعبهم بتنازع الكؤوس 299
الولد اللؤلؤة: سيدي.. الشراب..الشراب 300
جلسة محادثة: تعلنون فيها أنكم أشد حباً لله 301
كنا مشفقين من عذابه وعقابه..أن يتخطفنا قبل أن نصل بالتوبة إلى بابه 302
المشهد السابع: حاجة أهل النار إليك..نعيمٌ عظيم.. وجاهك عند الله نعيمٌ أعظم 305
شفاعتك لإخوانك: كرامةٌ جديدةٌ ومنزلةٌ عليةٌ 305
الشرف... يُشارك المنيب في وفد الله إلى أهل النار...للشفاعة في بعضهم 306
في جلسةٍ من مجالس الأنس الخالد 307
زيارة صديقٍ من أصحاب الجنة لصاحبه من أهل النار 307
وفي الجنات لذاتٌ ومنها أحاديث الكرام على المدام 307
هل أنتم مطلعون..لتروا كرامتكم وجزاء عناده؟ 309
يا أهل الجنة أشرفوا على أهل النار، وذكروهم بما كانوا يستهزئون 312

نداء أخير من أهل النار لكم يزيدكم غبطةً وحبوراً 314

المشهد الثامن: إليكم ختم الكرامة..نعيمٌ أعظم من كل ما سبق..هوته القلوب منقادة..للذين أحسنوا الحسنى وزيادة 317

يا أهل الجنة الخلودَ.. الخلودَ 317

يوم الخلود: يوم الفرحة لكم.. ويوم الحسرة لهم 317

ولكن إليكم يا أيها الفائزون ما هو أكبر من الخلود..وما أدراكم ما هو؟ 320

إنه يوم المزيد..أعلن العجز عن وصف ذلك النعيم المجيد 321

إنه الغاية القصوى في نعيم الآخرة..والدرجة العليا من عطايا الله الفاخرة. 322

أيا خاطب الجنة وحبيبها: هاهنا حالةٌ تعجز الكلمات عن تصويرها 323

المشهد التاسع: فانظر إلى آثار رحمة الله.. بين عبدٍ أوبقته أعماله.. وأنقذته رحمة ربه 327

اشهد آخر أهل الجنة دخولاً الجنة وانظر إلى آثار رحمة الله 327

المرحلة الثانية: طمع الضعيف، وكرم الكريم 328

المرحلة الثالثة: تابع المشهد: نعيمٌ جاذبٌ.. وهو مجرد نعيمٍ خارج الجنة 328

المرحلة الرابعة: إنه باب الجنة..نصف الطريق 330

المرحلة الأخيرة: دخول الجنة 331

سيل الكرم ينهال 332

تمنَّ..تمنَّ..هل نذكرك بالأمنيات؟ 333

ختام زفاف المؤمنين..تجدد النعم ودوام الحمد للمنان المتين 237

استمع إلى الكون زمن فيه مسبحين مترنمين: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ 237

الحمد لله والثناء والمجد يبدأ به الكون وينتهى إليه 237

خاتمة القصة 239

فراقٌ مؤقت غير بعيد..لنعيمٍ مجيدٍ..إن شاء الله 339
وفي هذه القصة للنساء سبقهن..لهنَّ همٌ لا منتهى لكبارها..وهمتهن الأولى أجل من الدهرِ 339
أيا حبيباه: فُتِحَتْ ميادين السباق..فهل من مسابقٍ للذيذ العناق؟ 240
فذكرت الجنة ونعيمها فأعرضت عنه 341
إنه الملك الكبير ينتظرك في الجنة..أفتُقَدِّمُ عليه انتصارك لنفسك، واستجابتك لداعي هواك؟ 342
التفكير بالجنة..مانعٌ من ظاهر الإثم وباطنه 344
((يا ليت قومي يعلمون..)).. ليتهم ينظرون 345
خاتمة الكتاب..أيها الحبيب: لي ولك لا لغيرنا كان الخطاب 346
الفهرس الموضوعي التفصيلي 353



جمعية البلاغ الثقافية

Al-Balagh Cultural Association




/ISLAMONLINE


/ISLAMONLINE_NET


@ISLAMONLINE


/ISLAMONLINE



لأي إستفسار أو لطلب نسخ

500 44 304

T : +974 44 56 7777 F : +974 445 67766 P.O.Box : 22212 Doha-Qatar
Email : info@islamonline.net Web : balaghcs.org



"السلسبيل المورود - قصة رحلة الخلود"

قصة حقيقية لشاب مؤمن كان شاكرا ذاكرا طائعا أوابا.. قانتا مخلصا لله تعالى كما رسمها القرآن الكريم يتم زفافه إلى عالم الخلود، في فردوس العزيز المجيد. تتبع المؤلف قصصه الحق وأفرد أحداث رحلته في كتاب خاص ليكون عبرة للمعتبرين، وحلبة سباق للمتنافسين.

جاءت صياغة الكتاب بأسلوب أدبي وقصصي جذاب مع تجديد في الأسلوب وحلاوة في العبارة والتزام بعزو النصوص إلى مصادرها الأولية. وتميز منهاجه بالمزج بين التفسير الموضوعي والتصوير الفني ليأتي الكتاب فريدا في المنهاج ويفتح آفاقا لمنهجية جديدة في التفسير الموضوعي.